روضة المحبين

دروس وعبر

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع

\

روضة المحبين

دروس وعبر

(الجزء الأول)

هشام محمد عاطف

عضو المجمع العلمي

لبحوث القرآن والسنة بالقاهرة

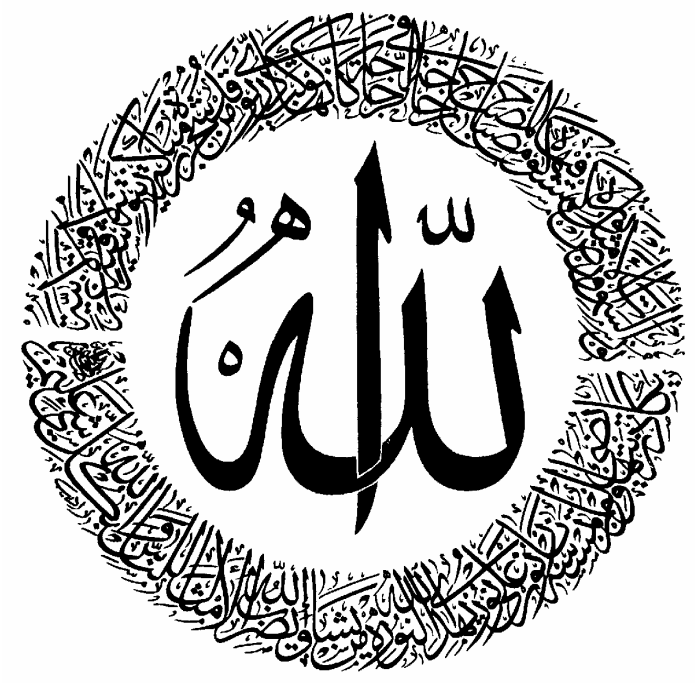
لله هو

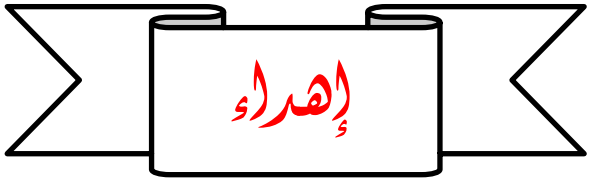

- إلىٰ الذين تاقت أنفسهم للحديث عن القِصَصْ، والقَصَصْ، والواجبات العملية.
- إلىٰ من أرادوا فَتْح أبواب للثواب لا تُغلق بعد الوفاة.
- إلىٰ القلوب التي اشتاقت إلىٰ مشاركة الملائكة في بعض صفاتها.
- إلىٰ من أراد يومًا بلا ذنب، ونفسًا بلا حقد، وروحًا ترقب الدرجات العلا.
- إلىٰ والدي -أحسن الله ختامه-.
- إلىٰ أمي -رحمها الله-، وإلىٰ زوجتي -الصابرة-، وأولادي حسام، وعبد الرحمن، وزياد، وجودي -حفظهم الله-.
- إلىٰ كل من علمني، وإلىٰ كل من راجع وصحح، وأفاد.
- إلىٰ كل هؤلاء أهدي تلك الكلمات سائلاً الله الإخلاص.

الفقير إلىٰ عفو ربه

هشام محمد عاطف السعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله المُطَّلِع علىٰ عباده، عالم سِرَّهم وخفاياهم، بيده مقاليد أمورهم، وصلاح أحوالهم، برضاه يبلغ الإنسان أعلىٰ الدرجات، وبسخطه يهوي في الدركات.

والصلاة والسلام علىٰ الرحمة المهداه، محمد بن عبد الله ﷺ، وبعد:

فإنَّ من رحمة الله، وفضله أن جعل لنا محطات للتوبة، والإنابة، والصُلح مع الله، والتزود من التقوىٰ التي ليس لها جزاء إلا الجنة ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣].

وكثيرًا ما كنت أستاء من بعض الخُطباء الذين يمضي درسهم أو خُطبتهم ما بين القِصَصْ، والقَصَصْ دون ذِكر الواجبات العملية التي يخرج بها المستمع لِتُغَيّر من سلوكياته، وتوصله إلىٰ مكارم الأخلاق التي عَلَّلْ النبي ﷺ بعثته كلها بها.

وكنت مثل الكثيرين أقع في حَيْرة بعد مرور عدة أيام من شهر رمضان، ماذا سأقول؟ وما المفيد الجديد الذي سأُخاطب به المستمعين؟ ما سبق وغيره دعاني لِجَمع عِدة دروس تجمع بين الرقائق، والفرائض، الداء والعلاج، القَصَصْ والواجبات العملية.

- وقد صنفت العمل إلىٰ عبادات، ومعاملات، وأخلاقيات، وتحت كل عنوان سلسلة من الدروس، وربما يحتوي الدرس الواحد علىٰ الثلاثة مجتمعين؛ لأن الفصل بينهم في درس عام أو خُطبة عامة أمر صعب.

- وقد ألزمت نفسي بالأحاديث الصحيحة، وإن لم يكن في الصحيحين ذكرت

درجته، وأقوال الثقات فيه.

- وقد رتبت الدروس أولاً التي يغلب عليها العبادات ثم أدت إلىٰ المعاملات ثم سمت بالنفوس إلىٰ الأخلاقيات.

- إلىٰ الذين أرهقهم همّ الماديات، فأرادوا أن يُعلنوا انتصار الرُوح علىٰ الجسد.

- إلىٰ الذين يشتاقون إلىٰ التذلل والإنابة بين يدي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.

- إلىٰ الذين بَعُدُوا قليلاً عن المنهج، فشعروا بغربة فأيقنوا ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨] فألقوا بأنفسهم، وما يملكون في رحاب عفو الله ومغفرته.

- ولا أنسىٰ أن أذكر أن هناك أمورًا عامة، وهناك أمورًا خاصة كل خطيب أدرىٰ بها، فربما رتب الدروس ترتيبًا آخر يراه مناسبًا، وربما أطال المقدمة أو أطال دعاء الخاتمة، ربما نقل قصة من مكان إلىٰ آخر، هذه الأمور متروكة لكل خطيب حسب ما يراه، وحاجة جمهوره.

والله أسأل الإخلاص، والقبول، ولا أستغنىٰ عن إبداء الملاحظات والمقترحات لتسديد الخلل، فالمرء قليل بنفسه، كثيرًا بإخوانه.

هشام محمد عاطف السعيد

Hesham_2021a@yahoo.com

❁ الأبواب الرئيسة والدروس ❁

أولاً: العبادات:

١- ارفع همتك.
٢- صيام الجوارح.
٣- الصيام والعمل.
٤- أفلا يتدبرون القرآن.
٥- الرسول يزورك.
٦- لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله.
٧- وعجلت إليك ربي لترضىٰ.
٨- لتأمرن بالمعروف.
٩- الإخلاص وقبول العمل.
١٠- ونكتب ما قدموا وآثارهم.
١١- وبالأسحار هم يستغفرون.
١٢- نعيم الجنة.
١٣- أدومها وإن قل.

ثانيًا: المعاملات:

١٤- يوم بلا ذنب.
١٥- لا تأخذ شيئًا إلا بحقه.
١٦- الزوجة في رمضان.
١٧- ما كان الرفق في شيء إلا زانه.
١٨- التحرر من أسر العادة.

ثالثًا: الأخلاقيات:

١٩- كلمات التائبين.

٢٠- أفضل ليالي العمر.

٢١- الشكر من لوازم الإيمان.

٢٢- صلة الأرحام.

٢٣- العفو جزاؤه الجنة.

٢٤- وقولوا للناس حُسنا.

٢٥- ومن يوق شح نفسه.

٢٦- الرضا راحة النفوس.

٢٧- كل الناس يغدو.

٢٨- المؤمن والابتلاء.

٢٩- قوا أنفسكم وأهليكم.

٣٠- التوبة الدائمة.

٣١- حسن الخاتمة.

(١) ارفع همَّتك

الحمد لله الذي فضَّل شهر رمضان علىٰ سائر الشهور، وفضَّل أيامه علىٰ سائر الأيام، وضاعف فيه الأجور والإنعام، والصلاة والسلام علىٰ النبي ﷺ.

وبعد:

حديثنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول «ارفع همتك».

قال -تعالىٰ-: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم: ١٢]، وهو أمر برفع الهمة، والعزيمة للعمل، والهِمَّة هي الهوىٰ والميل، والعزم القوي، والجمع: همم.

قال -تعالىٰ-: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [النجم: ٢٩]، وقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [التوبة: ٣٨].

وهل يرضىٰ عاقل بالدنيا بدلاً عن الآخرة؟! ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقوله ﷻ: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [النساء: ١٣٤]، ظاهر في حصول الخير في الدنيا، والآخرة أي بيده هذا وهذا فلا يقتصرن قاصر الهمة علىٰ السعي للدنيا فقط، بل لتكن همته سامية إلىٰ نيل المطالب العالية في الدنيا والآخرة، فإن مرجع ذلك كله إلىٰ الذي بيده الضر والنفع[(١)].

وهذه إشارة واضحة لأن يرتقي الإنسان بهمته؛ حتىٰ لا تضيع الأعمال هباءً منثورًا.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، (٢/ ٤٣٢)، ط٢، ٨ أجزاء، (دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

ويقول -تعالىٰ-: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠-١١].

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ويقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ وَمَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ وَيَبْغَضُ سَفَاسِفَهَا**»[(١)]، ويقول ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ الْجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهَا أَعْلَىٰ الْجَنَّةِ، وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ**»، وفي رواية: «**وَفَوْقَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ**»[(٢)].

إن رفع الهمة هو نداء الله لنبيه محمد بن عبد الله ﷺ، فعندما فقد عمه، وزوجته في عام الحزن، وقد زاد حزنه أن عمه مات كافرًا، ففقد الدعم الخارجي، والحماية في صورة عمه، وفقد السند الداخلي بموت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها التي توفيت في رمضان، وزاد أذىٰ المشركين للنبي ﷺ بل فرضت قريش حصارًا شديدًا علىٰ (بني هاشم) و(بني المطلب)، واستمر الحصار ثلاث سنوات، حتىٰ أكل الصحابة أوراق الشجر، وحاول النبي ﷺ نشر الدعوة خارج مكة، ولجأ إلىٰ الطائف، وللأسف وجدهم أكثر عنادًا، فسبوه وأهانوه، وفي هذا الجو القاتم الذي يدعو إلىٰ الإحباط يأتي الأمر الإلهي برفع الاهتمام، والخروج من هذه الأزمة، كأنها رسالة للنبي ﷺ وإلىٰ أمته أنتم أصحاب دعوة لا ينبغي أن تستغرقكم المشكلات، وتُدخلكم داخل دائرة مغلقة، ويأتي الأمر بالإسراء والمعراج، يا محمد لا تلتفت إلىٰ هؤلاء، وتعال لتتلقىٰ من الله ﷻ، وتقابل الأنبياء، وتصلي بهم.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٨/ ٦)، والألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٣٧٨).

(٢) صحيح، رواه البخاري برقم (٢٧٩٠، ٧٤٢٣)، ذكره ابن تيمية في تلبيس الجهمية (٤/ ٨).

واجبات عملية

- وعلىٰ المسلم أن يسمو باهتمامه في عدة مجالات، كي يصفو قلبه للعبادة.

- ارفع اهتمامك، وتجاوز عن خلافات الجيران، بل قدم العفو والصلح لله.

- ارفع اهتمامك عن تصفية الحسابات مع أي شخص؛ فليس لدىٰ المسلم وقت يُضيعه هنا وهناك، وليس لديه مشاعر خاوية ينفقها في غير مكانها الصحيح، فهو حريص علىٰ ألا يقع في لغو الاهتمام والشعور.

- ارفع اهتمامك واخرج من دائرة المشاكل، ولا تحبس نفسك في فكرة بعينها، اخرج فأنت صاحب دعوة.

بعض الناس يتطلع إلىٰ ما رزق الله به الآخرين، وربما يتحَسر علىٰ نفسه؛ لأنهم يملكون ما لا يملك، قال -تعالىٰ-: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [طه: ١٣١]، وقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ﴾ أبلغ من لا تنظرن، لأن الذي يمد بصره إنما يحمله علىٰ ذلك حرص مقترن، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه... ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ أي ثواب الله علىٰ الصبر، وقلة المبالاة بالدنيا أولىٰ؛ لأنه يبقىٰ، والدنيا تفنىٰ[(١)].

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تصْغُرَنَّ هِمتُكم فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم»[(٢)].

وقال بعض الحكماء: الهمة راية الجِد[(٣)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش (١١/ ٢٦٢)، ٢٠ جزءًا، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص٤٠٢).

(٣) المرجع السابق.

ويقول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «علو الهمة من الإيمان»[١].

ويقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد -في حلية طالب العلم-: «من سجايا الإسلام التحلي بكبر الهمة، فكبر الهمة يجلب لك -بإذن الله- خيرًا غير مجذوذ، يُجرىٰ في عروقك دم الشهادة، والركض في ميدان العلم، والعمل، فلا تُرىٰ واقفًا إلا علىٰ أبواب الفضائل، ولا باسطًا يديك إلا لمهمات الأمور»[٢].

ويقول ابن القيم: «إنما تَفَاوت القوم بالهمم لا بالصور، فمن علت همته، وخشعت نفسه، اتصل بكل جميل، ومن دنت همته، وطغت نفسه اتصل بكل خلق رذيل. ويقول: اعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلىٰ الله بقلبه وهمته، لا ببدنه، والتقوىٰ في الحقيقة تقوىٰ القلوب لا تقوىٰ الجوارح»[٣].

وقال أحمد شوقي: «الطير يطير بجناحيه، والمرء يطير بهمته»[٤].

وقال البارودي:

ومن تكن العلياءَ همة نفسه فكلُ الذي يلقاه فيها مُحبب[٥]

ويقول الشيخ محمد أحمد إسماعيل المقدم في علو الهمة: «قد ذم الله ساقطي الهمة، كما قص علينا من قول موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١] فهذا من سفالة الهمة وسقوطها. ومن دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) روح البيان، إسماعيل حقي (٧/ ٢٩١).

(٢) حلية طالب العلم، بكر أبو زيد (١/ ٢٤)، المكتبة الشاملة.

(٣) الفوائد لابن القيم (ص٧٧، ٢١١، ١٤١).

(٤) نقلاً عن كتاب صيد الأفكار في الأدب والأخلاق، للقاضي حسين بن محمد المهدي (٢/ ٣٣٠).

(٥) قصيد: سواء بتحنان الأغاريد يطرب.

«**وَأَسْأَلُكَ الْعَزِيمَةَ عَلَىٰ الرُّشْدِ**» يعني أن تتحرك همته دومًا نحو الرشاد، والأعمال الصالحة، وكان يتعوذ من العجز والكسل، بل كان يمتدح أصحاب الهمم فيقول ﷺ: «**لو كان الإيمان عند الثُريا لناله رجال من فارس**»(١).

والمؤمن همته كلها تدور مع إرضاء ربه، قال بشر بن الحارث: «ما اتقىٰ الله من أحب الشهرة»(٢).

والمنافسة الحقيقية التي ينبغي أن تكون، وتُصرف لها الهمم العالية هي علىٰ أمور الآخرة. قال الحسن البصري: «من نافسك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره»(٣).

ومن أسباب انحطاط الهمم:

- الوهن وهو حب الدنيا وكراهية الموت.
- إهدار الوقت وتضيعه.
- العجز والكسل؛ لذا كان النبي ﷺ يستعيذ منهما صباحًا ومساءً.
- التسويف والأماني ﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ [النجم: ٢٤].
- الانحراف في فهم العقيدة.
- الغفلة؛ ولذا كان يوصي المعصوم ﷺ بذكر هادم اللذات.

---

(١) رواه البخاري (١٨٥٨/ ٤ رقم ٤٦١٥)، مسلم (١٩٧٢/ ٤ رقم ٢٥٤٦).
(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني (٨/ ٣٤٦).
(٣) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (٢٠٧/ ٣).

من وسائل تقوية الهمم:

- مخالطة أهل الهمم العالية، فكل قرين بالمُقارن يهتدي.

- الترفع عن الصغائر، وإدراك ضخامة العمل اللازم.

- استشعار عِظم الأجر والثواب من الله ﷻ فإن سلعة الله غالية، وسلعة الله هي جنة عرضها السموات والأرض.

- القراءة في سيرة النبي ﷺ وأصحابه الكرام، والأئمة الأعلام، وكيف كان حرصهم علىٰ الطاعات، والأوقات.

مظاهر وفوائد علو الهمة:

- أن يدعو الإنسان له، ولكل المؤمنين والمؤمنات: والرجل يقول: اللهم ارحمني، ومحمدًا، ولا ترحم معنا أحدًا فيقول له ﷺ: «**لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا**»[(١)].

- تحصيل الأجور المتعدية، وفي الحديث: «**مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**»[(٢)].

فبهمته العالية، وطموحه فعل ثواب كذا بأموال كذا، وعمل الصدقات كل هذا مأجور عليه بالنية، وإن لم يفعله.

- ومن المظاهر وأسباب الارتقاء: العلم والبصيرة، وكثرة ذكر الموت.

- الاجتهاد في حصر الذهن، وتركيز الفكر في معالي الأمور.

قال ابن القيم: «علو الهمة، ألا تقف دون الله، ولا تتعوض عنه بشيء سواه، ولا ترضىٰ بغيره بدلاً منه، فعلو الهمة للمرء: عنوان فلاحه، وسُفُول همته عنوان حرمانه،

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب برقم (٥٥٥١).

(٢) رواه البخاري (٦١٢٦).

ولا بد للسالك من همة تسيره وترقيه، وعلم يبصره ويهديه»[١].

قال الشيخ محمد الخضر حسين رَحِمَهُ اللَّهُ: «كبير الهمة دومًا في عناء، وهو أبدًا في نصب لا ينقض، وتعب لا يفرغ؛ لأن من علت همته، وكبرت طلب العلوم كلها، وطلب من كل علم نهايته، وهذا لا يحتمله البدن»[٢].

نماذج من أصحاب الهمم العالية:

سلَّ المجاهدون خنجر الخوف، فذبحوا به كبش الكسل، ففزع النوم وطار، ودوَّىٰ في أسماعهم صوت الحق: (هل من داع) فلبوا النداء، واستنشقت أنوفهم عبير الجنة حملته رياح الأسحار، فاشتد الشوق، وقوي العزم، ونصبت الأقدام[٣].

- الإمام أبو زكريا بن شرف الدين النووي: يموت في الخامسة والأربعين من عمره (٦٣١-٦٧٦هـ)، ويترك من المؤلفات ما قسموه بعد موته علىٰ أيام حياته، فكان نصيب كل يوم أربع كراريس، فكيف يتم له ذلك؟ اسمع منه يُجيبك: «وبقيت سنتين لم أضع جنبي علىٰ الأرض». ينام علىٰ الكتاب، أما نحن ننام علىٰ نهاية الإرسال أو علىٰ غيره من الملهيات.

- قال الخطيب البغدادي: سمعت علي بن عبيد الله بن عبد الغفار اللُغوي يحكي أن محمد بن جرير الطبري المتوفىٰ عام (٣١٠هـ) عن ثلاث وثمانين سنة مكث أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة. أي أنه رَحِمَهُ اللَّهُ كتب ما يقرب من (٥٨٤٠٠٠) أربعة وثمانين وخمسمائة ألف ورقة.

إن المرء ليقف مشدوهًا أمام هذا الرقم الذي لا يُعرف لِعالِم في تاريخ البشرية.

---

(١) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية (٣/ ١٧١).

(٢) سلسلة علو الهمة، محمد أحمد إسماعيل المقدم، (١٣/ ١).

(٣) فيض المنان في دروس رمضان، الشيخ أحمد عبد الرحمن السعدني، (ص٣٣).

- يقول أبو فرج الجوزي: «كتبت بأصبعي هاتين ألفي مجلد، وتاب علىٰ يدي مائة ألف، وأسلم علىٰ يدي عشرون ألف يهودي ونصراني».

وقال أيضًا: «لو قلت أني قد طالعت عشرين ألف مجلد، كان أكثر، وأنا بعد في طلب العلم».

- كان أبو بكر بن عياش يقول: «لو سقط من أحدهم درهم لظل يومه يقول: إنا لله ذهب درهمي، وهو يذهب عمره، ولا يقول: ذهب عمري، وقد كان لله أقوام يبادرون الأوقات، ويحفظون الساعات، ويلازموها بالطاعات»[١].

- وهذا محمد بن واسع: كان إذا جنَّ عليه الليل يقوم ويتهجد ويقول أهله: «كان حاله كحال من قتل أهل الدنيا جميعًا، فهو يحمل هما كبيرًا جعله صاحب همة عالية».

ويقول الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَنَــا إِنْ عِــشْتُ لَــسْتُ أُعْــدِمُ قوتًــا وَإِذَا مِــتُّ لــستُ أُعــدِمُ قَبــرًا

هِمَّتــي هِمَّــةُ المُلُــوك ونَفْــسِي نَفْــسُ حــرٍّ تــرىٰ المذلَّــة كُفْــرًا[٢]

فعلىٰ الإنسان أن يخرج من سرادب الأماني، وأن يهجر أغلال الكسل، وكل من سار علىٰ الدرب وصل.

ومن أراد المعالي هان عليه تسلق الجبال، وعبور الحواجز والعقبات، وإلا لولا المشقة والبذل والتضحية لساد الناس كلهم.

اللهم اجعلنا ممن علت همتهم، ولا يرضون بغير رضاك بديلاً.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ النبي محمد، وآله وصحبه وسلَّم

---

(١) سباق نحو الجنان، د. خالد أبو شادي (ص٢٢-٢٤)، (القاهرة: الأندلس الجديدة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

(٢) ديوان الشافعي (ص١٩).

(٢) صيام الجوارح

الحمد لله الذي أرشد خلقه إلىٰ أسمىٰ الأخلاق، وأمرهم بحفظ الجوارح عن سيئ الفعال، وجعل الجنة دار الأتقياء، والصلاة والسلام علىٰ من كان خلقه القرآن.

وبعد:

أمر الخالق ﷻ بالعبادات طاعة له، ولتحسين الأخلاق، وللوصول إلىٰ درجة التقوىٰ التي ليس لها جزاء إلا الجنة.

وصيام الجوارح وصونها عن المحارم هدف فريضة الصيام الموصلة للتقوىٰ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. ودرجة التقوىٰ لا يبلغها الإنسان إلا بصيام جوارحه، ووقايتها من أن تعمل في غير مراد الله، ولا يُحَصِل درجة التقوىٰ من أطلق لسانه، وبصره، ويده، ورجله، وفرجه، وأذنه، وبطنه بغير ضابط قويم، ومعيار صحيح، وتوجيه سليم من الذي خلقهم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

ضوابط الصيام الصحيح

يقول النبي ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»[(١)].

والمعنىٰ ليس لله حاجة في أن يترك الإنسان طعامه وشرابه إلا لترك قول الزور والعمل به، وقول الزور يشترك فيه اللسان والقلب، والأذن، والعين في كثير من الأحيان، والعمل بقول الزور يشمل اليد أو الرجل أو العين أو الأذن أو جميعها.

---

(١) البخاري (١٩٠٣، ٦٠٥٧)، وأبو داود (٢٣٦٢).

وزيادة في الإيضاح يُخبر النبي ﷺ: «**فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ شَاتَمَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرِؤٌ صَائِمٌ**»[١].

والرفث فحش القول، والصخب، والسخب: الصياح والخصومة وقال ابن العربي: مقتضىٰ الحديث ألا يُثاب علىٰ صيامه، بل ورأىٰ ابن حزم أن هذه الأشياء تُبطل الصوم كما يبطله الطعام والشراب[٢].

هذا وإن كان رأي الجمهور أن المعاصي لا تُبطل الصوم وإن كانت تخدشه، وتصيب منه، بحسب صغرها أو كبرها[٣].

وكل مخالفة للجوارح تُنقص من أجر الصائم، حتىٰ إذا كَثُرت ذنوبه ذهبت بأجر الصيام، وفي الحديث: «**رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ**»[٤].

وفي رواية: «**رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ**»[٥].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ليس الصيام من الشراب والطعام وحده، ولكنه من الكذب، والباطل، واللغو»[٦].

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب، والمأثم، ودع أذىٰ الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا

---

(١) متفق عليه، البخاري (١٨٩٤)، مسلم (١١٥١).
(٢) فتاوىٰ معاصرة، د. يوسف القرضاوي (١/ ٥٣٤).
(٣) فقه الصيام، د. يوسف القرضاوي (١/ ٩٠).
(٤) صحيح الترغيب والترهيب (١٠٨٣)، وقال الألباني: حسن صحيح.
(٥) صحيح ابن حبان، والألباني في الترغيب (١٠٨٣).
(٦) فتاوىٰ د. حسام عفانة (٩/ ٦٩).

تجعل يوم فطرك ويوم صومك سواء»[١].

ولا بد لصيام الجوارح من أمور: يذكرها الشيخ عائض القرني

- **صيام القلب**، صح عنه ﷺ أنه قال: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[٢].

وصيام القلب يكون بتفريغه من المادة الفاسدة من شركيات مُهلكة، ومن اعتقاد باطل، ومن وساوس سيئة، ومن نوايا خبيثة، ومن خطرات موحشة.

- **صيام اللسان** وهذا يعرفه الذين هم عن اللغو معرضون وصح عنه ﷺ أنه قال لمعاذ رضي الله عنه: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»، وأشار إلىٰ لسانه. وقال: «**وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما يقول للسانه: «يا لسان قل خيرًا تغنم، أو اسكت عن شر تسلم. رحم الله مسلمًا حبس لسانه عن الخنا، وقيده عن الغِيبة، ومنعه من اللغو، وحبسه عن الحرام».

وفي اللسان أكثر من عشرة أخطاء إذا لم يُتحكم فيه، من عيوبه: الكذب، الغِيبة، والنميمة، والبذاء، والسب، والفحش، والزور، واللعن، والسخرية، والاستهزاء، وغيرها.

- **صيام العين** وهو غضها عن الحرام، وإغماضها عن الفحشاء، وإغلاقها عن المناهي، فالعين منفذ للقلب، وباب للروح.

---

(١) فتاوىٰ د. حسام عفانة (٩/ ٦٩).

(٢) متفق عليه، البخاري (١/ ٢٨-٥٢)، مسلم (٣/ ١٢١٩).

(٣) صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٦٤).

ومن لم يحبس بصره أصيب بأربع مصائب

أولها: تشتت القلب في كل واد، وتمزقه في كل أرض.

ثانيها: إتعاب النفس بفقد ما نظرت، وعدم تحصيله، فالنفس من فعل العين في حسرة وفي هم واضطراب.

ثالثها: ذهاب العبادة، وحلاوة الطاعة بإطلاق النظر وفي هذه الحالة قل علىٰ نور الإيمان السلام، ولا يجد ذوق الإيمان، واليقين إلا من غض بصره، وأطبق أجفان عينيه.

رابعها: ذنب عظيم، وإثم كبير جزاءً وفاقًا لما فعلت العين بالأعراض.

- **صوم الأذن** عن سماع الخنا والغناء، وعن الفحش والبذاء، وللأبرار صيام عظيم عن سماع ما يغضب الله ﷻ في رمضان وغيره.

وسماع الحق يزيد القلب ثباتًا علىٰ الحق، وسماع الباطل يورث القلب آثار الباطل.

- **صوم البطن** وهو اجتنابه للحرام، زيادة علىٰ اجتنابه الطعام والشراب، وكل ما يُفَطِر من نهار رمضان، ويصوم عند فطره كذلك عن الحرام فلا يأكل الربا.

فسدت والله الأذواق لمَّا فسد الطعام والشراب، وقست القلوب لمَّا خَبُث المأكل والمشرب، وانطمس النور لمَّا فُقدت اللقمة الحلال[1].

- والصيام علىٰ ثلاث أنواع: صوم العوام، وصوم الخواص، وصوم خواص.

أما صوم العوام: فهو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج، وما يقوم مقامهما من الفجر إلىٰ الغروب، مع إرسال الجوارح في الزلات، وإهمال القلب في الغفلات.

---

(١) ثلاثون درسًا للصائمين، الشيخ عائض القرني، (ص٢٦-٤٠) بتصرف يسير.

أما صوم الخواص: فهو إمساك الجوارح كلها عن الفضول، وهو كل ما يشغل العبد عن الوصول، وحاصله حفظ الجوارح الظاهرة والباطنة عن الاشتغال بما لا يعني.

- **صوم خواص الخواص:** فهو حفظ القلب عن الالتفات لغير الرب، وحفظ السر عن الوقوف مع الغير[١].

- وصيام الجوارح عمليًّا طاعة لله تدعو طاعات أخرىٰ، قال رجل لإبراهيم بن أدهم: «إني لا أقدر علىٰ قيام الليل، فصف لي دواء، فقال له: لا تعصه بالنهار، وهو يقيمك بين يديه بالليل، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف»[٢].

اللهم اجعلنا من الحافظين لجوارحهم، القائمين بأمر الله فيها.

وصلىٰ الله علىٰ النبي الأمي محمد ﷺ، وآله وصحبه وسلم.

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة (ص٢٢٩).

(٢) صفقات رابحة، د. خالد أبو شادي، (ص١٣٧).

(٣) الصيام والعمل

الحمد لله الذي جعل الجنة للعاملين بطاعته، والصلاة والسلام علىٰ خير من علم وعمل، وعلم أمته أن الجزاء علىٰ العمل والصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ.

وبعد:

حديثُنا بعون الله ومدده، حول الصيام والعمل؛ فإن «الدين المعاملة» عبارة صحيحة تمامًا يؤكدها الفهم الصحيح للقرآن والسنة، وإن كانت ليست حديثًا صحيحًا كما يؤكد المطيعي، والألباني، وابن باز وغيرهم[(١)].

قال -تعالىٰ-: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

قال سفيان ابن عيينة لما سُئل عن فضل العلم: «ألم تسمع قوله حين بدأ به قال: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ فأمر بالعمل بعد العلم».

وفي حديث النبي ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ**» ومنها: «**وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ**»[(٢)].

لا تحرق نفسك

يقول النبي ﷺ: «**مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَىٰ نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ**»[(٣)]. وفي رواية البزار قال: «**مَثَلُ الْفَتِيلَةِ**»، والمؤمن حريص

---

(١) قال الشيخ محمد نجيب المطيعي الشافعي المذهب: لا أصل له، وقال الألباني: لا أصل له، وقال ابن باز: ليس بحديث، ولا يُفهم أن صاحب المعاملة الحسنة صاحب دين، وإن فقد التوحيد، وأن صاحب التوحيد لا دين له إن فقد حُسن المعاملة.

(٢) أخرجه الترمذي (١٠١/ ٧) وقال: حديث صحيح، انظر صحيحة الألباني رقم (٩٤٦).

(٣) صحيح الجامع، محمد ناصر الدين الألباني (٥٨٣١)، صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني (١٣١).

علىٰ أن يقول ما يفعل؛ لكبر المقت والغضب من الجبار علىٰ من يقول ما لا يفعل.

بالعمل يُحبك الله ويُحببك إلى خلقه

قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦].

الذين آمنوا بالله ربًّا واحدًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، وآمنوا بما نُزل فأحلوا حلاله وحرموا حرامه، وآمنوا بالملائكة، وبالقضاء والقدر خيره وشره. هؤلاء سيجعل لهم الرحمن ودًّا، ومحبة في قلوب العباد، ينادي جبريل -بأمر من الله- في أهل الأرض وأهل السماء: إن الله يُحب فُلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويحبه أهل الأرض، ويوضع له القبول في الأرض.

قال ابن عباس في قوله -تعالىٰ-: ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ قال: «الود من المسلمين في الدنيا، والرزق الحسن واللسان الصادق».

وعن مجاهد قال: «يُحبهم ويُحببهم إلىٰ خلقه».

وقال قتادة: «ما أقبل عبد إلىٰ الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه وزاده من عنده»[(١)]. وفي الحديث الصحيح: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا نَادَىٰ جِبْرِيلَ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ**»[(٢)].

ساعات يتحسر عليها أهل الجنة

يجمع الأوزاعي تلاميذه؛ ليشرح لهم الحديث فيقول: «ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة علىٰ العبد يوم القيامة يومًا يومًا وساعة ساعة، ولا تمر ساعة

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق أحمد شاكر (١٨/ ٢٦٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب (٨/ ١٧).

لم يذكر الله فيها إلا انقطعت نفسه عليها حسرات فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة، ويوم مع يوم، وليلة مع ليلة»؟!.

ثم يقول الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن المؤمن يقول قليلًا، ويعمل كثيرًا، وإن المنافق يقول كثيرًا ويعمل قليلًا»[(١)].

وفي القرآن الكريم عشر آيات ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...﴾ وليس في القرآن الكريم مطلقًا (إن الذين آمنوا وعلموا الصالحات).

والمسلم أثناء صيامه مطلوب منه أن يسمو بنفسه ليطهرها من أوزارها ثم ليرتقي بها في شعب الإيمان، وصفات المتقين، وعليه أن يتعامل بالتخلية والتحلية، التخلي عن الرذائل، واكتساب الصفات الحميدة، والأخلاق القويمة التي يعلل النبي ﷺ بعثته كلها بقوله: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**»[(٢)]، وفي رواية مكارم الأخلاق، وصالح الأخلاق في صحيح ابن حبان، ومكارم الأخلاق للبخاري، وحسن الأخلاق رواية مالك -رحمهم الله جميعًا-.

وليس مقبولًا من الصائم أن يضيع وقته في الثرثرة، والغِيبة، والنميمة، واللغط، وهذه الأمور أقل الأقوال فيها أنها ذنوب تُنقص أجر الصائم، ولكن الواجب علىٰ الصائم أن يستفيد من كل دقيقة لصالح الدين، وبما يخدم دينه، وذِكر أحوال سلف الأمة، وكيف كانوا يجتهدون في العبادة في شهر رمضان؟.

---

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، ط٤، (ص١٤٢) (بيروت: دار الكتاب ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م).

(٢) فتح الباري (٦٦٠/ ٦)، البخاري في الأدب المفرد (٢٧٣).

أحداث وقعت في شهر الانتصارات

١- في (١ رمضان ٢٠هـ/ ٦٤١م) دخل الفتح الإسلامي مصر علىٰ يد القائد عمرو بن العاص.

٢- في (٢ رمضان ٨٢هـ/ ٧٠١م) فتح القائد حسان بن النعمان المغرب الأوسط (الجزائر)، وفي (٢ رمضان ١٣٢هـ/ ٧٥٠م) أقام عبد الله أبو العباس في دمشق وأسس الدولة العباسية، وفي (٢ رمضان ٨هـ/ ٦٢٩م) خرج النبي ﷺ إلىٰ فتح مكة.

٣- في (٣ رمضان ١هـ/ ٦٢٣م) عقد النبي ﷺ أول لواء لحمزة بن عبد المطلب لاعتراض عير قريش بقيادة أبي جهل.

في (٣ رمضان ٢هـ/ ٦٢٤م) بدأ الزحف إلىٰ بدر بقيادة النبي ﷺ.

٤- في (٤ رمضان ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م) فتح السلطان العثماني سليم الأول بلغراد التي كانت مفتاح أوربا الوسطىٰ.

٥- في (٥ رمضان ٥٣٤هـ/ ١١٤٠م) سار المجاهد عماد الدين زنكي إلىٰ حوران عازمًا علىٰ قتال الفرنج قبل أن يجتمعوا بالدمشقيين، فلما سمع الفرنج لم يتحركوا لخوفهم، وشهد (٥ رمضان) أمر السلطان صلاح الدين الأيوبي بتعمير أسطول الأسكندرية البحري.

٦- في (٦ رمضان ٦٣هـ/ ٦٨٣م) انتصر محمد بن القاسم علىٰ جيوش الهند، وتم فتح بلاد السند.

٧- في (٧ رمضان ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م) تمكن القائد العثماني «طرغد بك» من أن يستولي علىٰ جزيرة كوريكا ومدينة كاتانيا في صقلية، ويخلص سبعة آلاف أسير مسلم.

٨- في (٨ رمضان ٦٤هـ/ ٦٨٤م) انتصر عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) علىٰ جيش شارلمان.

٩- في (٩ رمضان ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م) انتصر يوسف بن تاشفين علىٰ الفرنجة في معركة الزلاقة.

١٠- في (١٠ رمضان ٨هـ/ ٦٣٠م) قام النبي ﷺ وأصحابه بالتحرك لفتح مكة، وسُمي بعام الفتح، وفي (١٠ رمضان ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) انتصر الجيش المصري علىٰ (الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة).

١١- في (١١ رمضان ١٣هـ/ ٦٣٤م) انتصر المسلمون بقيادة المثنىٰ بن حارثة رضي الله عنه علىٰ الفرس بقيادة مهران بن بازان وقتل من الفرس ١٠٠ ألف، وتعتبر هذه المعركة بالعراق نظير اليرموك بالشام.

١٢- في (١٢ رمضان ٦٦٦هـ/ ١٢٦٨م) حُررت أنطاكية علىٰ يد الظاهر بيبرس من الصليبيين.

١٣- في (١٣ رمضان ١٥هـ/ ٦٣٦م) فتح بيت المقدس حيث وصل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلىٰ فلسطين بعد معارك ضارية لجنود الإسلام لفتح ديار الشام، وتسلم مفاتيح القدس، وكتب لأهلها يؤمن أرواحهم وأموالهم.

١٤- في (١٤ رمضان ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م) سيطر المسلمون علىٰ مدينة سرقوسة في جزيرة صقلية.

١٥- في (١٥ رمضان ١٣٨هـ/ ٧٥٦م) عبر عبد الرحمن الداخل المعروف (بصقر قريش) البحر إلىٰ الأندلس ليؤسس دولة إسلامية قوية، وهي الدولة الأُمَوية في الأندلس.

وفي (١٥ رمضان عام ٣٧هـ/ ٦٥٨م) تولىٰ محمد بن أبي بكر الولاية علىٰ مصر من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عقب وفاة الأشتر بن مالك والي مصر.

١٦- في (١٦ رمضان ٤٠٩هـ/ ١٠١٩م) فتحت الدولة الغزوانية كشمير، وصام المسلمون لأول مرة في كشمير في ظل حكم الغزناويين بقيادة محمود الغزنوي.

١٧- في (١٧ رمضان ٢هـ/ ٦٢٣م) غزوة بدر الكبرىٰ (يوم الفرقان) التي انتصر فيها المسلمون علىٰ كفار مكة، وفي ١٧ رمضان ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م تحقق للمسلمين النصر علىٰ الدولة البيزنطية في معركة عمورية بقيادة الخليفة المعتصم العباسي الذي هب لنجدة المسلمين عندما سمع امرأة تستنجد به وتصرخ: «وا معتصماه».

١٨- في (١٨ رمضان ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م) استطاع يوسف بن تاشفين في الأندلس أن يجمع شمل المسلمين في الأندلس، ويقضي علىٰ التفرقة بين ملوك الطوائف هناك، وفي (١٨ رمضان ٢١هـ/ ٦٤٢م) توفي سيف الله المسلول بعد حياة كلها بين كر وفر وجهاد وفي سبيل الله، واتفق المسلمون في رمضان علىٰ رفع الراية إلىٰ خالد بن الوليد في غزوة مؤتة بعد استشهاد زيد، وجعفر، وعبد الله بن رواحة فقاتل قتالًا عنيفًا حتىٰ تكسر سبعة أسياف في يده، ورجع فسماه النبي ﷺ سيف الله.

١٩- في (١٩ رمضان ٦هـ/ ٦٢٧م) عاد النبي ﷺ من غزوة بني المصطلق.

٢٠- في (٢٠ رمضان ٨هـ/ ٦٢٩م) فتح المسلمون مكة ودخلها النبي ﷺ منتصرًا.

في (٢٠ رمضان) فتح المسلمون مدينة باب الخرمىٰ التي ادعىٰ فيها بابك الألوهية في عهد المعتصم العباسي.

٢١- في (٢١ رمضان) بدأ حفر قناة السويس في مصر، واستمر الحفر عشرة سنوات وشارك فيه ستون ألف مصري.

٢٢- في (٢٢ رمضان ٣هـ/ ٦٢٥م) توجهت سرية عمير بن عدي رضي الله عنه لقتال (عصماء) عدوة رسول الله ﷺ وهي يهودية تكيد للإسلام والمسلمين، وتؤذيهم، وفي (٨هـ/ ٦٣٠م) كانت غزوة الطائف.

٢٣- في (٢٣ رمضان ٣١هـ/ ٦٥٢م) انتصر المسلمون علىٰ الساسانيين بعد مقتل قائدهم يزدجر بن شهريار آخر ملوك الفرس، وانتهت بذلك دولة الفرس، وتم في (٢٣ رمضان ٩هـ/ ٦٣١م) هدم صنم اللات، حيث بعث النبي ﷺ المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فهدمها، وحرقها بالنار.

٢٤- في (٢٤ رمضان ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) وفاة صائد الدبابات الشهير في حرب أكتوبر (محمد عبد العاطي)، وسُجل اسمه في الموسوعات الحربية كأشهر صائد دبابات.

وفي (٢٤ رمضان ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) قامت الكويت، وقطر، والبحرين، ودبي بوقف تصدير البترول نهائيًّا للولايات المتحدة وبعض دول أوربا، وذلك تضامنًا مع مصر وسوريا في حربها ضد اليهود.

٢٥- في (٢٥ رمضان ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م) انتصر المسلمون بقيادة قطز علىٰ التتار في معركة عين جالوت، وهي مدينة قرب مدينة الناصرة في فلسطين.

وفي (٢٥ رمضان ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م) فتح المسلمون أرمينيا الصغرىٰ.

وفي (٢٥ رمضان) تم إرسال سرية خالد بن الوليد لهدم العزىٰ.

٢٦- وفي (٢٦ رمضان ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) كانت موقعة حطين التي تمكن فيها القائد صلاح الدين الأيوبي من هزيمة الصليبيين، وإنهاء الوجود الصليبي في المشرق.

٢٧- في (٢٧ رمضان ٦٥هـ/ ٦٨٤م) تولىٰ الخلافة الأموية عبد الملك بن مروان واجتمعت عليه كلمة المسلمين، وفي (٢٧ رمضان) فتح المسلمون قلعة فولك الحصينة في سلوفاكيا.

وفي (٢٧ رمضان ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) كانت الحملة العثمانية لفتح أوربا لمدة ستة أشهر أسفرت عن انتصارات باهرة لدولة الخلافة في أوربا.

٢٨- في (٢٨ رمضان ٩هـ/ ٦٣١م) جاء وفد ثقيف وأعلنوا دخولهم في الإسلام أمام النبي ﷺ.

وفي (٢٨ رمضان ٩٢هـ/ ٧٤١م) دارت معركة شذونة (وادي لكة) بين المسلمن بقيادة طارق بن زياد والقوط بقيادة لذريق، وكان النصر فيها حليف المسلمين.

٢٩- في (٢٩ رمضان ٤٨هـ/ ٦٨٨م) أمر عقبة بن نافع ببناء مدينة القيروان لتكون حصنًا للمسلمين.

٣٠- في (٣٠ رمضان) كان رجوع النبي ﷺ من بدر إلىٰ المدينة[1]، وفي (٣٠ رمضان) كان إسلام أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وهي أول من آمن به ﷺ، وفيه كانت وفاتها، وفي (٣٠ رمضان ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) توفي الإمام البخاري صاحب صحيح البخاري، وفي (٣٠ رمضان ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) ولد الإمام ابن حزم، وكان له رئاسة الوزراء فتركها واشتغل بالعلم.

اللهم استخدمنا ولا تستبدلنا، واجعلنا من العاملين لرفعة دينك، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم.

---

(١) رمضان وعلو الهمة، حمدي حسن، أحمد حنفي (مصر: الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م) بتصرف يسير، موسوعة البحوث والمقالات العلمية، الباحث علي بن نايف الشحود.

(٤) أفلا يتدبرون القرآن

الحمد لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام علىٰ من بَلَّغنا قوله -تعالىٰ-: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾.

وبعد:

حديثنا حول تدبر وتفهم كلام رب العالمين، حول دستور الأمة ومنهجها الرباني.

قال -تعالىٰ-: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

قال ابن القيم: «وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير؛ فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل والرضا، والتفويض، والشكر، والصبر، وسائر الأعمال والأحوال التي بها حياة القلوب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات، والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب، وهلاكه فلو علم الناس ما في قراءة القرآن لاشتغلوا بها عما سواها»[(١)].

سُئلت أسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ؟ قالت: «تدمع أعينهم، وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله في كتابه: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر: ٢٣]»[(٢)].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لا تهزوه هز الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل (أي التمر الرديء)، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة»[(٣)].

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، (١/ ١٨٧) بيروت: دار الكتب العلمية.

(٢) الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي (١/ ٢٧٦).

(٣) إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبي الحسن النيسابوري، (٢/ ٨٤٥) (بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

ولقد ذم ربنا ﷻ من لم يتدبر، ولم يحاول التدبر، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

يقول -تعالىٰ- مخبرًا عن المنافقين في بلادتهم، وقلة فهمهم حيث كانوا يجلسون إلىٰ رسول الله ﷺ ويستمعون كلامه، ولا يفهمون منه شيئًا فإذا خرجوا من عنده ﴿قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ من الصحابة: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ أي الساعة، لا يعقلون ما يُقال، ولا يكترثون له[(١)]. والخوف كل الخوف من عدم الاهتمام، وعدم بذل المحاولات للتدبر والفهم، فهذا مذموم كما يُفهم من الآية.

أقوال أهل الفضل والسبق

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا خير في قراءة ليس فيها تدبر»، وقال رجل لابن عباس: إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاث. فقال: «لأن أقرأ البقرة في ليلة فأتدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ كما تقول»[(٢)].

وكان الحسن البصري يقول: «يا بن آدم كيف يرق قلبك، وإنما هِمتك آخر السورة».

وكان الإمام مالك إذا دخل شهر رمضان يفر من الحديث، ومُجَالسة أهل العلم؛ ليتفرغ للقرآن[(٣)].

---

(١) الحافظ ابن كثير، تفسير ابن كثير (٧/ ٣١٥).

(٢) تفسير ابن كثير، (١/ ٧٨).

(٣) رمضان وثبة إلىٰ الجنة، د. أكرم رضا (ص٢١) (القاهرة: تنوير للنشر والترجمة ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

قال عبد الله بن عمر: «عليكم بالقرآن فتعلموه، وعلموه أبناءكم، فإنكم عنه تُسألون، وبه تُجزون، وكفىٰ به واعظًا لمن عقل».

ويقول مناع القطان: «ولذا كان تدبره واجبًا، حتىٰ يفتح مغاليق القلوب، وتستنير به الأفئدة، ويقود الناس إلىٰ الوقوف عند حدوده، والعمل بما فيه ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وله من روعة التنزيل، وجلال الأحكام والمواعظ ما تتصدع منه الجبال الرواسي، ولكن الله امتن علىٰ عباده، فجعل القرآن ربيع قلوبهم، وجلاء بصائرهم، ونور حياتهم»[(١)].

يقول ابن القيم: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به ﷻ منه إليه، فإنه خطاب منه لك علىٰ لسان رسوله».

قال السيوطي: «وتُسَن القراءة بالتدبر والتفهم، وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنىٰ ما يلفظ به، فيعرف معنىٰ كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك».

قال الشنقيطي: «تدبر آيات هذا القرآن العظيم أي: تصفحها، وتفهمها وإدراك معانيها، والعمل بها».

وأهل القرآن، وأهل معايشته، وتدبره، هم أهل الله وخاصته كما في الحديث: «**إِنَّ لِلهِ تَعَالَىٰ أَهْلَيْنِ مِنَ النَّاسِ**. قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: **هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**»[(٢)].

---

(١) تاريخ التشريع الإسلامي، مناع بن خليل القطان (١/ ٤٤)، مكتبة وهبة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
(٢) صحيح الجامع (٢١٦٥).

حال النبي ﷺ في القراءة في صلاة النافلة

كان النبي ﷺ في صلاة القيام يقرأ، ولا يمر بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه، وفي رواية لا يمر بآية عذاب إلا وقف يتعوذ[١].

علامات تدبر القرآن الكريم

١- اجتماع القلب والفكر حين القراءة.

٢- البكاء من خشية الله.

٣- زيادة الخشوع.

٤- زيادة الإيمان.

٥- الفرح والاستبشار.

٦- القشعريرة خوفًا من الله، ثم غلبة الرجاء والسكينة.

٧- السجود تعظيمًا لله ﷻ.

فمن وجد من هذه الصفات أو أكثر فقد وصل إلىٰ حالة التدبر والتفكير[٢].

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦/ ٩٢، ٦/ ٢٤).

(٢) مفتاح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، خالد عبد الكريم اللاحم، ص(١٠) (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

كيف نتدبر القرآن الكريم؟

مما يعين علىٰ التدبر والفهم القراءة في كتب التفسير، وحضور دروس العلم، ومصاحبة الأخيار، وسؤال أهل العلم، وهذا يساعد علىٰ فهم المعاني، وهو ضروري، فعلىٰ المسلم أن يُصَبِر نفسه لحضور درس العلم، ربما يعرف غالب ما يُقال، ولكن قد يستمع إلىٰ معنىٰ أو أكثر جديد يفيد في فهم الآيات والأحاديث.

من القراءة بتدبر معرفة الوقف والابتداء؛ حتىٰ لا يقف عند معنىٰ يُفهم منه غير المراد خطأ خطأً، ففي سورة الأعراف: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٤] وعلىٰ من يقرأ أن يقف عند يتفكروا ثم يبدأ ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ أي ليس بمحمد ﷺ جنة. أما إذا قرأ بالوصل ولم يقف كانت ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ (أي أولم يتفكروا بالجنة التي بمحمد)، وحاشاه ﷺ، فما (نافية أو قد تكون استفهامية في محل رفع المبتدأ)[1] وليست (ما) اسم موصول بمعنىٰ الذي.

ويقول آخر: ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٧]. إذا وقف عند ﴿فَأَكَلَهُ﴾ كان المعنىٰ أن يوسف عليه السلام أكل المتاع وليس المعنىٰ المراد منهم فأكله الذئب.

أو يقرأ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وهذا وقف لا يصح، وحاشا لله، فإن الخالق ﷻ لا يحمل إصرًا.

وبعضهم يقرأ: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٩]. فإذا أراد أن يقف لكثرة الأحكام في الآية، ثم يقرأ: ﴿مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن

---

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفىٰ درويش (٣/ ٥٠٢) (دمشق: بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

شَيْءٍ ﴾، وهو ابتداء قبيح كيف ينفي ما نزله ربنا ﷻ من قرآن كريم، وتوراة، وإنجيل، وزبور، وغيره من الكتب السماوية، وهو طبعًا لا يريد ذلك، ولكن عليه أن يتدبر المعنىٰ حتىٰ يفطن إلىٰ القراءة الصحيحة، ونظير ذلك في القرآن الكريم كثير[١].

وكان الرافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في وحي القلم: «القرآن الكريم يعطيك معانٍ غير محدودة في كلمات محدودة».

من أهمية التدبر والفهم[٢]

- امتثال لأمر الله: فلقد أمرنا بذلك ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾.

- لاستخراج الدرر، ومعرفة الإعجاز المتجدد فيه.

- سبب لشحن النفس نحو الخير، وضد الشر، وكان النبي ﷺ يكرر الآية الواحدة عشرات المرات، وهذا ما فعله كثير من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

- تصحيح كثير من المعاني الخاطئة.

- تساعد الإنسان علىٰ الخشوع في الصلاة، والخشوع من واجبات الصلاة وتجعله يصلي، ولا يُحَدِّث نفسه؛ لأنه يتفكر فيما يقرأ، وفي الحديث المتفق عليه: «**مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**».

---

(١) من أراد الزيادة فليراجع كتاب «روضة المحبين في تصحيح أخطاء الخطباء والمتكلمين» للمؤلف.

(٢) قواعد التدبر الأمثل، عبد الرحمن حبنكة، كيف نتعامل مع القرآن، عمر عبيد حسنة اللهم اجعلنا من المتدبرين لكلامك، القائمين به بالليل والنهار.

ما يعين على التدبر

تعظيم الله ومحبته: قال ابن مسعود: «من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله ﷻ فلْيَعْرِض نفسه علىٰ القرآن فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله».

حضور القلب وإلقاء السمع عند التلاوة.

التوبة، وترك المعاصي؛ لأنها تُذهب نور الوجه، وتسد طريق العلم، وتميت القلب.

المطالعة الدائمة لكلام المفسرين.

العمل تحت قول المفسرين: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

الاهتمام باللغة العربية؛ فإن تعلمها من تعلم الدين.

أن يجعل له دفترًا خاصًا يكتب فيه المعاني التي تخطر بباله، ثم يراجعها مع أحد العلماء، أو مع كتاب تفسير مُحقق؛ ليُثَبت المعلومة، أو يصححها.

جعلنا الله من المتدبرين لكلامه.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

(٥) الرسول يزورك

الحمد لله المُطلع علىٰ ظاهر الأمر ومكنونه، العالم بسر العبد وجهره، وظنونه، الحمد لله، الذي أرسل رسوله بالهدىٰ والنور، لينير الظلمات، ويُخرج العباد من الضلال إلىٰ الحق، والصلاة والسلام علىٰ الرحمة المهداة، والسراج المنير.

وبعد:

فحديثنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول (الرسول يزورك)، قال -تعالىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

قال السعدي: «يأمر الله -تعالىٰ- المؤمنين بأمر به تتم أمورهم، وتحصل سعادتهم الدينية والدنيوية وهو: طاعته وطاعة رسوله في أصول الدين، وفروعه، والطاعة هي امتثال الأمر واجتناب النهي علىٰ الوجه المأمور به بالإخلاص، وتمام المتابعة».

وقوله: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ يشمل النهي عن إبطالها بعد عملها بما يفسدها من: إعجاب، وفخر، وسُمعَة، ومن عمل بالمعاصي التي تضمحل معها الأعمال، ويحبط أجرها، ويشمل النهي عن إفسادها حال وقوعها بقطعها، أو الإتيان بمُفسد من مفسداتها.

ويستدل الفقهاء بهذه الآية علىٰ تحريم قطع الفرض، وكراهة قطع النفل من غير موجب لذلك، وإذا كان قد نهىٰ عن إبطال الأعمال فهو أمر بإصلاحها، وإكمالها، وإتمامها، والإتيان بها علىٰ الوجه الذي تصلح به علمًا وعملًا[(١)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن المعلا (١/ ٧٨٩) (نشر مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

مفاجأة وتصور

كأني في زمن النبي ﷺ وهو حي بيننا، أو كأني به حي، ويريد زيارتي في بيتي، وأُخبرت بذلك وطرق الباب فهممت أن أفتح، يا لها من فرحة: إنه الحبيب الشفيع محمد ﷺ جاء لزيارتي، سأحتضنه وأقبله، ثم تذكرت أشياء فتوقفت ولم أفتح الباب.

تذكرت: إذا سألني النبي ﷺ عن الصلاة، والصلاة في جماعة، وخاصة صلاة الفجر فبماذا أجيب؟ إذا قال ألم تسمع قولي: «**رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»(١) فبماذا أجيب؟.

- إذا سألني النبي ﷺ: عن زوجتي، وهل أعاملها بما يُرْضي الله؟ إن سألني ألم تسمع قولي: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ**»(٢) هل تعاشرها بالمعروف كما جاء في القرآن الكريم: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء: ١٩]. فبماذا أجيب؟.

- إذا سألني: هل مع خطأ الزوجة أعفو أم أعاقب مرة واحدة أم أعاقب عدة عقوبات لأنني أنا الرجل ... وهل الرجولة فرض سيطرة وعقوبات علىٰ الزوجة والأسرة أم مسؤولية، وعطاء، ورعاية وحب، وتضحية؟

- إذا سألني النبي ﷺ: عن ابني الذي لم أحفظه كتاب الله، وأحاديث رسوله ﷺ وإذا سألني عن ابنتي التي لم ترتد الحجاب بعد، وتلبس الملابس الضيقة المحددة، والتي لم أعلمها القرآن الكريم وشيئًا من السنة فبماذا أجيب؟.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٠١/ ٩٦)، والترمذي (٢/ ٤١٦).

(٢) رواه ابن ماجه (١/ ٦٣٦ ح١٩٧٧) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/ ٣٣٤ رقم ١٦٠٨).

- إذا سألني النبي ﷺ: عن الدعوة إلىٰ الله. ماذا فعلت فيها؟ إن سألني ألم يصلك قولي: «**لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»(١). فبماذا أجيب؟.

- إن سألني: هل قمت بواجب الدعوة إلىٰ الله في قرابتي الأدنيين، وفي دائرتي الأولىٰ فبماذا أجيب؟، وإن سألني: هل بلغت شيئًا من القرآن الكريم، والسنة النبوية للجيران في المنزل، أو الجيران في العمل، أو في المسجد أو... فبماذا أجيب؟.

- إن سألني النبي ﷺ: عن الوالدين وصلتهما وهل أصل إخواني وأخواتي أم لا؟ وهل أصل رحمي وأود أقاربي، أم أقطعهم؟، وإن سألني ألم تسمع قولي: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ**»(٢) فبماذا أجيب؟ هل سأقول لم يكن عندي أموال حتىٰ آخذ لهم الهدايا؟! وهل الهدايا شرط في الزيارة؟ ولماذا لا أتصل بالهاتف مرات ومرات ... فبماذا أجيب؟.

- إذا سألني النبي ﷺ: عن علاقتي بكتاب الله فبماذا أجيب، كم أحفظ، وكم أقرأ يوميًّا، وهل أهجر القرآن الكريم هجر تلاوة، أو سماع، أو تحاكم، أو استشفاء، أو تدبر؟ أم لا؟ وبماذا أجيب؟.

- إذا سألني النبي ﷺ: عن عملي، وهل أراقب الله فيه دائمًا، وأقوم به كما ينبغي أم أقصر في ذلك؟ وهل أتعامل بأخلاق المسلمين في عملي باشًّا في وجوههم، أعرف حقوق الآخرين، وأقوم بالواجب الذي عليَّ أم لا؟ فبماذا سأجيب؟.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣٨٨/ ١، ٣٨٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٧٠).

(٢) صحيح البخاري (٤١٥/ ١٠ح ٥٩٨٤)، صحيح مسلم (١٩٨١/ ٤ ح٢٥٥٦).

- إذا سألني النبي ﷺ عن خلافاتي مع زوجتي كيف أتعامل معها؟ هل أتعدىٰ وأظلم لأنني أنا الرجل؟ أم أتعامل بالعدل؟ لأن المرأة أوصىٰ بها النبي خيرًا وقال: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ**»(١).

وعوان أي أسيرات. وهل إذا أخطأت الزوجة خطأ هل أعفو، فالعفو يقرب من التقوىٰ أم لا؟.

- إن قال لي: ألم تعلم أن نسائي طلبن زيادة النفقة، ولم أطاوعهن فيما لا أملك؟.

وهذا معلوم أنه يقلل من وقت العبادة، ويؤثر عليها، بل أكثرن علىٰ النبي ﷺ في زيادة النفقة، حتىٰ قام أبو بكر، وقام عمر رضي الله عنهما إلىٰ عائشة وحفصة رضي الله عنهما لزجرهما عن ذلك. ولقد اعتزلهن النبي ﷺ شهرًا حتىٰ ظن الناس أنه قد طلق نساءه ﷺ.

- إذا سألني النبي ﷺ: عن الوقت كيف أستثمره، وهل أضيع أوقاتي فيما لا نفع فيه أم لا؟ إن قال لي ألم تأتك الأحاديث: « **لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**»(٢)؟.

فبماذا سأجيب وكم من ساعات بل وأيام ضاعت في اللهو، وأمام التلفاز، وفي الجدل العقيم، وفيما لا طائل من ورائه ...؟.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٨٥١)، وقال الألباني حسن في الإرواء (١٩٩٧، ٢٠٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢/ ٦٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٤٨/ ١) وقال الألباني صحيح في السلسلة الصحيحة رقم (٩٤٦).

- إن سألني النبي ﷺ: عن أمور كثيرة، وعن معاصي بيني وبين ربي لكن الله أخبره بالوحي عنها فبماذا أجيب؟.

- وحانت لحظة بعد كل هذا الحوار الطويل مع نفسي فقلت أفتح الباب؛ لأحتضن النبي ﷺ وأقبله، وأطلب منه أن يستغفر لي ويسامحني.

وفتحت الباب، ودخل الرحمةُ المهداة والسراج المنير ﷺ فاحتضنته وقبَّلت يده، وجلس، فوجد صورًا غريبة علىٰ الحائط، فقال: ما هذا؟ ثم رأىٰ مناظر غريبة شبه عارية في التلفاز فقال: ما هذا؟ وبعد قليل دخلت فتاة ترتدي ملابس ضيقة أو (بنطال ضيق) فقال ابنة من هذه؟ فقلت: ابنتي يا رسول الله فتعجب. ثم دخل شاب شعره غريب وشكله غريب فقال: مَن هذا؟ فقلت: ابني يا رسول الله. فقال ﷺ ليس ابنًا للأعاجم؟ فقلت: إنه (أحمد) ابني، فقال النبي ﷺ: وهل تغير أبناء المسلمين إلىٰ هذا الحد؟ كأني به ﷺ يقول: لقد بدلتم بعدي، لقد بدلتم بعدي.

فقلت له: ندمت ورجعت عن كل مخالفة، وأعاهدك علىٰ الطاعة والتوبة النصوح، وأطلب منك أن تستغفر لي عند ربك؛ عسىٰ أن يقبل توبتي.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

(٦) لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله

الحمد لله الذي زين بذكره الذاكرين، وأراح به قلوب العابدين، وجعل ذكره حياة القلوب وصلاحها، والصلاة والسلام علىٰ خير من ذكر ربه، وأمر بذكره.

وبعد:

فحديثنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول «لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله».

يقول الله -تعالىٰ-: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

قال القشيري: «بألسنتهم وقلوبهم وفي عموم أحوالهم لا يفترون، ولا يتداخلهم نسيان»(١).

قال مجاهد: «لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرًا حتىٰ يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا»(٢).

إنهم يذكرون الله بألسنتهم وقلوبهم في حديثهم، وصمتهم، وحركتهم وسكونهم، إنهم لا يفترون عما يُحب الله ويُحبون.

والذكر لا يكون بالشفتين واللسان فقط، بل يكون بالقلب، والجنان، فذكر الله إن لم يرتعش له الوجدان، وإن لم يخفق له القلب، وإن لم تعش به النفس ... إن لم يكن مصحوبًا بالتضرع والتذلل والخشية والخوف ... لن يكون ذكرًا ... بل قد يكون سوء أدب في حق الله ﷻ. إنما هو التوجه إلىٰ الله بالتذلل والضراعة، وبالخشية والتقوىٰ،

---

(١) لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري، (٦/ ٢٦١).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ٨ أجزاء (٦/ ٣٥٢) (دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

إنما هو استحضار جلال الله وعظمته، واستحضار المخافة لغضبه، وعقابه، واستحضار الرجاء فيه، والالتجاء إليه ... حتىٰ يصفو الجوهر الروحي في الإنسان، ويتصل بمصدره اللدني الشفيق المنير[١].

والذكر فرق بين الحي والميت، يقول النبي ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**»[٢].

فرصة أغلى من الذهب والفضة

وهل يتصور الإنسان أن الذكر خير له من الجهاد، ومن إنفاق الذهب، والفضة؟ إنها بشرىٰ لمن حُرم الجهاد في ساحة المعركة، وفرصة لمن لا يملك الذهب والفضة لينفقها في سبيل الله.

يقول ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟** قالوا: بلىٰ. قال: **ذِكْرُ اللهِ تَعَالَىٰ**»[٣].

بشرى

إنها بشرىٰ الحبيب محمد ﷺ لمن لا يملك الأموال الكثيرة لإنفاقها، فبكم يكون ثمن الناقة إنها نحوًا من (١٠٠٠ - ٢٠٠٠ دولار)[٤] تخيل لو كانت معك، وذهبت إلىٰ المسجد وأعطيتها لفقراء، أو أبناء سبيل، أو دفعتها في عمارة المسجد! أفلا أدلك علىٰ ما هو خير من ذلك. يُخبر المعصوم ﷺ عقبة بن عامر رضي الله عنه وهو من

---

(١) في ظلال القرآن، (٣/ ١٤٢٧) بتصرف يسير.

(٢) متفق عليه، البخاري (١١/ ٢٠٨)، ومسلم (١/ ٥٣٩).

(٣) سنن الترمذي (٣٣٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٢٩).

(٤) (١٠٠٠) دولار تساوي في هذه الأيام نحوًا من (٧ آلاف جنيهًا مصريًا).

أهل الصُّفة - الذين لا يملكون أموالًا للصدقات فقال: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ بُطْحَانَ أَوْ إِلَىٰ الْعقيق فَيَأْتِيَ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطِيعَةِ رَحِمٍ**؟ فقلنا يا رسول الله نحب ذلك قال: **أَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ فَيُعَلِّمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ**»[(١)]، وكوماوين: تثنية كوماء قُلبت الهمزة واوًا، وأصل الكوم العلو أي فيحصل علىٰ ناقتين عظيمتي السنام، وهو من خير مال العرب.

وذكر الله طمأنينة للقلب وسكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج، والاضطراب عنه، وهذا لا يتأتىٰ بشيء سوىٰ الله -تعالىٰ- وذكره البتة، وأما ما عداه فالطمأنينة إليه غرور، والثقة به عجز، قضىٰ الله ﷻ قضاء لا مرد له من أن من اطمأن إلىٰ شيء سواه أتاه القلق[(٢)].

يقول ابن القيم الجوزية: «وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يومًا: سأل بعض أهل العلم: أيهما أنفع للعبد: التسبيح أم الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيًّا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإذا كان دنسًا فالصابون والماء الحار، أنفع ثم قال لي رَحِمَهُ اللَّهُ: كيف والثياب لا تزال دنسة»[(٣)].

منحة للمجتهدين:

يقول الحبيب الشفيع محمد ﷺ: «**أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ**؟»، فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: **يُسَبِّحُ**

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٢١٩)، برقم (٢٥١)، ومسند أحمد (٢/ ٣٠٣).

(٢) الروح، ابن قيم الجوزية، (ص٢٠).

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، (ص٨٥) (بيروت: دار الكتاب العربي ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

أَحَدُكُمْ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَتُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ أَوْ تُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ» وفي رواية: «وَتُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ»[١].

والحديث عن قيس بن عبد الله بن بسر أن أعرابيًّا قال لرسول الله ﷺ: إن شرائع الإسلام قد كثُرت علي فأنبئني منها بشيء أتشبث به قال: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا بِذِكْرِ اللهِ»[٢].

وقال ابن مسعود في قوله تعالىٰ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. قال: «أن يُطاع فلا يُعصىٰ، ويُذكر فلا يُنسىٰ، ويُشكر فلا يُكفر». والمشهور وقفه علىٰ ابن مسعود كما في جامع العلوم والحكم.

وقال زيد بن أسلم: «قال موسىٰ عليه السلام: يا رب قد أنعمت علي كثيرًا، فدلني علىٰ أن أشكرك كثيرًا، قال: اذكرني كثيرًا، فإذا ذكرتني كثيرًا فقد شكرتني، وإذا نسيتني فقد كفرتني».

قال الحسن: «أحب عباد الله إلىٰ الله أكثرهم له ذكرًا، وأتقاهم قلبًا».

قال ابن مسعود: «قال موسىٰ عليه السلام: رَبِّ أي الأعمال أحب إليك أن أعمل به؟ قال: تذكرني فلا تنساني».

قال الربيع بن أنس، عن بعض أصحابه: «علامة حب الله كثرة ذكره، فإنك لا تحب شيئًا إلا أكثرت ذكره».

يوسف عليه السلام في السجن لا يسكن عن ذكر الله عز وجل.

وكان لأبي هريرة خيط فيه ألف عقدة، فلا ينام حتىٰ يسبح به.

---

(١) صحيح الترمذي (٣٤٦٣)، وقال الألباني في صحيح الترمذي: صحيح، والرواية الأخرىٰ في صحيح مسلم (٢٦٩٨).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٧٩٣)، والترمذي (٣٣٧٥)، وقال الألباني: صحيح.

وكان خالد بن معدان يسبح كل يوم ألف تسبيحة سوىٰ ما يقرأ من القرآن الكريم، فلما وضع علىٰ سريره، ليغسل فجعل يشير بأصبعه يحركها بالتسبيح.

قيل لعمير بن هانئ: «ما نرىٰ لسانك يفتر، فكم تسبح كل يوم؟ قال: مائة ألف تسبيحة، إلا أن تخطئ الأصابع»، يعني أنه يعد ذلك بأصابعه.

قال أبو الجلد: «أوحىٰ الله ﷻ إلىٰ موسىٰ عليه السلام: إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك، وكن عند ذكري خاشعًا مطمئنًّا، وإذا ذكرتني، فاجعل لسانك من وراء قلبك».

وصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه الصحابة يومًا، فقال: «كانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في اليوم الشديد الحر، وجرت دموعهم علىٰ ثيابهم».

قال مالك بن دينار: «ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله ﷻ».

كان أبو مسلم الخَوْلاني كثير الذكر، فرآه بعض الناس فأنكر حاله، فقال لأصحابه: أمجنون صاحبكم؟ فسمعه أبو مسلم، فقال: لا يا أخي، ولكن هذا دواء الجنون[(١)].

وسُئل ابن الصلاح عن القدر الذي يصير به الإنسان من الذاكرين الله كثيرًا فقال: «إذا واظب علىٰ الأذكار المأثورة المثبتة صباحًا ومساءً في الأوقات، والأحوال المختلفة ليلًا ونهارًا كان من الذاكرين الله كثيرًا».

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «إن الله -تعالىٰ- لم يفرض علىٰ عباده فريضة إلا جعل لها حدًّا معلومًا، وعذر أهلها حال العذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه»[(٢)].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، شرح الحديث الخمسون.

(٢) فقه السنة، (١ / ٥٨١).

بشرى لجليس أهل الذكر

هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم. يقول النبي ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ. قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللهِ مَا رَأَوْكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنْ النَّارِ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُم»[(١)].

يقول النبي ﷺ: «مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَىٰ لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ ﷻ»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٨/ ١٠٨/ ٦٤٠٨).

(٢) رواه أحمد في المسند (٦٣٩/ ٥)، وذكره ابن القيم في الوابل الصيب، وهو حديث حسن.

وقوله ﷺ: «وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ تَعَالَىٰ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ حِصْنًا حَصِينًا فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ»[1].

من فوائد الذكر

١- أنه يطرد الشيطان، ويقمعه ويكسره.

٢- أنه يزيل الهم، والغم عن القلب، ويجلب للقلب الفرح والسرور.

٣- أنه يُرضي الرحمن ﷻ، ويُقوي القلب والبدن.

٤- أنه يُورث المحبة، ويكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

٥- يُورث المراقبة حتىٰ يدخله في باب الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه.

٦- يُورث القلب القرب منه، والإنابة والرجوع.

٧- يُورث الهيبة لربه ﷻ، ويورثه ذكر الله له: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾.

٨- يُورث جلاء القلب من صداه، وصدأ القلب الغفلة والهوىٰ.

٩- يحط الخطايا، ويزيل الوحشة بين العبد وربه.

١٠- سبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، والنجاة من عذاب الله.

١١- سبب اشتغال اللسان عن الغِيبة، والنميمة والفُحش.

١٢- أنه سبب لعطاء الله للذاكر أفضل مما يعطي السائلين.

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، ص(٤١)، ورواه الترمذي (٢٨٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

١٣- أنه غِراس الجنة، والعطاء والفضل المترتب عليه لم يترتب علىٰ غيره.

١٤- الذكر نور للذاكر في الدنيا، وفي قبره، وعند الصراط.

١٥- الذكر يعدل عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والجهاد في ساحة القتال.

١٦- أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله.

١٧- الذكر يوجب صلاة الله ﷻ وملائكته علىٰ الذاكر.

١٨- أنه يكسو الوجه نضرة في الدنيا، ونورًا في الآخرة، ودوام الذكر فيه تكثير لشهود العبد يوم القيامة، فإن الأماكن تشهد.

١٩- إدامته تنوب عن التطوعات، وتقوم مقامها سواء كانت بدنية أو مالية كحج التطوع.

٢٠- أن الله ﷻ يباهي بالذاكرين ملائكته كما في حديث مسلم[١].

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

(١) المرجع السابق، (٣٦ – ٨٢)، وذكر ابن القيم أكثر من (٧٠) فائدة لمن أراد الزيادة.

(٧) وعجلت إليك ربي لترضى

الحمد لله الذي أمر المؤمنين بالمسارعة إلىٰ الصالحات، والمسابقة في عمل الخيرات، والصلاة والسلام علىٰ النبي القائل: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ**».

وبعد:

فحديثنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

قال الله -تعالىٰ علىٰ لسان نبيه موسىٰ عليه السلام-: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤] وعجلت: أي استعجلت المجيء إليك طلبًا لرضاك عني، وتعجلت في المثول بين يديك؛ لترضىٰ عني، وتعجلت في الاستجابة لأمرك؛ رغبة في ثوابك، ورهبة من عقابك.

والعجلة غير مطلوبة، بل ومذمومة في كل الأمور إلا في الخير. قال ﷺ: «**التَّأَنِّي مِنَ الرَّحْمَنِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ**»[(١)].

وليس في القرآن الكريم كله ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ إلا في هذا الموضع. قال ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وليس في القرآن الكريم كله ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ إلا في قوله -تعالىٰ-: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

---

(١) رواه البيهقي بإسناد حسنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠١١).

من أنواع العجلة في الخيرات:

- المسارعة في العبادات والنوافل. وفي الحديث القدسي: «**مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ**»(١). وما يزال تفيد الاستمرارية.

- المسارعة في الصدقات وفي الحديث: «**التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ** -وفي رواية- **خَيْرٌ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ**»(٢).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالًا عندي. فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ**» قلت: مثله، قال وأتىٰ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلىٰ شيء أبدًا(٣).

قال -تعالىٰ-: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «السابقون في الدنيا إلىٰ الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلىٰ الجنات»(٤).

وقال وهيب بن الورد: «إن استطعت أن لا يسبقك إلىٰ الله أحد فافعل».

وأعظم أنواع المسارعة إلىٰ الخيرات المداومة والثبات عليها؛ لأن الانقطاع فوات عظيم، وهو مخالف لمنهج النبي ﷺ حيث كان إذا عمل عملًا أثبته، وكان

---

(١) البخاري (٦١٣٧).

(٢) رواه أبو داود (٥٨٥٧) وفي صحيح الجامع (٣٠٠٩).

(٣) الترمذي (٣٦٧٨) وقال: حسن صحيح، وأبو داود (١٦٧٨)، وقال الألباني: حسن.

(٤) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية (١/ ١١٥).

عمله ديمة -أي دائمًا مستمرًّا- وفي الحديث عن القاسم بن محمد: «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**» قال وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته[(١)].

ومن أنواع المسارعة احتساب الأجر في المباحات يعين علىٰ السبق في الخيرات، فقد يبلغ الإنسان بالنية الصالحة منزلة سامقة ما كان له أن يبلغها بعمله، فيحتسب نومته للتَّقَوي علىٰ الطاعة، ويحتسب عمله وتجارته لإعفاف نفسه، والنفقة علىٰ عياله، ويحتسب نفقته علىٰ عياله صدقة لله تعالىٰ، وفريضة يؤديها «**وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**»[(٢)].

لهذا الستر عجله في الخيرات

كلنا سيخلو به ربه ﷻ يوم القيامة، ويقرره بذنوبه: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] ويقول فعلت ذنب كذا يوم كذا، فإذا أقر واعترف قال الله: «**سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**»[(٣)].

وكما يُخبر ابن عباس -عندما سألوه- هناك آيات تُثبت السؤال والمحاسبة، وآيات تنفيها ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْئَلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]. فقال: هي مواقف الآخرة ليست موقفًا واحدًا، وإنما هي مواقف في بعضها يكون السؤال، وفي بعضها لا يكون السؤال»[(٤)].

وهناك نفخ أول في الصور، ثم نفخ ثانٍ في الصور، ثم بعث، ثم نشر، ثم حشر، ثم حساب، ثم كتب، ثم ميزان، ثم صراط، ثم مصير إلىٰ جنة أو إلىٰ نار.

اللهم اجعلنا من أهل طاعتك، ومن أهل الفوز بجنتك.

---

(١) رواه مسلم (١٨٩/ ٢)، وأحمد (١٧٦/ ٦)، البخاري (١٢٢/ ٨).

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري (١)، صحيح مسلم (١٩٠٧).

(٣) البخاري (٢٤٤١)، مسلم (٢٧٦٨).

(٤) التعليق علىٰ الجلالين للشارح الشيخ عبد الله عبد الرحمن بن حمد الخضير.

ما الذي يُعين على العجلة في الطاعة؟

١- إنك لا تعرف كم ستبقىٰ في الدنيا ثم هل ستبقىٰ وأنت سليم الحواس، خالٍ من الأمراض، فكثير من السابقين قد أصابهم المرض فأصبح لا يستطيع القراءة والتحضير للدعوة، فهذا ضعُف بصره، وهذا أقعده المرض، فعلىٰ المرء أن يستفرغ جهده، ووسعه، ويحسب لهذا اليوم.

٢- ومما يعين علىٰ المبادرة والمسارعة لفعل الخيرات تذكر ما مضىٰ من الذنوب، وهي كثيرة في العبادات، وفي التقصير في صلوات الجماعة، وفي المعاملات، وفي التقصير في حق الأهل، والأقارب، وغير ذلك كثير.

٣- ومما يعين علىٰ العجلة في الطاعة، والاستغفار، والندم تذكر صلة الأرحام المقطوعة، فكم من قريب قصرنا في حقه، وكم من صلة يجب أن توصل ولكنا قطعناها، وهي معلقة بالعرش تقول: «اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني».

٤- ومما يعين علىٰ المسارعة؛ اليقين أنها سبب تفريج الكروب، وستر العيوب: **«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»**[1].

---

(١) رواه مسلم (٢١٩٩)، (٣٨).

٥- تجديد الاحتساب، واستحضار النيات، وتمريرها علىٰ القلب؛ لتكون سببًا في الثبات علىٰ الطاعة، والاستمرار فيها، والعجلة إليها.

٦- الاستماع إلىٰ المواعظ لكي تجدد نشاطك، وإيمانك، إنها أشبه بالدماء الجديدة تسري في الإنسان؛ فتدفعه للعجلة في الطاعات، قال -تعالىٰ-: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦].

٧- ومما يعين شعورنا بالتقصير تجاه الأبناء، فكم من طفل ختم القرآن في العاشرة أو دونها! فأين أبنائي من هؤلاء؟

٨- الاستعانة بالله فصلاح العبد في ركونه إلىٰ الله، واعتماده عليه، وطلبه العون منه. يقول ابن تيمية: «العبد محتاج إلىٰ الاستعانة بالله علىٰ طاعته».

قصة عن هارون الرشيد

كان الأغنياء يهنئون هارون الرشيد بالعيد، وكان يأمر لهم بجرة فيها ذهب، وفضة، وطعام، وبعدما انتهىٰ الأغنياء من التهنئة دخل رجل فقير، فألقىٰ السلام عليه، وهنأه بالعيد، فسأله هارون: من أنت أيها الرجل؟ فقال: أنا من الرعية التي يرعاها أمير المؤمنين، ثم سأل وما الذي جاء بك؟ فقال الرجل: جئت أنهل من بحر جودك يا أمير المؤمنين فأمر هارون بأن تملأ له جرة كاملة ذهبًا، فاعترض الأغنياء، إنه لا يعرف قدر الذهب ولا يعرف كيف ينفقه، ولم يعبأ باعتراضهم، وأمر الحراس أن يتبعوا الرجل ويراقبوه من بعيد دون أن يراهم، ليروا ماذا سيصنع، وعاد الحراس مهرولين يقولون: يا أمير المؤمنين، لقد ذهب الرجل إلىٰ مكان يكثر فيه الفقراء، وأخذ ينادي قائلًا: أيها الناس، أيها الفقراء تجمعوا، هلموا إلىٰ رزق الله، هلموا إلىٰ حقوقكم، فاجتمع إليه الناس، وأخذ يقسم عليهم الدراهم درهمًا درهمًا، فما أبقىٰ لنفسه درهمًا واحدًا منها.

فقال هارون: أسرعوا بإحضاره. ومَثُل الرجل بين يدي أمير المؤمنين، فسأله عن المال؟ فقال الرجل: رجعت به إلىٰ صاحبه يا أمير المؤمنين، فقال هارون: ومن صاحبه؟ قال الرجل: الرزاق ذو القوة المتين، الذي رزقك به، فقال هارون لنعامله معاملة القرآن: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ثم أمر الحارس أن يملأ له عشر جرات ذهبًا، وأمره أن يتبعه، فتبعه، وعاد الرجل لفعلته الأولىٰ، فعاد الحارس إلىٰ هارون؛ ليقول له: يا أمير المؤمنين لقد عاد الرجل إلىٰ سابقته، فأمره أن يحضره إليه فأحضره فسأله هارون: ما الذي حملك علىٰ ما صنعت؟ فأنشد الرجل يقول:

يجـــود علينـــا الخيـــرون بمـــالهم ونحـــن بمـــال الخيـــرين نجـــود[1]

هكذا المسلم عجول في أمور الخير قبل انتهاء الأجل.

اللهم اجعلنا ممن يسارعون إلىٰ مرضاتك.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

(١) فيض الرحيم الرحمن في أحكام ومواعظ رمضان، د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، (ص٥٢).

(٨) لتأمرن بالمعروف أو ليوشكن الله ألا يستجيب

الحمد لله الذي أمر بالمسارعة في الخيرات، وترك المنكرات، وفَتَحَ أبوابًا للثواب لا تُغلق بعد الوفاة، والصلاة والسلام علىٰ أفضل من دعا إلىٰ ربه وهدىٰ.

وبعد:

فحديثنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول (لتأمرن بالمعروف أو ليوشكن الله ألا يستجيب).

قال -تعالىٰ-: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

واعلم أنه ﷺ أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالطرق الحسنىٰ، وقد ذكر الله -تعالىٰ- هذا الجدل في آية أخرىٰ فقال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ولما ذكر الله -تعالىٰ- هذه الطرق الثلاثة، وعطفها علىٰ بعضها، وجب أن تكون طرقًا متغايرة متباينة[(١)].

ويقول صاحب الظلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الدعوة دعوة إلىٰ سبيل الله لا لشخص الداعي، ولا لقومه فليس للداعي من دعوته إلا أن يؤدي واجبه لله. لا فضل له يتحدث به، لا علىٰ الدعوة، ولا علىٰ من يهتدون به، وأجره بعد ذلك علىٰ الله.

والدعوة بالحكمة، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتىٰ لا يُثقل عليهم، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها،

---

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (٢٠/ ٢٦٨).

والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع بين هذه الطرق حسب مقتضياتها، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله، وفي سواه.

وبالموعظة الحسنة التي تدخل القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية فإن الرفق في الموعظة كثيرًا ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ.

وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل علىٰ المخالف، ولا ترذيل له وتقبيح حتىٰ يطمئن إلىٰ الداعي، ويشعر أن هدفه ليس الغلبة في الجدل، ولكنه الإقناع والوصول إلىٰ الحق، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتىٰ لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط علىٰ النفس قيمة الرأي، وقيمتها عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلًا عن هيبتها، واحترامها وكيانها.

والجدل بالحسني هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة، ويُشعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها في سبيل الله لا في سبيل ذاته، ونصرة رأيه، وهزيمة الرأي الآخر! ولكي يطامن الداعية من حماسته واندفاعه يشير النص القرآني إلىٰ أن الله هو الأعلم بمن ضل عن سبيله وهو الأعلم بالمهتدين، فلا ضرورة للجاجة في الجدل إنما هو البيان والأمر بعد ذلك لله»[1].

(١) في ظلال القرآن، (٤/ ٢٢٠٢).

الدعوة إلى الله

والدعوة إلىٰ الله ﷻ ليست نفلًا، ولا أمرًا ثانويًّا إنما هي فرض علىٰ كل مسلم في حدود ما يعلم ويستطيع.

بل عدَّ بعض العلماء الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الركن السادس من أركان الإسلام حيث قدمه الله -تعالىٰ- في قرآنه مرة عن الإيمان ومرة عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

ومن قال فرض علىٰ الكفاية فمثلًا لو كان عشرة أشخاص في مكان، ووقع منكر بَيِّن أنكره رجل من العشرة فقد سقط هذا الواجب عن التسعة الباقيين في هذا الموقف فقط وليس في كل المواقف عامة.

يقول علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أعمال البر كلها إلىٰ جنب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كتفلة إلىٰ جنب البحر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلىٰ جنب الجهاد في سبيل الله كتفلة في جنب البحر»[(١)].

ويقول أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأمر بالمعروف أصل الدين، وأساس رسالة المرسلين، ولو طُوي بُساطه وأهمل علمه؛ لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفوضىٰ، وهلك العباد».

قال -تعالىٰ-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب، ووصف طريق المديد إلىٰ مقام التوحيد، محمد بن عطية الحارثي (١/ ٣١٥).

أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي، فتعلم سورة الإخلاص، والفلق، وشيئًا من القرآن الكريم، ثم خرج إلىٰ دوس (قبلته) ليدعوهم إلىٰ الإسلام.

الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أسلم، وفي ليلة إسلامه يُسلم علىٰ يديه من العشرة المبشرين بالجنة: عثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وغيرهم[١].

منذ كم تتعلم الدين؟!. حتىٰ متىٰ تأخذ ولا تُعطي؟!. معلوماتك عن الدين الآن أكثر من معلوماتهم حين حَملوا الدعوة إلىٰ غيرهم، فدع رقادك فقد مضىٰ عهد النوم، وقم فأنذر واصدع بما تؤمر وكن مصعبًا السفير[٢].

يقول النبي ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عِنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشَكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»[٣].

ويقسم النبي ﷺ -وهو الصادق المصدوق في كل كلامه- لكن القسم لِعظم الأمر وأهميته، ويذكر العقوبات: «**أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْهُ**»، وفي رواية: «**عِقَابًا مِنْهُ**» وبعد ذلك «**ثُمَّ تَدْعُونَهُ أَوْ لَتَدْعُونَّهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ**» وهذا يحدث كثيرًا.

ويقول ﷺ: «**الدَّالُّ عَلَىٰ الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ**»[٤].

والدعاة إلىٰ الله أعلىٰ الخلق درجة، وهم ورثة الأنبياء، ومصابيح الهدىٰ في دياجر الظلام، بهم يُرشد الضال، ويُهتدىٰ الحيران، ويُغاث الملهوف، ويوقظ النائم،

---

(١) شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية، عمر سعد بن فهد العيد (٨/ ١٦).

(٢) ٣٠ مشروعًا في رمضان، ص(٤١).

(٣) رواه أحمد في المسند (٣٨٨/ ١، ٣٨٩)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٧٠).

(٤) رواه الشيخان، وفي صحيح الجامع (٣٥٩٧).

ويُنشط الكسلان، ويُقوم المعوج، ويهدأ المضطرب، ويبرأ السقيم، ويُشفىٰ العليل فما أشرفها من مهمة، وما أعظمها من غاية ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣][(١)].

قال ابن تيمية: «المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرىٰ، وقد لا ينقطع الوسخ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما يُحمد منه ذلك التخشين»[(٢)].

فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

١- من أسباب النصر علىٰ الأعداء، والتمكين في الأرض: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠].

٢- فيه الأمن من الهلاك، والمحافظة علىٰ صلاح المجتمعات: «**فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا**»[(٣)].

٣- يزيل عوامل الشر والفساد من حياة الأمة، ويبعث معاني الخير والصلاح.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام أمن للحياة، وضمان سعادة الفرد والمجتمع.

٥- فيه دفع العذاب عن العباد، وفي الحديث: «**إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الفَرَاشَ وَهَذِهِ الدَّوَابِ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعلَ يَنْزِعْهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَهُمْ**

---

(١) سباق نحو الجنان، د. خالد أبو شادي، ص(١٦٩).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٥٣/ ٢٨).

(٣) رواه البخاري (١٣٢/ ٥/ ٢٤٩٣).

يَقْتَحِمُونَ فِيهَا»[١].

٦- يهيئ الجو الصالح الذي تنمو فيه الآداب، وتختفي فيه المنكرات.

٧- يبعث الإحساس علىٰ واجبات الدين، كالأخوة، والتكافل، والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، واهتمام المسلمين ببعضهم.

٨- هو سر أفضلية هذه الأمة.

٩- دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

١٠- القيام به من مكفرات الذنوب والخطايا.

١١- فيه التوفيق للدعاة والاستجابة[٢].

١٢- فيه إقامة الملة، والشريعة، وحفظ العقيدة، والدين لتكون كلمة الله هي العليا.

١٣- التجافي عن صفات المنافقين.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

(١) البخاري (٦١١٨)، ومسلم (٢٢٨٤).

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ص(٥٣٩).

(٩) الإخلاص وقبول الأعمال

الحمد لله الذي لا مانع لما وهب، ولا مُعطي لما سلب، طاعته للعاملين أفضل مكتسب، وتقواه للمتقين أعلىٰ نسب أغنىٰ الشركاء عن الشرك والصلاة والسلام علىٰ النبي ﷺ.

وبعد:

حديثنا بعون الله وتوفيقه حول ركن قبول العمل، حول ما إذا افتقدناه ضاعت الأعمال هباءً منثورًا، ولو كانت كجبال الدنيا، حديثنا حول الإخلاص.

- والإخلاص هو ركن قبول العمل، ولولاه ما قُبل العمل، والأساس الثاني لقبول الأعمال هو اتباع النبي ﷺ.

- والإخلاص هو عمل القلب، وهو أن يريد المؤمن وجه الله بالعمل، ولا يراد غيره به أصلًا.

- وقال الجنيد: «الإخلاص تصفية العمل من الكُدُرات».

- وقال سهل: «الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله خالصة»[(١)].

قال -تعالىٰ-: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي العبادة، ومنه قوله -تعالىٰ-: ﴿إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]. وفي هذا دليل علىٰ وجوب النية في العبادات، فإن الإخلاص من عمل القلب، وهو الذي يُراد به وجه الله -تعالىٰ- لا غيره، و(حنفاء) قال ابن عباس:

---

(١) الكشكول، بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، (ص٦٥) (بيروت. دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

«علىٰ دين إبراهيم عليه السلام»[١].

- وبالإخلاص يبلغ أصحاب الفرش الشهادة، فهذا عبد الله بن ثابت رضي الله عنه لما مات قالت ابنته: والله إن كنت لأرجو أن تكون شهيدًا، فإنك كنت قد أتممت جهازك (أتممت ما تحتاج إليه في سفرك للغزو)، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَىٰ قَدْرِ نِيَّتِهِ**»[٢].

ومن طلب الشهادة من الله بصدق، وإخلاص فإن الله بفضله يبلغه منازل الشهداء، وإن مات علىٰ فِراشه يقول النبي ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ**»[٣].

وعلىٰ النقيض من ذلك، فإن فقدان الإخلاص مُحبط للعمل بالكلية، وإن كان صاحبه بين صفوف المجاهدين، وإن كان من العلماء، وإن كان من المتصدقين الكرماء الذين يُشار إليهم بالبنان.

قصص من ضاعت أعمالهم هباءً منثورًا:

هذا قزمان الظفري كان (قتيلًا بين الصَّفين) خرج مع النبي ﷺ في غزوة أحد، فأبلىٰ بلاءً حسنًا، وكان لا يدع شاذة ولا فاذة إلا اتبعهما يضربها بسيفه، حتىٰ قال بعض الصحابة: ما أجزأ منا اليوم أحدٌ كما أجزأ فلان، فقال النبي ﷺ: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فتتبعه صحابي آخر، فرآه قد أصيب، فهنأه بالشهادة، وبشره، فقال: بم تبشرون؟ والله ما قاتلت إلا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت، ثم أخرج سهمًا

---

(١) تفسير القرطبي، (٢/ ١٤٤).

(٢) صحيح، انظر صحيح الجامع (١٧٩١)، ورواه ابن ماجه (١٧٨٧).

(٣) رواه مسلم رقم (١٩٠٩)، والنسائي (٣٦/ ٦/ ٣١٦٢).

من كانته فقتل نفسه فمات كافرًا[١]. صدق رسول الله ﷺ. وقوله: «لا يدع شاذة ولا فاذة»: الشاذ والشاذة الخارج والخارجة عن الجماعة ومعناه لا يدع أحدًا علىٰ طريق المبالغة.

قال ابن الأعرابي: «يُقال فلان لا يدَع شاذة ولا فاذة إذا كان شجاعًا لا يلقاه أحد إلا قتله»[٢]. يا رب اللهم لا تضيع أعمالنا هباءً منثورًا.

وحديث الثلاثة الذين يكونون في المقدمة لاشتعال النار: القارئ (العالم) المرائي، والمتصدق المرائي، والمجاهد المرائي.

وفي الصحيح يقول النبي ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لَأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ فَمَا عَمِلْتَ؟ قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ لِيُقَالَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ جَوَّادٌ وَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ**»[٣].

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٢٨٩٨)، مسلم (٢/ ١٢٣/ ١١٢).

(٢) المنهاج، شرح صحيح مسلم بن حجاج، النووي (٢/ ١٢٣).

(٣) رواه مسلم باب من قاتل للرياء والسمعة (٢/ ١٥١٣).

والله إن هذا الحديث لصعب علىٰ النفس؛ إذ يستشعر الواحد بعد سماعه أن أعماله كلها قد تضيع بسبب الرياء. قولوا معي: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه.

فكم من تالٍ لكتاب الله منسلخ من آياته! وكم من منفق لا يريد وجه الله! وكم من مُخوف بالله جريء علىٰ الله!.

وكم أضاع العُجب أصحابه، وأوصلهم إلىٰ الرياء، فكم من عُجب لا يُعالجه صاحبه يُثمر ثمرة المرارة وتسمىٰ الرياء.

وقلب المؤمن يصوم عن العُجب، والعُجب تصور الإنسان كمال نفسه، وأنه أفضل من غيره، وأن عنده من المحاسن ما ليس عند الآخرين، وهذا هو الهلاك بعينه، وقد صح عن النبي ﷺ: «**ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، وَثَلَاثٌ كَفَّارَاتٌ، وَثَلَاثُ دَرَجَاتٍ فَأَمَّا الْمُهْلِكَاتُ: فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًىٰ مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ**»(١).

دواء العُجب

النظر إلىٰ عيوب النفس، وكثرة التقصير، وآلاف السيئات التي فعلها العبد، واقترفها ونسيها، ربما تهلكه، وهي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسىٰ.

أن يعلم أن العُجب يحجب توفيق الله وتأييده، ولذا كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «الهلاك في اثنين: القنوط والعجب»(٢).

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط، وقال الألباني حسن لغيره، كما في صحيح الترغيب والترهيب (٤٥٣).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٦٩).

رأىٰ ابن عمر رضي الله عنه رجلًا يختال في مشيته، ويجر إزاره فقال: (إن للشيطان إخوانًا)، ورأىٰ رجلًا آخر يختال في مشيته فقال له: «يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله»، فالتفت إليه الرجل. وقال ألا تعرفني؟! قال: بلىٰ أعرفك، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذلك تحمل العذرة»[(١)]، والعذرة هي الغائط.

أن يُكثر من قراءة قوله -تعالىٰ-: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٤] فكم من أقوام جاءوا بأمثال الجبال من الأعمال، ولكن لأنها فقدت الإخلاص جعلها الله ﷻ هباءً منثورًا.

يقول الشافعي: «إذا خفت علىٰ عملك العُجب فاذكر رضا من تطلب، وفي أي نعيم ترغب، ومن أي عقاب ترهب، ومن فكر في ذلك صغُر عنده عمله»[(٢)].

أقوال في الإخلاص

كان زيد بن أسلم يوصي أولاده: «لا تُعجبوا بعمل عامل حتىٰ تروا بم يختم له»[(٣)].

كان مطرف بن عبد الله يقول: «صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصلاح النية».

ولما خاف (ابن عطاء الله) عليك من هذا المصير أرشدك ناصحًا: «ولأن تصحب جاهلًا لا يرضىٰ عن نفسه خير لك من أن تصحب عالمًا يرضىٰ عن نفسه»[(٤)].

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٠)، تفسير القرآن العظيم المنسوب للطبري.

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٦٤).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ٢٢٢).

(٤) حكم ابن عطاء الله السكندري (١/ ٤٥).

وعن ابن المبارك قال: «رُب عمل صغير تُعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية».

وقال الفضيل: «إنما يريد الله ﷻ منك نيتك وإرادتك»[(١)].

وقال ابن عجلان: «لا يصلح العمل إلا بثلاث: التقوىٰ لله، والنية الحسنة، والإصابة».

وكان الفاروق يأخذ الصبي فَيَجيء به ويقول له: «ادعُ لي فإنك لم تذنب بعد».

قال ابن سمعون: «كل داء عُرف دواؤه فهو صغير، والذي لم يُعرف دواؤه كبير».

ومما يعين على الإخلاص

١- تذكر القيام المهول، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] يوم يُبعثر ما في القبور، ويُحصل ما في الصدور، يوم يقف الناس حفاة عراة بين يدي الموقف الرهيب، يوم يقول كل الأنبياء -إلا خاتمهم-: «نفسي نفسي».

٢- أن تعلم أن الخلق لو اجتمعوا علىٰ أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك ما نفعوك.

٣- الاجتهاد في إخفاء أعمالك، فالأصل في الأعمال إخفاؤها علىٰ الناس.

٤- المداومة علىٰ الدعاء: اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئًا أعلمه وأستغفرك لما لا أعلمه، والاستعاذة من الشيطان وشركه.

٥- أن يستيقن بأن الله -تعالىٰ- لا يقبل عملًا إلا بإخلاص.

---

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي، (١/ ٧١).

٦- صحبة أهل الإخلاص، والعيش في رحابهم؛ ليتأسىٰ بهم، ويأخذ عنهم؛ فإن التأسي بهم صلاح، والتشبه بهم فلاح.

٧- قراءة سير المخلصين، والتعرف علىٰ حياتهم للتأثر بهم والاهتداء بهداهم.

٨- مجاهدة النفس، ومقاومة رغباتها الذاتية والدنيوية حتىٰ تَخْلُص لله[١].

٩- الإكثار من الصيام وصدقة السر.

١٠- اتخاذ خبيئة من الأعمال بينك وبين الله.

١١- محاسبة النفس قبل العمل، وأثناء العمل، وبعد العمل.

اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه، اللهم أخلص أعمالنا كلها لك، ولا تجعل لأحد فيها نصيبًا.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ النبي الأمي وآله وصحبه وسلم

(١) في الطريق إلىٰ الله، د. يوسف القرضاوي (ص١١٣ – ١٢٠) بتصرف يسير.

(١٠) ونكتب ما قدموا وآثارهم

الحمد لله الذي فتح لنا أبوابًا للثواب تبقىٰ بعد وفاتنا، وأبقىٰ لنا من الآثار ما ينفعنا في قبورنا، والصلاة والسلام علىٰ الحبيب الشفيع الذي أرشد أمته إلىٰ تحصيل الأجور الدائمة المستمرة حتىٰ بعد الممات.

وبعد:

فحديثنا بعون الله ومدده حول ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾.

قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ [يس: ١٢].

قال ابن كثير: «نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم، وآثارهم التي أثرُوها من بعدهم، فنجزيهم علىٰ ذلك أيضًا، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر كقوله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا**»...»[(١)].

وآثارهم أي ما بقىٰ بعد وفاتهم من علم علموه، أو كتاب صنفوه، أو مسجد بنوه، أو نهر أجروه، وغيرها مما سيأتي بالتفصيل بعون الله.

وفي التفسير الوسيط: «ونسجل لهم آثارهم أي: وإنا نحن الذين نسجل عليهم أعمالهم التي عملوها في الدنيا سواء أكانت هذه الأعمال صالحة أم غير صالحة، ونسجل لهم - أيضًا آثارهم التي تركوها بعد موتهم سواء أكانت صالحة كعلم نافع أو صدقة جارية ... أم غير صالحة كدار للهو واللعب، وكرأي من الآراء الباطلة التي اتبعها من جاء بعدهم، وسنجازيهم علىٰ ذلك بما يستحقون من ثواب أو عقاب وكل

---

(١) رواه مسلم برقم (١٠١٧)، والترمذي (٢٦٧٥)، تفسير ابن كثير (٦/ ٥٦٥).

شيء أحصيناه في إمام مبين»[١].

ويقول النبي ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[٢].

ويقول: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»[٣].

إنه عَدَّاد لا يتوقف من الحسنات، وإنما الجبال من الحصىٰ، فالحصاة إلىٰ الأخرىٰ تكون الجبل، والحسنة إلىٰ الأخرىٰ تكون جبل حسنات يكون في رصيد المؤمن.

صور من أبواب الثواب التي لا تُغلق، غالبها عام للجميع، وبعضها خاص.

١- توريث المصحف، بطباعة مصاحف، أو شرائها، ووقفها في المساجد، ودور العلم، وكلما قرأ فيها إنسان يصله ثواب منها.

٢- بناء المساجد، أو المشاركة في البناء أو شراء، سجاد للمسجد، أو شراء كتب دينية، أو مطويات للمسجد، وكل عمارة للمسجد، كالمراوح والمكيفات، والساعات، ومكبرات الصوت وغيرها.

٣- تعليم العلم النافع الذي يبصر الناس بدينهم، وربهم، فكم من آية أيقظت نفوسًا وغيرتها، وكم من حديث قد أثر في إنسان، وغير سلوكه، وكم من كتاب قُرئ

---

(١) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي ج٢ ص(١٦).

(٢) رواه مسلم (١٦٣١).

(٣) رواه ابن ماجة في صحيحه (١٨٨)، وقال الألباني: حسن (٥٨٨)، وفيه مرزوق بن أبي المزيل مُختلف فيه، فضعفه الأرناؤوط، وقال: الإسناد ضعيف، ولكن قال الألباني: حسن.

فغير مسار أشخاص كثيرين، وكل من جمع مصنفًا في أي فرع من فروع الدين بعون الله مأجور كلما قُرئ انتفع به.

٤- شراء مجلة دينية كمجلة حائط، وتعليقها في مسجد، أو مكان عام يتردد عليه الناس، رجاء أن يقرأ فيها أحد، وتصحح له معلومة.

٥- شراء مطويات أو كتيبات وتوزيعها في الأفراح، أو المناسبات كسنة حسنة يُثاب فاعلها.

٦- شراء مبرد، ووضعه ليستخدمه المارة في الطريق صدقة جارية، بل في الحديث الصحيح: «**أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ سَقْيُ الْمَاءِ**»(١).

٧- العمل في لجان الزكاة، أو البر، وتجميع الأموال، وتوزيعها علىٰ الفقراء.

٨- عمل مشاريع سند، أو إغناء للفقراء، وهي عبارة عن مبلغ يتم تجميعه، ويتم عمل مشروع صغير للفقير في شيء يُحسنه بشرط أن يشارك هو بمبلغ وإن كان صغيرًا، حتىٰ يحافظ.

٩- الدعوة إلىٰ الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفي الحديث: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»(٢).

١٠- تربية الأبناء وحسن تأديبهم، والحرص علىٰ تنشئتهم علىٰ التقوىٰ والصلاح حتىٰ يكونوا أبناء بررة، فيدعون للوالدين بالرحمة، وهذا مما ينتفع به الميت في قبره، بل من حفظ القرآن الكريم شفُع بصلاحه في أهل بيته.

---

(١) صحيح الجامع (١١١٣)، وصحيح الترغيب (٩٥١).

(٢) متفق عليه البخاري في الفتح (٣٠٢/ ١٣).

١١- ومما ينفع المؤمن بعد موته دعاء المسلمين، واستغفارهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

وكما يقول ابن القيم في كتابه «الروح»: «تنتفع أرواح الموتىٰ من سعي الأحياء بأمرين مُجمع عليهما من أهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث والتفسير: أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته، والآخر: دعاء المسلمين له، واستغفارهم له، والصدقة، والحج علىٰ نزاع ما الذي يصل من ثوابه: هل ثواب الإنفاق أم ثواب العمل؟

١٢- كفالة طالب في مدرسة، أو جامعة، أو أي شاب يريد حفظ القرآن الكريم، أو التبرع بأجر الشيخ، ونعرف أناسًا يُعطون راتبًا شهريًّا لشيخ في المكان، ليتبرع بدرس ثابت أو مواعيد ثابتة للتحفيظ، ومن الممكن أن يجتمع خمسة أشخاص مثلًا؛ ليدفعوا راتبًا للمحفظ.

١٣- منيحة الغنم، أو البقر، أو الإبل، وهذه تصح في بعض الأماكن دون غيرها.

١٤- شراء الدراجات الهوائية للدعاة، والخطباء في بعض الأماكن المحتاجة.

١٥- صدقات لمد شبكات توزيع المياه الصالحة للشرب في الأماكن المحتاجة.

١٦- تركيب برادات المياه الداخلية والحافظات ليشرب منها المصلون.

١٧- التبرع بأرض لتكون مسجدًا، أو جمعية خيرية، أو هيئة شرعية أو التبرع بحق الانتفاع لشقة أو محل لجمعية شرعية ...

١٨- التبرع بالأرض لبناء مدرسة أو بناء مستشفىٰ.

١٩- التبرع بالملابس عن طريق شراء ملابس جديدة، وكذلك إصلاح الملابس متوسطة الحال، وغسلها وكيها والتصدق بها.

٢٠- مساعدة اليتيمات عن طريق تجهيزهن كشراء مطبخ خشب أو ثلاجة أو ما تعارف عليه الناس لمساعدة اليتيمات.

٢١- شراء أثواب للقماش، وعمل خِمَارات، وتوزيعها هدايا علىٰ الفتيات غير المرتديات له.

٢٢- تجهيز وجبات جاهزة؛ وتوزيعها علىٰ أسر في رمضان، وهذا يستدعي معرفة الأسر الفقيرة، وإعلامهم بأنه سيوصل لهم.

٢٣- المشاركة في بناء جيد، ويسمىٰ في الريف (مضيفة)، ويستخدم كقاعة للأفراح، بدلًا من القاعات غالية الثمن، ووضع ضوابط، وإرشادات للتنبيه علىٰ منع المخالفات الشرعية.

٢٤- التبرع لبعض المرضىٰ المُعاقين بالكراسي المتحركة أو غيرها من الأجهزة.

٢٥- المساهمة في وحدات العلاج المجاني كالغسيل الكُلوي، وغيرها.

٢٦- المشاركة في تعبيد الطرق أمام البيوت، فلو اشترك كل مجموعة من السكان لإصلاح الطريق أمامهم لكان أفضل.

٢٧- غرس الشجر المُنوع: كالنخيل وغيره مما يستفيد الناس من ثمره أو ظله.

٢٨- تأليف الكتب، أو تجميعها، وتصنيفها، وتوزيعها لمن يستفيد.

٢٩- إنشاء مواقع الإنترنت للمدافعة عن الدين، والدعوة عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي، وتصحيح الأخطاء العقدية والفكرية بهدوء.

٣٠- إنشاء قنوات إسلامية تدعو إلىٰ الإسلام، وتدافع عنه ضد قضايا الاستشراق والغزو الفكري، ومعاول الهدم الصهيونية.

٣١- إعداد مجلة إسلامية شهرية، وجريدة يومية صادقة مفيدة.

٣٢- إضاءة الطرق المظلمة التي يحتاج إليها المسلمون في تنقلاتهم.

٣٣- إن كان ممن يملك المساكن يمكنه أن يتبرع بمسكن للمغتربين.

٣٤- التبرع بالدم؛ فلعله يُنقذ إنسانًا كاد أن يُشرف علىٰ الهلاك.

٣٥- بذل جزء من الأوقات لله كالإصلاح بين الناس.

٣٦- علىٰ المعلمين الاهتمام بقضايا الشباب مثل إقامة محاضرات عن المخدِّرات، والتدخين، وغيرها، وتوعية الطلبة خوفًا من الانحراف.

٣٧- إعداد الخواطر، والدروس في المساجد، والحديث فيما ينفع الناس في دينهم، ودنياهم.

٣٨- العمل في الجمعيات الأهلية التي تقدم خِدْمَات للناس مثل دروس محو الأمية، وكفالة الأيتام، وطلبة العلم، وإعطاء دروس مجانية، أو بأجر رمزي، وتوزيع الصدقات، والعلاج للمرضىٰ بأجر رمزي، وكل ما من شأنه تقديم خدمات للآخرين، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته.

٣٩- شراء أذكار الأحوال كدخول البيت، والخروج منه، وركوب الدابة، وغيرها، وتوزيعها، وإهدائها، وتعليق بعضها علىٰ المساجد، وفي الأماكن العامة.

٤٠- تقديم الهدايا التشجيعية للأطفال الذين يحفظون في المساجد؛ فإن ذلك يحفزهم ويشجعهم علىٰ الاستمرار، وحب العمل.

٤١- نقل القرآن الكريم بعدة أصوات، وكذلك الدروس النافعة وتخزينها علىٰ أية وسيلة تخزين مثل (الفلاشة أو اسطوانة) وإعطائها لآخر لنسخها، وهكذا لتتم الإفادة[1].

٤٢- إنشاء استراحات علىٰ الطرق السريعة الطويلة، وبناء دورات مياه، ومكان للصلاة.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

---

(١) تمت الاستفادة من (عبد اللطيف بن هاجس الغامدي، نهر الحسنات الجاري أكثر من ١٠٠ فكرة للحسنات الجارية).

(١١) وبالأسحار هم يستغفرون

الحمد لله الذي أعلىٰ مقام المستغفرين بالأسحار، وامتدحهم في كتابه، ووعدهم بالمغفرة وأعلىٰ الجنان، والصلاة والسلام علىٰ الحبيب الشفيع الذي ربَّىٰ رجالًا إذا أظلم عليهم الليل سُمع لهم نشيج بالبكاء، وإذا أسفر الصباح فإذا هم الأسود إقدامًا وشجاعة.

وبعد:

حديثنا بعون الله ومدده حول ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

قال -تعالىٰ-: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨].

قال مجاهد، وغير واحد: يُصلُّون، وقال آخرون: قاموا الليل، وأَخَّروا الاستغفار إلىٰ الأسحار، فإن كان الاستغفار في الصلاة فهو أحسن[(١)].

وعن الحسن قال: «مدوا في الصلاة ونشطوا حتىٰ كان الاستغفار بسحر».

وقال كثير من المفسرين في قوله -تعالىٰ- إخبارًا عن يعقوب أنه قال لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨]. قالوا: أخرهم إلىٰ وقت السحر.

وقيل: في ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ربما مدوا عبادتهم إلىٰ وقت السحر، ثم أخذوا في الاستغفار، وقيل: معناه يستغفرون من تقصيرهم في العبادة، وقيل: يستغفرون من ذلك القدر القليل الذي كانوا ينامونه من الليل، وقيل: معناه يُصلون بالأسحار لطلب المغفرة[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤١٨).

(٢) تفسير الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (٦/ ٢٤٢) (بيروت: دار الفكر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

وأخبر ابن وهب، قال: «سمعت ابن زيد يقول: السحر: السدس الأخير من الليل»[١].

وجاء في تفسير القشيري: أخبر عنهم أنهم -مع تهجدهم ودعائهم- يُنزلون أنفسهم في الأسحار منزلة العاصين، فيستغفرون استصغارًا لقدرهم، واستحقارًا لفعلهم، والليل للأحباب في أنس المناجاة، وللعصاة في طلب النجاة، والسهر لهم في لياليهم دائمًا إما لفرط أسف أو لشدة لهفة، وإما لاشتياق أو لفراق[٢].

دقائق الليل غالية

«سلَّ المجاهدون خنجر الخوف، فذبحوا به كبش الكسل، ففزع النوم وطار، ودوَّىٰ في أسماعهم صوت الحق: (هل من داعٍ)؟ فلبوا النداء، واستنشقت أنوفهم عبير الجنة، حملته رياح الأسحار، فاشتد الشوق، وقوي العزم، ونصبت الأقدام، وهطلت الدموع إلىٰ أن انتهىٰ زمن الزيادة، وحان وقت الفراق وآذن الأنس بالرحيل ... طلع الفجر)[٣]. ورحم الله علي بن أبي طالب حين قال:

من يشتري الدار في الفردوس يعمرها ... بركعتين في ظلام الليل يُحييها

ومن هنا يأتي النصر

هذه العبارة القوية قالها صلاح الدين رَحِمَهُ اللَّهُ حينما مر علىٰ خيمة أحد الجنود، وهو يُقيم الليل فقال: «من هنا يأتي النصر»، هكذا كان أصحاب العهد الأول من الصحابة، والتابعين يعلمون جيدًا أن النصر يأتي من خلال الطاعة القوية، وأن الدعاء

---

(١) تفسير الطبري، (ص٤١٣)، تفسير النسفي، (ص١٤٦).

(٢) تفسير القشيري (٣/ ٤٦٣).

(٣) فيض المنان في دروس رمضان، الشيخ أحمد عبد الرحمن السعدي ط١ (ص٣٣) (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م).

في هذه الأوقات سهام تخترق السحاب، لتصل إلىٰ رب السماء؛ لأنه نادىٰ في تلك الأوقات «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَ لَهُ»؟.

وفي الصحيحين من قول النبي ﷺ عن رب العزة: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حَتَّىٰ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ حَتَّىٰ يَطْلُعَ الْفَجْرُ»[(١)].

وفي نسيم الأسحار الهادئ وظلامه الدامس، يطيب اللقاء، وتحلو المقابلة، عندما ينظر الرحيم إلىٰ عباده، الذين تركوا مضاجعهم، وقاموا يُرضون ربهم، وينصبُون أجسادهم منهم الراكع، والساجد، والباكي، وأكفهم بالدعاء وقلوبهم بالرجاء متعلقة.

ما أجمل أن يكون اسمي واسمك فيهم أو يُدون في سجلاتهم ما أجمل أن نكون بين هؤلاء الذين تغشاهم رحمة الرحيم! إنها لحظات لو شعر بعظمتها أهل الأرض لانتصبوا واقفين علىٰ أقدامهم طول الليل، ولو أنهم سمعوا حرفًا من قول الله ﷻ: «هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَىٰ بِسُؤَالِهِ حَتَّىٰ يَطْلُعَ الْفَجْرُ»؟[(٢)]

وقيام الليل هو مصنع الرجال في شريعة الإسلام، وهو مدرسة عظيمة من مدارس تربية النفس، لا يقدر عليها إلا المخلصون، قال مالك بن دينار: «ما بقي من لذة الدنيا إلا ثلاث «ذكر الله، وقيام الليل، ولقاء الإخوان».

يقول عمر بن عبد العزيز: «كابدت قيام الليل سنة، ثم ذقت حلاوته عشرين سنة». يقول تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٤].

---

(١) البخاري (٤٦٤/ ١٣)، مسلم (٢٨٢/ ٦).

(٢) رواه مسلم برقيم (٧٥٨)، رمضان ألا من مشمر للجنة، بلال وهب، (ص١٦).

يا خاطبًا حور الجنة وهو لا يملك فلسًا من تهجد

رأىٰ أزهر بن مغيث في نومه امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقال لها: من أنت؟ قالت: حوراء. قال: زوجيني نفسك؟ قالت اخطبني إلىٰ سيدي، وأمهرني، قال: وما مهرك: قالت: طول التهجد. عجبت لمن باع قيام الليل بفضل لقمة، وضحىٰ بنسيم السحر في سبيل نومه، وأعلن انسحابه من نادي المتهجدين من أجل هجعة»[(١)].

اشترىٰ قوم جارية من الحسن بن صالح، فلما كان جوف الليل قامت الجارية فقالت: يا أهل الدار الصلاة: فقالوا: أأصبحنا؟ أطلع الفجر؟ فقالت: وما تصلون إلا المكتوبة؟ قالوا: نعم، فرجعت إلىٰ الحسن، فقالت: يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون إلا المكتوبة، ردني فردها.

وقيل للحسن البصري: «ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهًا؟ فقال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره».

وذهب بعض السلف لزيارة أخيه قبل الفجر فقيل له: نائم، فقال: ما عهدنا أحدًا ينام وقت السحر.

وسبحان الله لو حدثت واقعة كهذه في أيامنا لقيل: أن الزائر لا يفهم في الأصول!.

قال لقمان لابنه وهو يعظه: «يا بني لا يكن الديك أكيس منك، ينادي بالأسحار وأنت نائم»[(٢)].

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «استغفار بلا إقلاع توبة الكذَّابين»، ويقاربه ما جاء عن رابعة العدوية: «استغفارنا يحتاج إلىٰ استغفار كثير»[(٣)].

---

(١) ثلاثون مشروعًا في رمضان، ناصر الشافعي، (ص٣١).

(٢) ثلاثون مشروعًا في رمضان، (ص٣١، ٣٢).

(٣) الأذكار للنووي، (ص٤٠٤) (بيروت: دار الفكر ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

وقال ابن الجوزي: «إن إبليس قال: «أهلكتُ بني آدم بالذنوب، وأَهلكوني بالاستغفار، وبـ(لا إله إلا الله)، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء، فهم يُذنبون، ولا يتوبون، لأنهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعًا»[(١)].

وعن بعض الأعراب أنه تعلق بأستار الكعبة وهو يقول: «اللهم إن استغفاري مع إصراري لؤم، وإن تركي الاستغفار مع علمي بسعة عفوك لعجز، فكم تتحبب إلي بالنعم مع غناك عني، وأتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك، يا من إذا وعد وَفَّىٰ، وإذا توعد تجاوز وعفا، أَدْخِل عظيم جُرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين»[(٢)].

فوائد الاستغفار

١- أن المستغفر لا يهلك. قال جعفر الصادق: «لو نزلت صاعقة من السماء لأصابت الناس جميعًا إلا المستغفر: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]».

٢- سعة الأرزاق، والعافية، والمتاع الحسن يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن المتاع الحسن، والرزق، والسعة في الاستغفار، وذلك أن من داوم علىٰ الاستغفار فتح الله له فتحًا لا يخطر بالبال لقوله تعالىٰ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]».

وكذلك فإن الاستغفار سبب في المدد بالأولاد المطيعين لله.

٣- كثرة الاستغفار من أسباب تنزل الرحمات، والألطاف الربانية، والفلاح في الدنيا والآخرة. قال -تعالىٰ-: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦].

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية (١/ ١٤٢).

(٢) الأذكار للنووي، (ص٤٠٥).

٤- من أسباب مغفرة الذنوب، وتكفير السيئات. قال -تعالىٰ-: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

٥- أنه أمان من العقوبة والعذاب. قال -تعالىٰ-: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وعن سعيد بن جبير قال: «الاستغفار علىٰ نحوين: أحدهما في القول، والآخر في العمل».

٦- أنه من أسباب تفريج الهموم، والخروج من الضيق لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

٧- المستغفر تصغر الدنيا في قلبه، ويجد حلاوة الإيمان والطاعة.

٨- دعاء حملة العرش له، وإذا مات تلقته الملائكة بالبشرىٰ.

٩- زوال الوحشة التي بين الإنسان وبين الله، وتسهيل الطاعات.

١٠- تحقيق طهارة الفرد والمجتمع من الأفعال السيئة، وحصول محبة الله[(١)].

١١- الاستغفار يزيد قوة الإنسان المعنوية، ويزيد القوة البدنية، والقدرة علىٰ مزاولة الأعمال، والقدرة علىٰ معاشرة الأهل.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٢/ ٣٠٢).

(١٢) نعيم الجنة وطريقها

الحمد لله الذي جعل الجنة ميراث الأتقياء، وامتن عليهم بفضله بالعمل الموصل إلىٰ دار الخلد والقرار، والصلاة والسلام علىٰ أفضل من عمل بما أُمر.

وبعد:

فحديثنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول (نعيم الجنة وطريقها).

قال -تعالىٰ-: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢]، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٤].

ودخول الجنة بسبب الأعمال الصالحة، وأعلاها توحيد الله، والبراءة من الشرك، وأهله، والكفر بالطاغوت، والقيام بالطاعات من صلاة وصيام، وزكاة، وحج، واجتناب المنكرات، هذه من أسباب دخول الجنة.

والباء في الآية الكريمة ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ باء السببية، وليست باء المقابلة، والعدل، فإن الجنة، وما فيها من نعيم، وما أعطي العبد من النعم في الدنيا، بل ما منَّ الله عليه أصلًا من الهداية لا يستحق الجنة بالمقابلة؛ لأن حصول الهداية للعبد منَّة من الله ﷻ وتكرم، ولو تُرك العبد ونفسه لما اهتدىٰ، ولتخطفته الشياطين، لهذا لا يدخل الجنة إلا برحمة الله ﷻ[(١)].

ولا ينافي هذا ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**»[(٢)].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (١/ ٣٧٨).

(٢) متفق عليه، البخاري (١٣/ ٧، ٥٦٧٣)، مسلم (٢١٦٩، ٤، ٢٨١٦).

والنفي هنا أن يكون سبب الدخول المُعاوضة، والمُقابلة، والثَمنية، والعدل وإنما من باب الكرم والفضل والرحمة.

وقال يحيىٰ بن معاذ: «إن وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة، وإن أنالهم فضله لم تبق لهم سيئة»[(١)].

ولذلك يقول تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥].

ففضل الله ورحمته هو الموصل إلىٰ العمل ثم فضله ﷻ يلحق العبد في القبول ثم إلىٰ الجنة، وإلا فأعمال العبد لا تعادل موضع سوط في الجنة، فالعمل مورث الجنة بكرم الله، ومنته، وتوفيقه، وجوده وإحسانه ﷻ.

وفي الحديث عن أبي هريرة، يقول النبي ﷺ: «**يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشُبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْتَئِسُوا أَبَدًا**»[(٢)]. فذلك قوله ﷻ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وليس في القرآن الكريم كله (الذين آمنوا وعلموا الصالحات) لكن في ستة وثلاثين موضعًا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وفي خمسين موضعًا ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[(٣)].

وكثير من الناس لديهم علم غزير لكن العمل قليل لا يصل بهم إلىٰ درجة أولئك العاملين الذين يبتغون فضلًا من ربهم ورضوانًا، الذين يرجون تجارة لن تبور.

---

(١) حلية الأولياء (١٠/ ٥٢).

(٢) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم (٢٦٢٢)، ومسند أحمد (٢/ ٣١٩/ ٨٢٤١).

(٣) المعجم المفهرس، محمد فؤاد عبد الباقي (٤١٢).

ومن يزعم حب الرسول ﷺ ويُضيع العمل بسنته كاذب، مفرط في ميراث النبوة، ومتهاون فيما يعلم، ولا يأتيه الصدق إلا مع العمل، وصَدَقَ (ابن الونَّان) أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد الحميري:

والـدعاوي مـا لـم يقـم عليهـا ... بينـات أصـحابها أدعيـاء

وقال أبو فراس الحمداني:

تهـون علينـا في المعـالي نفوسـنا ... ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر[1]

وقال ابن الفارض:

ومن يخطب الحسناء يسخو بمهرها ... وطالـب شـهد لـم تُخِفْـه اللواسـع[2]

وقال المتنبي:

تريـدين إدراك المعـالي رخيـصة ... ولا بـد دون الـشهد مـن إبـر العسل[3]

ورحم الله الشافعي القائل:

تعـصي الإلـه وأنـت تظهـر حبـه ... هـذا محـال في القيـاس بـديع
لـو كـان حبـك صـادقًا لأطعتـه ... إن المحـب لمـن يحـب مطيـع[4]

والله ﷻ أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت، ولا خطر ببال بشر لقول الحبيب ﷺ عن ربه: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**»[5].

وصدق الله العظيم القائل: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

---

(١) قصيدة أراك عصي الدمع، أبو فراس الحمداني.
(٢) كشف الخفاء للعجلوني (٢/ ٢٨٥).
(٣) ديوان المتنبي (ص٥١٨)، طبعة دار بيروت.
(٤) ديوان الشافعي (ص٢٧).
(٥) رواه البخاري (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، مسلم (٢٨٢٤).

بعض أحوال السلف

وقد ورد أن السلف كانوا يعتمدون علىٰ العصي من طول القراءة، في التراويح، وكانوا ينصرفون عند الفجر، وبعضهم يختم القرآن في قيام رمضان في عشر، وكانوا في زمن التابعين يقرءون بالبقرة في ثمان ركعات، ويرون أن قراءتها في اثنتي عشرة ركعة من التخفيف، وكان مالك إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث، ومجالسة أهل العلم، وأقبل علىٰ تلاوة القرآن من المصحف، وكانوا يسمون شهر رمضان شهر القطيعة من الخلق، والإقبال علىٰ الخالق[(١)].

ونحن لا نعتبره كذلك، والبعض يعد شهر رمضان شهر التواصل مع الآخر، ومع كل جديد في الإعلام الفاسد، والبعض يعده شهر الجلوس علىٰ المقاهي والسمر، والبعض يُجرُون مسابقات الرياضة فيه، ويُفرِغون لها الجهود، وغير ذلك من أمور لا تليق.

قد علم الصحابة علم اليقين أن العمل هو الميدان الحقيقي بعد العلم ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩].

وها هو النبي ﷺ يُرسل الوفود لتعليم الناس الخير، فهم يعملون بما علموا، وغيرهم يتعلم ليعمل فيرسل معاذًا، وأبا موسىٰ رضي الله عنهما إلىٰ اليمن وأمرهما أن يعلما الناس القرآن الكريم. فكان أبو موسىٰ يطوف في مسجد البصرة ليُعَلم الناس القرآن الكريم. ويُخبر أبو موسىٰ الأشعري فيقول لهم: إن أمير المؤمنين -عمر- بعثني إليكم أعلمكم كتاب ربكم ﷻ وسنة نبيكم ﷺ وأنظف لكم طرقكم، وهو الذي أوتي مزمارًا من مزامير داود كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ.

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسىٰ ذَكِّرنا ربنا فيقرأ[(٢)].

كان شداد بن أوس رضي الله عنه إذا دخل الفراش يتقلب علىٰ فراشه لا يأتيه النوم

---

(١) مدرسة الصوم، عبد اللطيف مشتهري، ط٢، (ص٦٣).

(٢) حلية الأولياء (١/ ٢٥٦ – ٢٥٨).

فيقول: «اللهم إن النار أذهبت مني النوم فيقوم فيصلي حتىٰ يُصبح».

ويقول بشر بن الحارث (الحافي): «يقول سفيان بن عيينة: ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر إنما العاقل إذا رأىٰ الخير اتبعه، وإذا رأىٰ الشر اجتنبه»[(١)].

وربما يعمل إنسان أعمالًا لا يرىٰ ثمرتها ونتيجتها، ولكن لا بد أن يلازمه اليقين أنه مُثاب عليها لقوله -تعالىٰ-: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢]، ولكلٍّ جاءت بالتنوين أي لكل من الإنس والجن درجات فكأن الأعمال تتفاوت، فقد تكون في ظاهرها قوالب متحدة، لكن التفاوت إنما ينشأ بكثرة العمل، أو بإخلاص المُقارف للعمل، والمكتسب والفاعل له، فهناك من يُخلص بكل طاقته، وهناك من يؤدي عمله بنصف إخلاص ... وكلمة درجات تفيد العلو، وكلمة دركات تفيد الهبوط[(٢)].

فلا يضيع مثقال ذرة عند من يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، ولكل من أدىٰ وعمل جزاؤه، ولكل من عصىٰ وأعرض عقابه.

ويقول معروف الكرخي: «إذا أراد الله بعبد خيرًا فتح عليه باب العمل، وأغلق عليه باب الجدل، وإذا أراد بعبد شرًّا، أغلق عليه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل، ونعوذ بالله من طول الأمل؛ فإنه يُعيق العمل، اللهم إني أعوذ بك من طول الأمل فإنه يمنع خير العمل»[(٣)].

وكأني به يقول: جدد العهد وجنبني الكلام فإنما الإسلام دين العاملين. اللهم اجعلنا من العاملين لدينك. اللهم استخدمنا ولا تستبدلنا، واهدنا واهد بنا واجعلنا سببًا لمن اهتدىٰ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) حلية الأولياء (٨/ ٣٣٩).

(٢) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (٢/ ١٤٥).

(٣) حلية الأولياء (٨/ ٣٦١).

(١٣) أدومها وإن قل

الحمد لله الذي لا يُضيع أجر العاملين، ويكافئ علىٰ الطاعة بالمزيد، والصلاة والسلام علىٰ أفضل من داوم علىٰ الطاعات.

وبعد:

فحديثنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول (أدومها وإن قل).

قال -تعالىٰ-: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

والقنوت في اللغة: هو دوام الطاعة -كما في لسان العرب-، فمن داوم علىٰ الطاعة، وكان مستقيمًا عليها كان قانتًا لله، وكذلك من أطال الصلاة، وأطال الركوع والسجود فإنه يكون قانتًا.

فالقنوت هو المداومة علىٰ الطاعة، ولزومها مع الخشوع، والذل، والخضوع لله ﷻ، ومنه القنوت في الصلاة وهو الدعاء.

يقول ابن عجيبة: «أمَّن هو قانت مطيع، قائم بواجب الطاعات، دائم علىٰ أداء وظائف العبادة، آناء الليل أي: في ساعات الليل، حالتي السراء والضراء، كمن ليس كذلك بل يفزع إلىٰ الله في الضراء فقط»[(١)].

ويُخبر النبي ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**» قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَىٰ الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَىٰ الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»[(٢)].

---

(١) البحر المديد لابن عجيبة (٥/ ٥٧).

(٢) رواه مسلم (١/ ٢١٩/ ٢٥١)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٠٣).

والحديث به فوائد عديدة منها: (انتظار الصلاة)، (كثرة الخطا)، مما يُفهم منه ضرورة المداومة علىٰ الطاعة.

ويقول ﷺ: «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ**»[١].

وكان النبي ﷺ: «إذا عمل عملًا أثبته»[٢] أي داوم عليه، وواظب عليه، ومن مات علىٰ شيء بُعث عليه.

وعندما سُئلت عائشة رضي الله عنها عن عمله قالت: «كان عمله ديمة»[٣]. أي أنه ﷺ يداوم علىٰ الطاعات، ومما يؤكد ذلك أنه إذا فاته شيء من صلاة الليل لنوم أو مرض صلاها بالنهار، وكذلك لما شُغل بتوزيع العطايا عن سنة الظهر صلاها بعد العصر.

أمثلة لطاعات يُثبتها المؤمن:

فما أجمل أن يُثَبت الإنسان طاعة ثم يداوم عليها بعد مرور شهر رمضان، فمثلًا من يصلي ركعتي الضحىٰ يواظب عليها، ومن يصلي الضحىٰ أربع ركعات أو ست ركعات صدقة عن أعضائه يداوم عليها بعد شهر رمضان، ومما يعينه علىٰ ذلك: أن يكون دائمًا متوضئًا، وكلما أحدث توضأ، فحاله دائمًا علىٰ طهارة، والله يُحب المتطهرين، وهذا يُساعده علىٰ أن يصلي الضحىٰ في أي وقت أينما كان، ووقتما شاء.

وآخر قد واظب علىٰ إخراج صدقات، فلا ينبغي أن يترك ذلك بالكلية باقي العام، فما لا يُدرك كله لا يُترك كله.

---

(١) رواه مسلم برقم (٧٨٢).

(٢) رواه مسلم (٧٤٦).

(٣) البخاري (١٩٨٧).

وقد واظب النبي ﷺ علىٰ قيام الليل فهو مرضاة للرب، ومنهاة عن الإثم. فما أجمل أن يُثَبت الإنسان ركعتين أو أربعًا في جوف الليل أو حتىٰ قبل صلاة الفجر ويداوم عليها؛ فيكون من الذين يُقال لهم: ادخلوا الجنة بسلام.

وقد اعتاد المسلم علىٰ صيام ست من شوال، وهذا ملمح من ملامح الاستمرار علىٰ الطاعة، والمداومة عليها، فلا يحرم نفسه بعدها من صيام يومين في الأسبوع أو علىٰ الأقل يصوم الاثنين أو الخميس.

ولأن المسلم حريص علىٰ تحصيل الخير الكبير في شهر رمضان فهو يواظب علىٰ أذكار الصباح والمساء، فلا ينبغي له أن يحرم نفسه من هذا الخير، وفضله بعد شهر رمضان، حتىٰ يُكتب من الذاكرين الله كثيرًا، ومن لا يستطع فعليه أن يداوم علىٰ بعض الأذكار التي كان يذكرها علىٰ الأقل في سيره، وخروجه، ومجيئه ...

من أقوال الصالحين

- قال النووي: «وإنما كان القليل الدائم خيرًا من الكثير المنقطع؛ لأنه بدوام القليل تدوم الطاعة، والذكر، والمراقبة، والنية، والإخلاص، والإقبال علىٰ الخالق ﷻ، ويُثمر القليل الدائم بحيث يزيد علىٰ الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة»(١).

- قال الحسن: «إن دور الجنة تبنيها الملائكة بالذكر، فإذا فَتر العبد انقطع المَلَك عن البناء، فتقول الملائكة: ما شأنك يا فلان؟ فيقول: إن صاحبي فَتر. قال الحسن: أمدوهم -رحمكم الله- بالنفقة»(٢).

- وقال ابن الجوزي: «إنما أُحِب الدائم لمعنيين: أحدهما أن التارك للعمل بعد

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم، (ص٤٠٣).

(٢) فتح الباري لابن رجب (١/ ١٦٥).

الدخول فيه كالمعرض بعد الوصول، فهو متعرض لهذا، ولهذا أورد الوعيد في حق من حفظ آية ثم نسيها، وإن كان قبل حِفظها لا تتعين عليه»[(١)].

والثاني أن مُداوم الخير ملازم الخدمة، وليس من لازم الباب في كل يوم وقتًا ما كمن لازم الباب يومًا كاملًا ثم انقطع[(٢)]، ويقولون: من داوم طرق الأبواب فُتح له.

- يقول الإمام أحمد: «عجبت من طالب العلم ليس له ورد من الليل» كما يذكر عطية محمد سالم في «شرح بلوغ المرام».

آثار المداومة على العمل الصالح

١ - داوم اتصال القلب بخالقه، مما يعطيه قوة، وثباتًا، واستقامة.

٢- تعهد النفس، وبُعدَها عن الغفلة، وترويضها علىٰ لزوم الخيرات حتىٰ يسهل عليها.

٣- المداومة علىٰ العمل الصالح سبب النجاة من الشدائد.

٤- تفريج الكربات، والمصائب، والأزمات.

٥- حسن الخاتمة، والفوز بالجنة، يقول ابن كثير: «لقد أجرىٰ الله -الكريم- عادته بكرمه أن من عاش علىٰ شيء مات عليه، ومن مات علىٰ شيء بُعث عليه، فإن عشت علىٰ طاعة، وعمل صالح اقتضىٰ عدل الله أن يتوفاك علىٰ ذات الطاعة، ونفس العمل الصالح، فإن مت علىٰ هذه الطاعة بُعثت علىٰ ذات الطاعة لقوله ﷺ: «**يُبْعَثُ**

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد الرحماني المباركفوري (٤/ ٢٤٠/ ١٢٥١)، (الجامعة السلفية: الهند ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

(٢) شرح السيوطي لسنن النسائي، عبد الرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي ط٢، (٢/ ٧٢) تحقيق عبد الفتاح أبو غدة (حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

الْمَرْءُ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ»...»[١].

٦- محبة الله للعبد، من أعظم آثار المداومة علىٰ العمل الصالح، وانظر إلىٰ قوله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ**»[٢].

٧- طهارة القلب من النفاق. يقول النبي ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[٣].

٨- أن يُكتب له ما كان يعمله إذا مرض لقوله ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَحِيحًا مُقِيمًا**»[٤].

٩- المداومة علىٰ الطاعة من أسباب الخشوع والخضوع، والشعور بحلاوته في القلب.

١٠- ومن الثمار المرجوة للمداوم علىٰ الطاعة أن الله قد وعده بالثبات علىٰ الدين وهدايته الدائمة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وأخيرًا كن كعبد الله وبلال

يسأل النبي ﷺ: «**يَا بِلَالُ، أَخْبِرْنِي بِأَرْجَىٰ عَمَلٍ عَمِلْتَهُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ دُفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ**» قال بلال: إن أرجىٰ عمل عملته أنني ما توضئت وضوءًا أو

---

(١) صحيح مسلم (٢٨٧٨).
(٢) البخاري (١١/ ٣٤٠/ ٦٥٠٢).
(٣) البخاري (٥٢)، مسلم (١٥٩٩).
(٤) البخاري (٣٥٧/ ٢).

تطهرت طهورًا إلا صليت لله ﷻ ركعتين[(١)].

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**»[(٢)].

يقولون: فما ترك عبد الله قيام الليل بعدها أبدًا.

ويؤكد هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل: ٩٢].

يعني لا تكونوا كالمرأة الغازلة التي تغزل الصوف ثم إذا غزلته، وأتقنته، نقضته أنكاثًا، ومزقته، بل داوموا علىٰ الطاعات.

اللهم اجعلنا من المداومين علىٰ الطاعات، وأَعِنا ووفقنا فالفضل كله منك وإليك.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم

(١) مسند الإمام أحمد (٢/ ٤٣٩)، والبخاري (١٠٩٨).

(٢) متفق عليه، البخاري (١١٥٢)، مسلم (١١٥٩).

(١٤) يوم بلا ذنب

الحمد لله الذي يراك حيث تكون، فاجعله يراك وأنت علىٰ أحسن حال، والصلاة والسلام علىٰ خير من راقب ربه في السر والعلن، وأمر بحسن الأخلاق وجميل الخصال.

وبعد:

حديثنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول يوم بلا ذنب، قال -تعالىٰ-: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

قال القشيري: «خوفهم بما عَرَّفهم من اطلاعه عليهم في جميع أحوالهم ورؤية ما سيفعلونه من فنون أعمالهم، والعلم بأنه يراهم يوجب استحياءهم منه، وهذه حال المراقبة، والعبد إذا علم أن مولاه يراه استحىٰ منه، وترك متابعة هواه، ولا يحوم حول متابعة هواه»[(١)].

قال -تعالىٰ-: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

قال ابن عباس وغيره: حين تقوم للصلاة، وقال مجاهد: «يعني يراك حين تقوم حيثما كنت»[(٢)].

قال في الفواتح الإلهية: «الذي يراك أي القيوم القادر الذي يشهدك ويشاهدك حين تقوم من منامك خلال الليالي طلبًا لمرضاته، ورفعًا لحاجاتك إليه، وأيضًا

---

(١) لطائف الإشارات، تفسير القشيري (٢/ ١٠٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي (١٣/ ١٤٤).

يشاهد تقلبك وترددك جوف الليل وهو يراقب أحوال المؤمنين الساجدين المتذللين نحو الحق الواضعين جباههم علىٰ تراب المذلة والانكسار؛ شوقًا إليه وتحننًا من إفراط المودة، ومن شدة اشتعال نار العشق والمحبة الإلهية المُطفئة لنيران الأهواء الفاسدة، والآراء الباطلة، وكيف لا يتذللون إليه ﷻ، ولا يتمنون نجواه إنه بذاته هو السميع لمناجاتهم وعَرْض حاجاتهم، العليم لمقاصد طِيْب أغراضهم وخلوص نياتهم، وإخلاصهم في أعمالهم»[(١)].

ولا شك أن معية الله إذا استحضرها العبد في كل أحواله، فإنه يستحي من الله ﷻ أن يراه حيث نهاه، أو يفتقده حيث أمره؛ فتكون عونًا له علىٰ اجتناب ما حرم الله، والمسارعة إلىٰ فعل ما أمر به من الطاعات[(٢)].

يقول صاحب الظلال: «إنه شعور مطمئن ومخيف معًا، مؤنس، ومرهب معًا. وكيف بهذا المخلوق البشري، وهو مشغول بشأن من شئونه يحس أن الله معه، شاهد أمره، وحاضر شأنه، الله بكل عظمته، وبكل هيبته، وبكل جبروته، وبكل قوته الله خالق هذا الكون، وهو عليه هين، ومدبر هذا الكون ما جل منه وما هان ... الله مع هذا المخلوق البشري الذرة التائهة في الفضاء، لولا عناية الله تمسك بها وتراها! إنه شعور رهيب، ولكنه شعور مؤنس مطمئن إن الذرة التائهة ليست متروكة بلا رعاية ولا معونة ... إن الله معها ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ إنه ليس شمول العلم وحده، ولكن شمول الرعاية، ثم شمول المراقبة»[(٣)].

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية للكلم القرآنية، والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمد النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (٢/ ٥٤) (مصر: دار ركابي للنشر ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

(٢) شرح العقيدة الواسطية، محمد خليل هراس، (ص٢٣١) (الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية).

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشرابي، (٣/ ١٨٠٤).

العافية عند حكيم

قيل لحكيم: «ماذا تشتهي»؟ فقال: «عافية يوم»، فقيل له: «ألست في العافية سائر الأيام؟» فقال: «**العافية أن يمر يوم بلا ذنب**».

إنه يوم ملائكي كله طاعة لله ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الكهف: ٢٨].

فما أجمل أن يسمو الإنسان فوق رغبات نفسه، ويعلو فوق مطالب جسده، ويُصَبِّر نفسه؛ ليقتفي أثر الصالحين المصلحين.

هل تصورت نفسك تحيا يومًا بلا ذنب، وقد غلبت عليك الملائكية، وسمت نفسك، وحلقت في سماء الصفاء، والنقاء؟ هل تصورت نفسك أن يمر بك يوم بلا تفريط في جنب الله في العبادات، وبلا عدوان علىٰ حقوق الآخرين وحرياتهم؟![1].

خاطرٌ في النفس

كيف يمر يوم بلا ذنب؟ هذه مسألة صعبة جدًّا، لكن حاول أن تجعلها ساعة واحدة، ثم ضم إليها ساعة أخرىٰ، ثم أخرىٰ، حتىٰ تصل إلىٰ يوم، وهذا مُجرب وممتع، وشعور عالٍ بالحرية والسمو والرضا.

لكن كيف نصل إلى يوم بلا ذنب؟

إن ذلك يحتاج إلىٰ عزيمة، وخُطة، وترتيب.

١- ليكن شعارك أولًا: (الله مطلع عليَّ، الله يراني).

---

(١) تمت الاستفادة من (٣٠ مشروعًا في رمضان، ناصر الشافعي، (ص٥، ٦) (القاهرة: السيدة زينب دار النشر والتوزيع الإسلامية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٢- أن تُكثر من الصمت في بداية الأمر، وهذا لا ينفي أن التحلية أفضل من التخلية: وقال عمر بن عبد العزيز: «إني لأرجو أن يكون المتكلم علىٰ علم أفضل من الصامت علىٰ علم؛ وذلك أن منفعته للناس، وهذا صمته لنفسه».

٣- لا يتكلم إلا بعد أن يفكر هل ما سأقوله غِيبة أم لا؟ هل ما سأقول فيه خير؟ إن كان يتحدث وإلا أمسك.

٤- أن يوقن أن «**مَنْ يَتَحَرَّ الخَيْرَ يُعْطِهِ وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَ يُوقِهِ**»[(١)]. ويجاهد نفسه في اتقاء الشر، وغلق أبوابه، وطَرْق ما يستطيع من أبواب الخير.

٥- أن يذهب إلىٰ عمله متوضئًا، ويؤديه علىٰ أتم وجه ملتزمًا آداب العمل، والتعامل بأخلاقيات الإسلام مع الزملاء.

٦- لا يسهر طويلًا، ويضبط المنبه لصلاة الفجر، ويطلب من أحد المحافظين علىٰ الفجر أن يوقظه عن طريق الهاتف، ويتصل؛ حتىٰ يستيقظ، وليس بالضرورة أن يرد.

٧- لا ينسىٰ أن يوقظ زوجته، وأبناءه للصلاة، وإن كان بعيدًا أو مسافرًا أيقظهم بالهاتف، ويصبر عليهم مرة بعد مرة؛ حتىٰ يوقظهم، ويحرص أثناء وجوده في البيت، ويراقب انفعالاته، فهو يوم بلا سباب، ولا شتائم، إنه يوم بلا ذنب، ولا يُفهم أننا نطالب أو نطلب العصمة فهي للأنبياء.

٨- المحافظة علىٰ صحبة الأخيار، والصالحين، فهي تساعد علىٰ ضبط النفس، والتذكير بالطاعة قال -تعالىٰ-: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ﴾ [الكهف: ٢٨].

---

(١) حسن عن أبي هريرة عن أبي الدرداء، صحيح الجامع الصغير (٢٣٢٨)، الصحيحة (٣٤٢).

٩- إذا شعر أن لديه وقت ليس فيه عمل أو واجب أثناء اليوم عليه أن يَشْغَله باستكمال أعماله المكلف بها، أو بأي عمل آخر مُكلف به حسب الأولوية؛ لأن المسلم ليس عنده وقت فراغ (خالٍ من التكاليف).

١٠- بعد نهاية العمل، والعودة إلىٰ البيت لا ينسىٰ أنه يوم بلا ذنب، فإن كان صائمًا الفريضة أو النافلة فهو في صيام، وإن لم يصم فلا ينسىٰ أن يرتب نفسه في تناول الغداء، وصلاة العصر، فإما أن الوقت لا يسمح، فيأكل، ويصبر قليلًا حتىٰ يصلي العصر، أو أن الوقت يسمح نام حتىٰ وقت الصلاة، ثم يقوم ويأخذ أولاده معه للمسجد.

١١- بعد الصلاة إن وجد أهل بيته بحاجة إلىٰ مساعدة في البيت فعليه أن يساعدهم، فقد كان النبي ﷺ في مِهنة أهله وخدمتهم ومساعدتهم.

١٢- ما بين المغرب والعشاء -في غير رمضان- يستفيد الإنسان منه كَوِرد لمراجعة ما حفظ من القرآن، أو الاستماع إلىٰ الأخبار، أو قراءة شيء مفيد، أو الجلوس مع الأولاد، لتعليمهم تلاوة القرآن أو وغيرها من أعمال البر والطاعات.

١٣- يذهب إلىٰ صلاة العشاء، وإن تمكن من إلقاء خاطرة صغيرة بعد العشاء أو بعد ركعات القيام أثناء الاستراحة في شهر رمضان فهذا من الثواب الباقي، والدعوة المفروضة؛ كل ذلك لأن الواجبات كثيرة، وكما قال الإمام الشهيد حسن البنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التكاليف كثيرة والواجبات أكثر من الأوقات».

١٤- لا ينسىٰ الطاعات، فقد ذُكر أنه يكون متوضئًا، وهذا يساعده علىٰ صلاة الضحىٰ ركعتين أو أربع، ثم هو متوضئ دائمًا يَذكر، ويُسبح، ويَحمد الله؛ فلسانه دائمًا رطبٌ بذكر الله ﷻ.

١٥- إن استطاع أن يجلس في المسجد بعد صلاة الفجر حتىٰ شروق الشمس فليفعل، فله ثواب حجة وعمرة.

١٦- إن استطاع أن يُخرج صدقة فليفعل وفي الحديث: «**الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ**»[1]، وفي الصدقة إذلال للشيطان.

١٧- لا ينسىٰ ورده القرآني، قراءة جزء، قراءة شيء من كتب السيرة، وأحوال الصحابة رضي الله عنهم.

١٨- بعد أن ينجح في هذا المشروع عليه أن يعقد العزم والإصرار علىٰ أن يكرر هذا المشروع مرات أخرىٰ، والله المُعين والمُوفق. ونسأله ﷻ العصمة من الزلل.

صلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

(١) قال الألباني: صحيح الترغيب (٢٠١-٢)، وقال ابن حجر العسقلاني: حسن في تخريج مشكاة المصابيح (٢٩٣/ ٢).

(١٥) لا تأخذ شيئًا إلا بحقه

الحمد لله الذي خلق النفس فسوَّاها، وألهمها فجورها وتقواها، وكتب الفلاح لمن اعتنىٰ بها وزكَّاها، وتوعد من أهملها ودسَّاها، الحمد لله الذي حرم أكل أموال الناس بالباطل، والصلاة والسلام علىٰ النبي القائل: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ**»[(١)].

وبعد:

فحديثنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول «لا تأخذ شيئًا إلا بحقه»، يقول الله -تعالىٰ-: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

قال القرطبي: «والمعنىٰ لا يأكل بعضكم مال بعض بغير حق فيدخل في هذا القمار، والخداع، والغُصوب، وجحد الحقوق، وما لا تطيب به نفس مالكه، أو حَرَّمَتهُ الشريعة وإن طابت به نفس مالكه كمهر البغي، وحُلوان الكاهن، وأثمان الخمور، والخنازير ... وغير ذلك»[(٢)].

وقال -تعالىٰ-: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

قال الزحيلي: «ونضع الموازين العادلة التي توزن بها صحائف الأعمال يوم القيامة أو لِحساب يومِ القيامة، أو لِحكم يوم القيامة، فلا يلحق نفسًا أي ظلمٌ، فهم وإن ظلموا أنفسهم في الدنيا فلن يُظلموا في الآخرة حتىٰ وإن كان الظلم زنة حبة

---

(١) صحيح ابن ماجة (٣١٩١)، وقال الألباني: صحيح.

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٣٣٨).

الخردل، فنجازي عليه الجزاء الأوفىٰ حسنًا أو سيئًا وكفىٰ بنا محصين لأعمال العباد»[١].

وجمهور المفسرين أكدوا علىٰ أن الميزان في يوم القيامة إنما هو ميزان واحد بعمود وكفتين، توزن به الأعمال، ليبين الله للناس المحسوس المعروف عندهم، والخفة والثقل متعلقة بأجسام يقرنها الله -تعالىٰ- يوم القيامة بالأعمال، فإما أن يكون الموزون صحف أعمال أو مثالات تخلق أو ما شاء الله -تبارك وتعالىٰ-، فهي موازين حقيقية توزن بها الأعمال، والمقصود من الوزن: إقامة العدل المطلق الدقيق بين الخلائق؛ لأن الناس عادة لا يثقون إلا بالمحسوسات المشاهدة لهم، فإذا شاهدوا ما يوجد في كفتي الميزان من حسنات وسيئات اقتنعوا بأم أعينهم بما يشاهدون، وأدركوا حصيلة ما قدموا من أعمال صالحات أو سيئات، ولا مانع علىٰ قدرة الله أن توزن الأمور المعنوية كما توزن الأمور الحسية كالضغط والحرارة»[٢].

ورد في الصحيحين عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ قال: «**أَلَا إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّما يَأْتِينِي الْخَصْمُ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِيَ لَهُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ، فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنْ نَارٍ فَلْيَحْمِلْهَا أَوْ يَذَرْهَا**»[٣].

فدلت الآية الكريمة، والحديث علىٰ أن حكم الحاكم لا يغير الشيء وفي نفس الأمر، فلا يُحل حرامًا هو حرام، ولا يُحرم حلالًا هو حلال، وإنما هو ملزم في الظاهر فإن طابق في نفس الأمر فذاك، وإلا فللحاكم أجره، وعلىٰ المحتال وزره[٤].

---

(١) التفسير الوسيط، د. وهبه مصطفىٰ الزحيلي، (٢/ ١٥٨٦).

(٢) المرجع السابق (ص١٥٨٧).

(٣) رواه البخاري رقم (٢٤٥٨، ٦٩٦٧)، مسلم (١٧١٣).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٥٢١).

قد أخذتها بالثمن

عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «لَقلَّ يوم كان يأتي علىٰ النبي ﷺ إلا يأتي فيه بيت أبي بكر أحد طرفي النهار فلما أُذن له في الخروج إلىٰ المدينة لم يَرُعْنَا إلا وقد أتانا ظهرًا فخبر به أبو بكر»، فقال: ما جاءنا النبي ﷺ في هذه الساعة إلا لأمر حَدَث، فلما دخل عليه قال لأبي بكر: «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**» قال: يا رسول الله إنما هما ابنتاي -يعني عائشة وأسماء-، قال: «**أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ**» قال: الصحبة يا رسول الله، قال: «**الصُّحْبَةُ**». قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ عِنْدِي نَاقَتَيْنِ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ فَخُذْ إِحْدَاهُمَا» قال: قد أخذتها بالثمن[(١)].

قال المعصوم ﷺ: «**بِالثَّمَنْ**»، ولم يأخذ الناقة هكذا بسيف الحياء كما يفعل البعض كثيرًا ويظنها تميزًا وذكاءً أن يأخذ شيئًا، ولا يُعطي حقه، ولا يرده، وقد نهىٰ النبي ﷺ عن ذلك.

إلا بطيب نفس

قال ﷺ: «**لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ**»[(٢)].

وبعض الناس يقبل بدون رضا الآخر، ومن غير طيب نفس وهذا حرام لقوله ﷺ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**» فقال رجل وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله قال: «**وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**» وفي رواية: «**وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**» قالها ثلاث مرات[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٢١٣٨).

(٢) رواه أحمد (٢٠١٧٢) وصححه الألباني بصحيح الجامع (٧٦٦٢).

(٣) رواه مسلم (٢١٨) وقال الألباني: صحيح.

لذا ينبغي علىٰ المسلم أن يكون شديد الحرص في علاقاته المادية، فلا يستبيح أي شيء إلا بحقه أو بنفس راضية لصاحبه، حتىٰ القلم لا يأخذه عنوة أو بسيف الحياء فضلًا عن الكثير الذي يقبله من لا يخاف الجبار وإن الواحد ليتعجب من بعض المسئولين الذين يطلبون أو يقبلون أي رشوة، حتىٰ يُلحقوا أصحابها بكلية أو وظيفة أو منصب معين أو أن يعطونهم امتيازًا معينًا، كيف يستبيحون كل هذه الأموال، وكيف يُطعمون أبناءهم وزوجاتهم وذريتهم الحرام؟! إنما يأكلون في بطونهم نارًا، وسيصلون سعيرًا في الآخرة.

والصغير كالكبير

يقول النبي ﷺ: «**مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَىٰ عَمَلٍ فَكَتَمَنَا مَخِيطًا فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**. قال: فقام إليه رجل أسود من الأنصار كأني أنظر إليه، فقال: يا رسول الله، اقبل عني عملك؟ قال: **وَمَا لَكَ**؟ قال: سمعتُك تقول كذا وكذا، قال: **وَأَنَا أَقُولُهُ الْآنَ: مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَىٰ عَمَلٍ فَلْيَجِئْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَىٰ**»[(١)].

من مواقف الصالحين

كان رجلًا في دكانه، وكان تاجر ثياب، فمرت به صبية، جميلة فوقع الخمار من علىٰ وجهها، فقال الرجل: والله إني تحيرت مما رأيت، فقالت المرأة: إن لي شهرًا آتي إلىٰ السوق، وليس لي حاجة للشراء؛ ولكن ليقع في قلبي رجل، فأتزوجه علىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: قال الرجل: والله إن لي ابنة عم، وهي زوجتي، ولي منها الولد، وقد عاهدتها ألا أتزوج عليها غيرها، فقالت المرأة: رضيت منك يومًا واحدًا في

---

(١) رواه مسلم (١٨٣٣)، وفي صحيح الجامع رقم (٦٠٢٤).

الأسبوع تأتيني فيه وفقط، وإن لي مالًا ودارًا ففكر الرجل، ووافق علىٰ ذلك، وتزوجها ثم اضطربت أحوال الرجل، فقالت الزوجة الأولىٰ لخادمتها: اذهبي وراء الرجل وانظري أين يذهب، ولا يشعرن بك أحد، فمشيت الجارية وراء الرجل، فدخل دارًا لسيدة، فسألت الجيران عنها، فقالوا: هذا الرجل تاجر للثياب وقد تزوج هذه الصبية منذ شهور فرجعت وأخبرت سيدتها الخبر، فقالت: يا جارية، لا تحدثي أحدًا بذلك الأمر، ولما عاد الرجل لم تظهر له ابنة العم شيئًا، وبعد زمن مات الرجل، وترك ثمانية آلاف درهم، ولم يُخبر زوجته بشيء، فقامت الزوجة بتوزيع التركة، فأعطت الأولاد سبعة آلاف، وجاءت علىٰ الألف الثامن وقسمتها نصفين، ووضعت الخمسمائة درهم في كيس، ونادت علىٰ الجارية، وقالت: يا جارية أتعرفين هذه السيدة التي كان تزوجها سيدك. قالت: نعم، قالت: اذهبي إليها بهذا المال، وقولي مات الرجل، وخلف ثمانية آلاف درهم فأخذ الأولاد بحق الله سبعة، وهذا نصيبك في ميراث الرجل، فبكت السيدة التقية المؤمنة، وأخرجت صندوقًا من تحت السرير، وقالت يا جارية اذهبي بهذا المال إلىٰ سيدتك، وسلمي عليها، فليس لي في هذا المال حق، لقد طلقني الرجل قبل أن يموت بشهور[1].

هذه تقوىٰ الله، ومراقبته في السر والعلن.

عطاء عمر بن عبد العزيز

أتت عمةُ عمر بن عبد العزيز إلىٰ امرأته فاطمة، فقالت: إني أريد كلام أمير المؤمنين: قالت لها: اجلسي حتىٰ يفرغ، فجلست فإذا بغلام قد أتىٰ، فأخذ سراجًا فقالت فاطمة: إن كنت تريدنه فالآن، فإنه إذا كان في حوائج العامة كتب علىٰ الشمع، وإذا صار إلىٰ حاجة نفسه دعا بسراجه، فقامت، فدخلت عليه، فإذا بين يديه أقراص،

(١) صفة الصفوة، أبو فرج عبد الرحمن الجوزي (١/ ٣٠٠).

وشيء من ملح، وزيت وهو يتعشىٰ، فقالت: يا أمير المؤمنين، أتيت بحاجة لي، ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتي، قال: وما ذاك يا عمة؟ قالت: لو اتخذت لك طعامًا ألين من هذا، قال: ليس عندي يا عمة، ولو كان عندي لفعلت.

قالت: يا أمير المؤمنين، عمك عبد الملك كان يُجري علي كذا وكذا، ثم كان أخوك الوليد فزادني، ثم وليت أنت فقطعته عني.

قال: يا عمة إن عمي عبد الملك، وأخي الوليد، وأخي سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين، وليس ذاك المال لي فأعطيكه، ولكن أعطيك من مالي إن شئت: فقالت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟

قال: عطائي مئتا دينار فهو لك، قالت: وما يبلغ مني عطاؤك؟ قال: فليس أملك غيره يا عمة، قالت: فانصرفت عنه[١].

كان عمر بن عبد العزيز له سراج خاص، وسراج خاص بأمور المسلمين، وجلس معه أحد أمرائه يومًا، يحدثه في أمور المسلمين، فلما قال الرجل: وكيف حالك يا أمير المؤمنين، فقام وأطفأ المصباح، وأضاء آخر، ثم قال: كنت تحدثني عن أمور المسلمين علىٰ مصباح يُضاء بزيت من بيت المال أما وقد طلبت الحديث عن نفسي، فهذا مصباح يُضاء بزيت من مالي الخاص[٢].

اللهم قنعنا بما رزقتنا يا رب العالمين

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

---

(١) فيض المنان في دروس رمضان، أحمد عبد الرحمن السعدني (ص٢٥٩، ٢٦٠).

(٢) المرجع السابق.

(١٦) الزوجة في رمضان

الحمد لله الذي جعل خير الأزواج خيرهم لأهله، وجعل بين الزوجين مودة ورحمة، والصلاة والسلام علىٰ أفضل من أكرم المرأة وأحسن إليها.

وبعد:

قال -تعالىٰ-: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قال الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي للزوجة مثل ما للزوج، لكن ما الذي لهن، وما الذي عليهن؟ المثلية هنا في الجنس، فكل منهما له حق علىٰ الأخر حسب طبيعته. الزوج يقدم للزوجة بعضًا من خِدْمَات، والزوجة تقدم له خِدْمَات مقابلة؛ لأن الحياة الزوجية مبنية علىٰ توزيع المسؤولية. إن الرجل عليه مسؤوليات تقتضيها طبيعته كرجل، والمرأة عليها مسئوليات تُحتمها طبيعتها كأنثىٰ، والرجل مُطالب بالكدح والسعي من أجل الإنفاق، والمرأة مطالبة بأن توفر للرجل البيت المناسب ليسكن إليها عندما يعود من مهمته في الحياة، فهناك حق لك هو واجب علىٰ غيرك، وهناك حق لغيرك هو واجب عليك»[(١)].

قال ابن عباس: «أي لهن من حسن الصحبة والعشرة بالمعروف علىٰ أزواجهن مثل الذي عليهن من الطاعة فيما أوجبه عليهن لأزواجهن».

ويقول النبي ﷺ: «**وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَىٰ بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ**»[(٢)].

المودة بين الزوجين حث عليها الخالق ﷻ: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

---

(١) تفسير الشعراوي (٢/ ٩٨٧).

(٢) رواه البخاري (٣٨٤).

إن الأساس الذي ينبغي أن تقوم عليه العلاقات الزوجية هو المودة والرحمة، وتعني عطف قلوبهم بعضهم علىٰ بعض، وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «المودة حب الرجل امرأته، والرحمة رحمته إياها أن يصيبها سوء»[(١)].

ومن مودة الزوجة في شهر رمضان، والرحمة بما أن يعاملها الزوج في تحصيلها للطاعات كما يعامل نفسه، فهو يحب أن يصلي النوافل، ويقرأ القرآن، ويقوم بسائر الطاعات، وهي لها حق كذلك في أن تقوم بسائر الطاعات، وتتمنىٰ أن تقوم بها، فينبغي علىٰ الزوج أن يساعد زوجته لتحصيل ذلك، فالزوجة متعبة من الصيام، وعليها إعداد الطعام، وربما كانت عاملة، وعليها مسئوليات تجاه الأبناء، فليس من العدل والمنطق أن يتركها الزوج ولا يساعدها، ولكن ما ترضاه النفس السوية العاقلة العادلة أن يساعد الرجل زوجته في أعمال البيت، وشراء الأشياء المطلوبة، وإن كان هناك أبناء وبنات حثهم علىٰ المساعدة، فكان النبي ﷺ في مهنة أهله، وخدمتهم، وكان يخصف نعله (يصلحه)، ويخيط ثوبه.

وعلىٰ المرأة أن تخطط لحياتها، فلا ينبغي أن تقف ساعات طويلة في المطبخ من غير نية، بل عليها النية حتىٰ يَعظُم أجرها، ومن الممكن أن تسمع القرآن أثناء الإعداد أو تسمع أذكار المساء حتىٰ تكون في ذكر وفي معية الله.

ليس الآن

بعض الأسر تخطط لشهر رمضان في أثنائه، والأفضل أن يكون التخطيط قبل بدء الشهر، وعلىٰ الزوجين أن يتعاونا لشراء ملابس الأبناء قبل بداية الشهر، بدلًا من أن يتعب الزوجان في الشراء، وتضيع الأوقات في العشر الأواخر من رمضان والتي فيها أفضل ليالي العمر وهي ليلة القدر.

---

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ١٤).

وعلىٰ الأخت المسلمة واجبات تجاه ربها، وتجاه أولادها وتجاه بناتها، والوالدين، والإخوة والأخوات و... واجبات عديدة تحتاج إلىٰ موازنة.

كذلك علىٰ ربة المنزل أن تقلل الزيارات للمجاملات والواجبات الاجتماعية في شهر رمضان أما زيارات الطاعة والإيمان فيُسمح ببعضها.

ففي العبادة أولًا لا تنسىٰ وردها اليومي من القرآن الكريم حتىٰ تختم علىٰ الأقل مرة، فمن لم يختم القرآن مرة في الشهر فقد هجره كما قال ابن عباس. وبعض النساء يختمن ثلاثًا أو خمس مرات.

ولا تنسىٰ الأخت المسلمة تعليم بناتها ما يحتجن من العبادات والحشمة، والوقار، وأخلاقيات كثيرة، وتتابع الأبناء وتسأل كم جزء قرأت أو قرأت؟

وعلىٰ الأخت المسلمة ألا تغفل جانب التربية للأبناء والبنات، وتوجيه النصح والتصحيح لأولادها بضرورة حفظ النفس، والجوارح من الغِيبة، والنميمة ...

وأخيرًا

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

قال القرطبي: «أي علىٰ ما أمر الله به حسن المعاشرة، والخطاب للجميع إذ لكل أحدٍ عِشرة زوجًا كان أو وليًّا، ولكن المراد بهذا الأمر في الأغلب الأزواج، ويقول النبي ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»...»[(١)].

(١) رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٥).

ولا يفوتنا

أن نذكر أن النبي ﷺ كان يقتطع من وقته في رمضان، ويجلس يعلم زوجاته، فيقول لعائشة رضي الله عنها: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[(١)].

ولا يمنع الزوج زوجته من الذهاب للصلاة بل يساعدها، يقول عبد الله بن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَا تَمْنَعُوا نِسَاءَكُمُ الْمَسَاجِدَ إِذَا اسْتَأْذَنَكُمْ إِلَيْهَا**». قال: فقال بلال بن عبد الله بن عمر: والله لنمنعهن. قال الراوي فأقبل عليه عبد الله فسبه سبًّا سيئًا ما سمعته سبه مثله قط، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهن[(٢)].

علىٰ الزوج أن يُذكِّر زوجته بأذكار الصباح والمساء، وإذا نسي علىٰ الزوجة أن تذكره، ومرات يكون بصوت مرتفع قليلًا؛ ليسمع الأطفال ويتعلموا، ومرات يقولوا صامتين وهكذا.

إذا أرادت الزوجة أن تعتكف العشر أو أيام من العشر فلها ذلك بالتفاهم والتشاور والترتيب مع الزوج والأبناء وقد صح عن عائشة رضي الله عنها أنها استأذنت النبي ﷺ أن تعتكف في العشر الأواخر من رمضان فأذن لها، واستأذنته حفصة رضي الله عنها فأذن لها[(٣)]. واستأذنت زينب رضي الله عنها فأذن لها، وكان ذلك في حياته لثلاث من أمهات المؤمنين هن: عائشة، وحفصة، وزينب، رضي الله عنهن أجمعين.

يحاول الزوجان من إيجاد التوازن المطلوب، فواجبات شهر رمضان كثيرة جدًّا، واغتنام الخير فرصة، والأوقات لا تكفي هِمَّة الراغبين فيما عند الله من الجنان،

---

(١) رواه مسلم (١١٤٧).

(٢) رواه البخاري، ومسلم (٢٤٢).

(٣) البخاري (٢٠٤٥).

ولذلك قال سلمان الفارسي لأبي الدرداء: «فأعط كل ذي حق حقه»، قال النبي ﷺ: «**صدق سلمان**»[١].

لا مانع من قبول العرف الذي يُدخل البهجة علىٰ الأبناء، ولا يُعارض أمرًا في الشرع، فلا مانع من الكعك و... وننصح بأن تشتريها جاهزة، وإن كانت أغلىٰ قليلًا حتىٰ لا يضيع الوقت فالوقت أغلىٰ ما يملكه الإنسان لتحقيق مقصوده، ومناجاة ربه، وقراءة القرآن، وغيرها من الطاعات.

اللهم اجعلنا وأزواجنا في ظلال علىٰ الأرائك متكئين، ولا تُخيب فيك رجاءنا يا رب العالمين.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

(١) رواه البخاري (١٨٧).

(١٧) ما كان الرفق في شيء إلا زانه

الحمد لله الذي أرسل موسىٰ وهارون إلىٰ فرعون الذي طغىٰ، وأمرهما أن قولا له قولًا لينًا، لعله يتذكر، أو يخشىٰ، والصلاة والسلام علىٰ الحبيب الشفيع الذي يحب الرفق في الأمر كله.

وبعد:

فحديثنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول الرفق، قال -تعالىٰ-: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ قال رجل من المسلمين من أصحاب النبي ﷺ: «لقد أحسن الله إلينا الإحسان كله، كنا قومًا مشركين فلو جاءنا رسول الله ﷺ بهذا الدين جملة واحدة فيه قتال الآباء والأبناء، وتحريم الربا، والأحكام والحدود لما دخلنا في الإسلام، ولكنه دعانا إلىٰ كلمة، فلما دخلنا فيها، وعرفنا حلاوة الإسلام، والإيمان، قبلنا ما جاء به من عند الله».

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ فبرحمة (وما صلة زائدة) قال فبرحمة من الله وتوفيقه دخل المسلمون في الإسلام لِمَا جُعل عليه رسول الله ﷺ من اللين والرحمة للمؤمنين[(١)].

ويقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**»[(٢)] ويقول: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَىٰ الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ سِوَاهُ**»[(٣)].

---

(١) هود بن محكم الهواري، تفسير الكتاب العزيز (١/ ١٩٤).
(٢) البخاري مع الفتح (٢٨٠/ ١٢).
(٣) البخاري (٦٩٢٧).

وقد ذكر النبي ﷺ ذلك لعائشة رضي الله عنها عندما ردت علىٰ اليهودي الذي قال: السام عليكم (الموت عليكم) فقال لها: «**مَهْلًا**»، وذكر الحديث السابق ... صلىٰ الله علىٰ الرحمة المهداة الرؤوف الرحيم.

والله -تبارك وتعالىٰ- يحب الرفق أي الموافقة والمقاربة بلا عنف، ويحب لين الجانب، ولطافة الفعل كما في اللغة والاصطلاح[(١)].

ويحب ربنا ﷻ الرفق في التعامل، ويبغض العنف، والعجلة، ويذم العجلة إلا في الخير.

وصفة لتعليم الرفق

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا شكا إلىٰ رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له: «**إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ فَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ**» وفي رواية: «**إِذَا أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ**»[(٢)].

من أقوال أهل الفضل في الرفق

بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله، فأمرهم أن يوافوه، فلما أتوه قام، فحمد الله، وأثنىٰ عليه، ثم قال: «أيها الناس، أيتها الرعية: إن لنا عليكم حقًّا: النصيحة بالغيب، والمعاونة علىٰ الخير. ثم قال للرعاة: إن للرعية عليكم حقًّا، فاعلموا أنه لا شيء أحب ولا أعز من حلم إمام، ورِفْقِه، وليس جهل أبغض إلىٰ الله ولا أغم من جهل إمام وخرقه، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه»[(٣)].

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٦/ ٢١٥٧)، والحديث في صحيح البخاري (٦٠٣٨).

(٢) الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦٣) وهو في الصحيحة للألباني (٨٥٤).

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي (٣، ١٨٨، ١٨٩). (خرقة أي ذا لونين) كما في الوسيط (١/ ٢٢٤).

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن من فقه الرجل رفقه في معيشته».

قال ابن قدامة: «قال بعض السلف: لا يأمر بالمعروف إلا رفيق فيما يأمر، رفيق فيما ينهي عنه، حليم فيما يأمر به، حليم فيما ينهي عنه، فقيه فيما يأمر به، فقيه فيما ينهىٰ عنه»[(١)].

جاء رجل إلىٰ هارون الرشيد فقال له: «سأقول لك قولًا شديدًا قال له لا تقل لي قولًا شديدًا؛ فأنت لست بأحسن من موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنا لست بأسوأ من فرعون».

وروي أن أبا الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مر علىٰ رجل قد أصاب ذنبًا والناس يسبونه فقال: «أرأيتم لو وجدتموه في قَليب -بئر يُذكر ويؤنث كما في الوسيط- ألم تكونوا مستخرجيه؟ يعني إن كان واقعًا في بئر ألم تكونوا مستخرجيه من ذلك البئر؟ قالوا: بلىٰ. قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم. فقالوا: أفلا تبغضه؟ فقال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي»[(٢)].

قال أبو عون الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما تكلم الناس بكلمة صعبة إلا جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها»[(٣)].

نماذج من رفق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

١- الرفق مع الأهل: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما ضرب النبي شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله».

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي (١/ ١٢٩).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي، رقم (٦١٨٠).

(٣) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٦/ ٢١٦٧)، اسم الله الرفيق، محمد الدبيسي (١/ ٢٨، ٢٩).

٢- الرفق مع الخدم: «قال أنس رضي الله عنه: خدمت رسول الله عشر سنين، والله ما قال لي أف قط، ولا قال لشيء لم فعلت ذلك»...

٣- الرفق مع الأطفال يداعبهم، ويسلم عليهم ويمسح علىٰ رؤوسهم.

٤- الرفق مع السائل فيجذبه من ردائه ثم يقول: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

٥- الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: كما حدث مع الأعرابي الذي بال في المسجد.

٦- الرفق مع العاصي التائب: مثل الرجل الذي وقع علىٰ زوجته في رمضان، ولا يستطيع عتق رقبة، ولا صيام شهرين، فأعطاه ليتصدق، فقال: علىٰ أفقر منا، قال: «**أطعمه أهلك**»[١].

٧- الرفق في التعامل مع الكفار، ويدخل الرجل ليقول السام عليكم فقالت عائشة السام واللعنة عليكم فقال: «**مَهْلًا يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**»[٢].

٨- الرفق مع الأُمة في التطوع ... «**خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ**»[٣].

٩- الرفق بقومه بالرغم من أذيتهم، وجاء المَلَكْ ليأمره بما يشاء وأراد أن يُطبِق عليهم الأخشبين فرفض ﷺ وقال: «**لَعَلَّ اللهَ يُخْرِجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[٤].

---

(١) صحيح البخاري (٢٤٦٠).

(٢) صحيح البخاري (٥٦٧٨).

(٣) متفق عليه، البخاري (٦٤٦٥)، ومسلم (٧٨٢).

(٤) رواه مسلم (١٧٩٥).

١٠- الرفق مع حاطب بن أبي بلتعة عندما أفشىٰ سر النبي وصحابته ... وعفا وقال: «**لَقَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَلَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**»[(١)].

١١- الرفق في الحج فيقول: «**افْعَلْ وَلَا حَرَجَ**»[(٢)]...

١٢- الرفق بالحيوان ونهيه أن تصبر البهائم (يرمونها)، وكلامه عن الذي سقىٰ الكلب فغفر الله له، والتي دخلت النار في قطة.

فوائد الرفق

١- رفق الله -تبارك- بمن يرفق بالرعية وفي الحديث: «**مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**»[(٣)].

٢- دليل كمال الإيمان، وحسن الإسلام.

٣- يثمر محبة الله، ومحبة الناس.

٤- ينمي روح المحبة، والتعاون بين الناس في المجتمع.

٥- دليل علىٰ صلاح العبد، وحسن خُلُقُه.

٦- يُنشئ مجتمعًا سالمًا من الغل، والعنف.

٧- الرفق زينة الأشياء، والمواقف، والنفوس.

٨- حظ الإنسان من الخير هو بمقدار حظه من الرفق.

٩- أكد علماء التربية أن الرفق يؤتي ثماره في تربية الأبناء أفضل من الشدة.

---

(١) متفق عليه، البخاري (٣٩٩٢).

(٢) رواه أبو داود (٢٠١٥)، والطبراني (٤٧٢)، وقال الألباني: صحيح.

(٣) رواه مسلم (١٨٢٨).

مكافأة المعاملة بالرفق

إنها مكافأة علوية الغاية، ربانية المنشأ، نبيلة المقصد قال ﷺ: «**حُرِّمَ عَلَىٰ النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ**»[١].

ومن أعظم الرفق: رفق الرجل بزوجته، فخير الناس خيرهم لأهله كما صح عن المعصوم ﷺ وإن كانت مريضة، أو مستفزة تكون الحاجة إلىٰ الرفق معها أكبر.

ومن أعظم الرفق الذي يحتاجه الإنسان يوميًّا رفقه بأبنائه فخطؤهم متكرر، والأب يتمنىٰ أن لا تصدر الأخطاء عن أبنائه، فينفعل، وهنا عليه أن يتذكر أنه من الطبيعي أن يكون الخطأ من الصغار حتىٰ يتعلموا مرة بعد أخرىٰ، وعليه أن ينبه علىٰ الخطأ وتنبه الأم علىٰ الخطأ مرات، وما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نُزع من شيء إلا شانه.

نتائج سيئة ضارة:

فمن أصر علىٰ الشدة، والغلظة، والفظاظة في النصيحة فالأولىٰ له أن يتجنب ذلك؛ لأنه كم من صديق قد أوغر صدره، وكم من باب للنصيحة قد أُغلق، وكم من منصوح قد صَدَّ عن باب الله، وكم من الأجر قد فاته، وكم أعان الشيطان علىٰ إخوانه.

نتائج طيبة مرجوة:

ومن دعا بالرفق واللين، فكم من باب مغلق قد فُتح، وكم من قلب مُغلق قد فُتح، وكم من حق مُضاع قد حُفظ، وكم من نقص قد استكمل، وكم من أخوة قد رُوعيت، وكم من متأخر عن الركب قد أدرك، وكم من الأجر قد حُصِّل، وكم من إرغام للشيطان قد كان[٢].

اللهم علمنا الرفق في الأمر كله، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد ﷺ

---

(١) مسند أحمد (١/ ٤١٥) (٢٩٣٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٣٥).

(٢) المناظرات وأدب الحوار، الشيخ صالح بن عبد الله الحميد (٥/ ٧).

(١٨) التحرر من أسر العادة

الحمد لله لا رافع لما وضع، ولا واضع لما رفع، ولا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع، ولا قاطع لما وصل، ولا واصل لما قطع، فسبحانه من إله حكيم رحيم، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ.

وبعد: حديثنا بحول الله وقوته حول انتصار النفس علىٰ إلف العادة.

قال الله -تعالىٰ-: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

يقول الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ: الموضع الذي تأتي فيه هذه الآية الكريمة هو موقع ذكر المعركة الإسلامية التي جعلها الله آية مستمرة دائمًا؛ لتوضح لنا أن المعارك الإيمانية تتطلب الانقطاع إلىٰ الله، وتتطلب خروج المؤمن عما ألف من عادة تمنحه كل المتع، والمعارك الإيمانية تجعل المؤمن الصادق يضحي بكثير من ماله في تسليح نفسه وتسليح غيره أيضًا. فمن يقعد عن الحرب إنسان تغلبه شهوات الدنيا، فيأتي الله بهذه الآية بعد ذكر الآية التي ترسم طريق الانتصارات المتجددة لأهل الإيمان؛ وذلك حتىٰ لا تأخذنا شهوات الحياة من أجر القتال في سبيل الله، ولإعلاء كلمته[(١)].

ويقول -تعالىٰ-: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أخوف ما أخاف عليكم اثنان: طول الأمل واتباع الهوىٰ، فأما طول الأمل فيُنسي الآخرة، وأما اتباع الهوىٰ فيصد عن الحق».

---

(١) تفسير الشعراوي لسورة آل عمران، (ص٥١). بتصرف يسير.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾، وأما من خاف الوقوف بين يدي الله ﷻ، وخاف حكم الله فيه يوم القيامة، وأدرك عظمة الله وجلاله، ونهىٰ نفسه عن هواها، وزجرها عن المعاصي والمحرمات التي تشتهيها، وردها إلىٰ طاعة مولاها، فالجنة مكانه الذي يأوي[١].

ويقول ابن الجوزي: «المجاهد من جاهد هواه، وهؤلاء المجاهدون لهواهم، يرفع الله ذكرهم في الدنيا والآخرة، فَيَذْكُرُهم أهل الأرض، ويتباهىٰ بهم أهل السماء، وانظر إلىٰ يوسف عليه السلام، وتأمل لو وافق هواه من كان يكون؟ فلما خالفه خلَّد الله ذِكره بسورة في القرآن تحمل اسمه تُتلىٰ صباحًا ومساءً، وضُرب به المثل في الصبر علىٰ الشهوات، فارتفع قدره علىٰ مر العصور والأزمان، وصار مثلًا يُحتذىٰ به لمن آثر رضا ربه علىٰ موافقة هواه، بل ملكه الله الدنيا قبل الآخرة جزاء ما قدمت يداه، ومثوبة له علىٰ مخالفته هواه، وجعل ذلك لكل من سار بعده علىٰ نهجه»[٢].

خطورة أسر الشهوة أو العادة

يقول بشر بن الحارث (الحافي): «لا تجد حلاوة العبادة حتىٰ تجعل بينك وبين الشهوات حائطًا من حديد»[٣].

ومن كان أسيرًا لشيء من الدنيا قيده عن الحركة، ومنعه من الانطلاق لإحراز الغاية، وبلوغ خط النهاية، سواء كان الذي أسره تجارة، أو امرأة، أو المنصب، أو أي نوع من أنواع اللهو، والعاقل ينظر إلىٰ حقيقة الأشياء وجوهرها لا إلىٰ مظهرها[٤].

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة، د: وهبه بن مصطفىٰ الزحيلي (٣/ ٥١).

(٢) سباق نحو الجنان، د. خالد أبو شادي، (ص١٥٣) بتصرف يسير.

(٣) ذم الهوىٰ، ابن الجوزي، تحقيق مصطفىٰ عبد الواحد (١/ ٢٩).

(٤) سباق نحو الجنان، (ص٣٤) بتصرف يسير.

أسر القلب أعظم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، فإن من استُعْبِد بدنه، واستُرِق وأُسر لا يبالي إذا كان قلبه مستريحًا من ذلك مطمئنًّا، بل يمكن الاحتيال في الخلاص، وأما إذا كان القلب هو الذي ملك الجسم رقيقًا مستعبدًا متيمًا لغير الله، فهذا هو الذل والأسر المحض والعبودية الذليلة لما استعبد القلب، وعبودية القلب وأسره هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب، يقول النبي ﷺ: «**لَيْسَ الْغِنَىٰ مِنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْسِ**»[1].

ولا يليق بمسلم أن يكون أسيرًا لعادة أو لمشروب أو لسيجارة أو لغيرها من المحرمات؛ فإن ذلك يعكر عليه صفو عبادته، ويضُر علاقته بربه.

والمُجرب في دنيا الناس أن من أسره التدخين، عكر عليه صفوه لأسباب منها: شعوره بالذنب، وهذا من معوقات الراحة النفسية، والسعادة، فوق ضررها البدني، والمالي علىٰ النفس، والزوجة، والأولاد.

ومن تأسره شهوة الزعامة، وتَقَلُّد المناصب، أو حتىٰ شهوة الإمامة في المسجد فإن ذلك يُكبده مخالفات شرعية، كتقدمه علىٰ من هو أولىٰ منه بالإمامة، ومن هو أحفظ منه لكتاب الله، ويعكر صفو الناس حوله؛ لأنهم غالبًا يعلمون أن هناك من هو أحق منه، في غَيْبَة الإمام، وقس علىٰ ذلك كثير من المخالفات الشرعية التي تلحق بمن تسيطر عليه شهوة الرئاسة أو الزعامة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٨/ ٥، ٦٠٨١). وذكر ذلك ابن تيمية في الفتاوىٰ (٨٥/ ١٠ – ١٨٧) مع الاختصار.

حرية الانتصار على الهوى

يقول صاحب الظلال -الشهيد[(١)] سيد قطب، طيب الله ثراه، ورفع درجته- في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]: «وهنالك حرية إنسانية تليق بتكريم الإنسان، تلك حرية الانتصار علىٰ هوىٰ النفس، والانطلاق من أسر الشهوة، والتصرف بها في توازن تثبت معه حرية الاختيار، والتقدير الإنساني، وهنالك حرية حيوانية، هي هزيمة الإنسان أمام هواه وعبوديته لشهوته، وانفلات الزمام من إرادته، وهي حرية لا يهتف بها إلا مخلوق مهزوم الإنسانية يُلبس عبوديته رداءً زائفًا من الحرية!»[(٢)].

ويلمح القارئ الكريم من حياة النبي ﷺ أنه كان حرًّا طليقًا نحو الطاعات لا يأسره شيء، وكان يوقظ أهله، ويعتزل النساء، ويشد المِئزر في أواخر شهر رمضان، وإذا حضرت الصلاة انطلق إلىٰ المسجد كأنه لا يعرفهم، وكان يُنفق من ماله، ثم يُنفقه كله حتىٰ ينتهي، والصحابة رضي الله عنهم يسمعون الحداء مع عمر بن الخطاب وأنواع الشعر؛ فإذا أتىٰ وقت الصلاة انتفضوا إليها، فلم يأسرهم شيء. وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن.

ومن أسباب تحويل القبلة من الكعبة إلىٰ بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا هو التحرر من أسر المجد الاجتماعي الذي سيطر علىٰ الكثيرين من أهل مكة وقتها، فكانوا يعتبرون الكعبة عنوان مجد الآباء والأجداد، فأراد الله

---

(١) لفظ الشهيد مختلف فيه، واخترت ترجيح شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن باز الذي قال: الشهيد أحمد ياسين، وقال ابن جبرين في فتواه: إن سيد قطب، وحسن البنا من علماء المسلمين، ومن أهل الدعوة وقد نصر الله بهما، وهدىٰ بدعوتهما خلقًا كثيرًا... ولما قُتل كل منهما أطلق علىٰ كل واحد أنه شهيد لأنه قُتل ظلمًا وشهد بذلك الخاص والعام، وقد رد الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله علىٰ ما قاله الشيخ ربيع المدخلي في حق الشهيد سيد قطب.

(٢) في ظلال القرآن (٦/ ٣٨١٩).

ﷺ أن يحرر نفوسهم؛ كي تتعلق بالله وحده؛ فتتلقىٰ عنه ﷺ، وتنطلق في الطاعات دون أسر، أو قيد، أو معوق.

فلا يليق بمسلم يريد المعالي، والسمو إلىٰ الجنان أن يأسره شيء في الدنيا، لا شهوة امرأة، ولا شهوة بطن، ولا شهوة مال، ولا شهوة منصب؛ لأنه إذا دخل الأسر في نفسه لأي شهوة قيده ذلك عن الترقي في الطاعة، والاستمتاع بحلاوتها.

ولهذا يُقال: «العبد حر ما قَنِع، والحر عبد ما طمع».

ويقول القائل:

أطعـــت مطـــامعي فاســـتعبدتني ولـــو أني قنعـــت لكنـــت حـــرًّا[1]

التحرر من الأسر هو من ثمار الإيمان

يقول السيد سابق رَحِمَهُ اللَّهُ: «تحرر النفس من سيطرة الغير، وذلك أن الإيمان يقتضي الإقرار بأن الله هو المحيي المميت، الخافض، الرافع، الضار، النافع ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. إن الذي عوق البشرية عن النهوض، وحَالَ بينها وبين الرقي هو الخضوع للاستبداد، سواء أكان هذا الاستبداد استبدادًا سياسيًّا للحكام والرؤساء، أم استبدادًا كهنوتيًّا لرجال الدين والكهنوت. وبتقدير الإسلام لهذه الحقيقة قضىٰ علىٰ هذا الأسر، وأطلق حرية الإنسان من سيطرة هؤلاء المستبدين التي لازمته قرونًا طوالًا»[2].

---

(١) العبودية، لابن تيمية (١/ ٨١).

(٢) العقائد الإسلامية، السيد سابق، (ص٨٥).

عوامل تساعد على تُحرِر النفس من أسر الشهوات

١ - العبودية الحقيقية لله تحرر من أسر الشهوات.

٢ - المداومة علىٰ قراءة سيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام.

٣- عدم المقارنة بين الإنسان ومن هو أعلىٰ منه في العطاء الدنيوي.

٤ - التمارين الرياضية المنتظمة: كالسباحة، والمشي، وكرة القدم، وغيرها من الممارسات الرياضية المنضبطة.

٥ - غض البصر عن المحرمات، فهذا باب كبير لضعف النفس.

٦ - الزهد فيما في أيدي الناس، والرضا بعطاء الله.

٧- قراءة الترهيب والتحريم لتلك الشهوة التي يشعر بتسلطها عليه.

٨- قراءة القرآن، وقيام الليل.

٩- هجر القنوات المحرمة، والمواقع السيئة نهائيًّا.

١٠ - إصلاح خواطر النفس، فالفعل مبدأه الخاطر.

١١ - الصبر ومجاهدة النفس، والاستعانة بالصلاة.

١٢ - تذكر عاقبة الشهوات، وكم من شهوة أحدثت خرابًا، وأورثت ذُلًّا في النفوس.

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو لم يكن لنا ذنوب إلا حُبِنا للدنيا لخشينا أن يعذبنا الله».

وعن جعفر بن سليمان قال: «هم الدنيا ظلمة في القلب، وهم الآخرة نور في القلب»، اللهم اجعل قلوبنا معلقة بك لا تبتغي إلا رضاك، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١٩) كلمات التائبين

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، ويحب التائبين والتائبات، ويُقربهم، ويرفع درجاتهم، ويبدل سيئاتهم حسنات، والصلاة والسلام علىٰ الحبيب الشفيع ﷺ.

وبعد:

حديثُنا بعون الله ومدده حول كلمات التائبين، قال الله -تعالىٰ-: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

قال ابن عباس في هذه الآية: «أخبر الله عباده بحلمه وعفوه وكرمه وسعة رحمته ومغفرته، فمن أذنب ذنبًا صغيرًا كان أو كبيرًا ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ولو كانت ذنوبه أعظم من السموات والأرض والجبال»[(١)].

والتوبة نوعان كما يُخبر ابن تيمية -في رسالة التوبة- **الأولىٰ**: واجبة وهي من ترك مأمور أو فعل محظور وهذه واجبة علىٰ جميع المكلفين كما أمرهم الله بذلك في كتابه، وعلىٰ ألسنة رسله.

والثانية: مستحبة وهي التوبة من ترك المستحبات، وفعل المكروهات، فمن اقتصر علىٰ التوبة الأولىٰ كان من الأبرار المقتصدين، ومن تاب التوبتين كان من السابقين المقربين[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٠٨).

(٢) رسائل في التوبة من كتاب جامع الرسائل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد رشاد رفيق سالم، (ص٢٢٧).

من قصص التائبين

١- عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دخل أعرابي مسجد رسول الله ﷺ وقال: اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك سريعًا وكبر، فلما فرغ من صلاته قال له علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين، وتوبتك تحتاج إلىٰ توبة، قال: يا أمير المؤمنين وما التوبة؟ قال اسم يقع علىٰ ستة معانٍ: علىٰ الماضي من الذنوب الندامة، ولتضييع الفرائض الإعادة، ورد المظالم، وإذابة النفس في الطاعة كما أذبتها في المعصية، وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته»[(١)].

وتأمل إذابة النفس في الطاعة، كأن المطلوب أن تُصبح الطاعة وشيجة من وشائج الإنسان، وجزءًا أصيلًا من تكوينه، كأنما تصل إلىٰ كونها غاز الحياة (الأكسجين) الذي لا يستطيع أن يحيا بدونه.

٢- قصة عبد الله بن مسلمة القعنبي، وهو من رجال الحديث، ومن تلاميذ الإمام مالك، وهو ثقة معروف، ولكن كيف كانت حياته في الماضي؟ كان شابًّا مراهقًا طائشًا، لا هم له إلا مجالسة أمثاله من السفهاء، ومعاقرة[(٢)] الخمر، وإيذاء الناس في الشوارع، وغير ذلك من الأعمال التي يقوم بها السفهاء، وكان يلبس ثيابًا تليق بأمثاله من الشباب المراهقين في ذلك العصر.

---

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور ط: ١٠ أجزاء ص(٣١٥) (بيروت: دار إحياء التراث ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

(٢) عاقر يعاقر، مُعاقرة، فهو مُعاقر، وعاقر الخمر: لازمها وأدمن شربها. (معجم اللغة العربية المعاصرة).

وفي أحد الأيام كان واقفًا عند باب بيته، ومعه سكين كالعادة فمر به رجل علىٰ حمار، وحوله مجموعة من الشباب الذين يظهر من سيماهم الصلاح، والاستقامة، فقال القعنبي لمن حوله: من هذا الرجل الذي أقبل؟ قالوا هذا شعبة بن الحجاج، قال ومن شعبة بن الحجاج؟ قالوا إمام الحديث في البصرة، فتقدم إلىٰ شعبة، وقال حدثني، اقرأ علي حديث أرويه عنك، فقال: لست من أهل الحديث، فغضب القعنبي، ورفع السكين، وقال له حدثني وإلا ضربتك بهذا السكين، فلما رأىٰ شعبة هذا الموقف حدثه بما يناسب المقام، فقال: «حدثني منصور عن ربعي عن أبي مسعود أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**» فرجع الشاب إلىٰ بيته، وقد أثر فيه هذا الحديث الذي سمعه أعظم التأثير، وقلب شخصيته تمامًا، فرجع إلىٰ البيت شخصية أخرىٰ، عاد تائبًا إلىٰ الله ﷻ خَجِلًا من الله -تعالىٰ- فأراق الخمور وكسر أوانيها، وكسر آلات اللهو والطرب التي كانت عنده، وكان علىٰ موعد مع بعض جُلسائه من الفساق، فقال لأمه: إذا جاء رفاقي فأدخليهم وأكرميهم، وأخبريهم بما حصل مني حتىٰ لا يعودوا مرة أخرىٰ، ثم خرج من البصرة إلىٰ المدينة، ولازم الإمام مالك بن أنس حتىٰ كان من أخص تلاميذه، وروىٰ عنه كثيرًا من الحديث، ثم رجع إلىٰ البصرة، ليروي الحديث عن شعبة، وغيره، فوجد شعبة قد مات، فلم يرو القعنبي عن شعبة إلا ذلك الحديث الذي تحمله عنه زمن فسقه: «**إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»[1].

٣- توبة أبي محجن الثقفي رضي الله عنه وكان أبو محجن رجلًا لا يتورع عن شرب الخمر مع أنه مسلم، حتىٰ أنه كان يتغنىٰ بالخمر في الجاهلية ويقول:

إذا مت فادفني إلىٰ جنب كرمة ... تروي عظامي بعد موتي عروقها

ولا تدفنني في الفلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

---

(١) البخاري (٣٤٨٣، ٣٤٨٤)، وهذا من دروس الشيخ سلمان العودة، درس (١٤١).

حنينًا إلىٰ الخمر، حتىٰ وهو ميت، وظل الرجل مصرًّا علىٰ شرب الخمر بعد الإسلام، فكانوا يجلدونه في الخمر، ثم سجنوه لما لم يفد منه.

وفي معركة القادسية شرب الخمر، فحبسوه في بيت سعد بن أبي وقاص - خال النبي ﷺ - وفي العراق قرب القادسية، فثارت المعركة بين جند المسلمين، وجند الفرس، واحتدم وطيس المعركة، وكان سعد رضي الله عنه مريضًا يراقب المعركة من عرينه، وكان أبو محجن فارسًا قويًّا غيورًا علىٰ الإسلام، وإن كانت فيه هذه المعصية، وكانت تطير الأخبار بغلبة الفرس فحزن حزنًا شديدًا، وكان شاعرًا فقال:

كفىٰ حزنًا أن تُطعن الخيل بالقنا ... وأُترك هنا مشدودًا عليَّ وثاقيا

وكنت ذا مال كثير وإخوة ... فقد تركوني واحدًا لا أخ ليا

ولله عهد لا أخيس[1] بعهده ... لئن فُرِجت ألا أزور الحواني

فهلمَّ سلاحي لا أبا لك إنني ... أرىٰ الحرب لا تزداد إلا تماديا

إنه يعاهد الله عز وجل إذا فُرجت هذه الضائقة ألا يزور الحانات ولا يشرب الخمر مرة أخرىٰ، وكانت زوجة سعد بن أبي وقاص -واسمها سلمىٰ- قريبة منه تسمعه، فناداها وقال لها: «اسمعي مني، فقد اشتدت المعركة بين الفرس والمسلمين، ففكي وثاقي وسلميني هذه الفرس التي تسمىٰ البلقاء، وهي فرس سعد بن أبي وقاص، وكانت مربوطة، ودعيني أقاتل مع المسلمين، فإن أنا قتلت فما أنا بأول من قتل، وإن نجوت فإني أعاهدك بالله عز وجل أن أعود حتىٰ أجعلك تضعين القيد في رجليَّ ويداي مرة أخرىٰ، فقالت: أخاف ألا تعود. فقال: أعاهدك أن أعود إن نجوت، ففكت وثاقه، وأعطته

---

(١) خاس فلان بالعهد: إذا نكث، وخاس يخيس أي غدر كما في الصحاح، وتاج العروس، والمعنىٰ: لا أغدر به ولا أنكثه.

البلقاء فرس سعد، فركبها، وذهب إلىٰ المعركة، وبدأ يصول ويجول فيهم يمنة ويسرة يقتل منهم قتلًا ذريعًا، وينتقل من الميمنة إلىٰ الميسرة إلىٰ القلب، وهو لا يعرض له أحد من الفُرس إلا قتله حتىٰ بدأوا يهابونه، ويحتمون منه، والمسلمون ينظرون إليه ويقولون من هذا؟ من هذا الفارس الذي لا نعرفه؟ وكان سعد قائد المعركة يقول: «والله لولا أن أبا محجن في الأسر لقلت: هو أبو محجن، ولولا أن فرسي البلقاء مربوطة لقلت هي فرسي».

وانتهت المعركة بنصر المسلمين، وهزيمة الفرس، ورجع أبو محجن إلىٰ سلمىٰ، وجعلها تضع القيد في رجليه مرة أخرىٰ. فلما جاء سعد إلىٰ البيت، وذهب إلىٰ فرسه فوجدها مكانها لكن عليها عرق فعلم أنها خرجت، وجاء إلىٰ زوجته، وقال لها: لقد ظهر فارس عجيب علىٰ فرس عجيبة، لولا أن أبا محجن في الأسر لقلت: هو أبو محجن، ولولا أن فرسي مربوطة لقلت هي فرسي، فقالت له: هو والله أبو محجن، وهي والله فرسك، وأَخبَرتْهُ بالقصة، فذهب سعد إلىٰ أبي محجن، وفك وثاقه بيديه، وقال له: لا جُرم عليك، والله لا جلدناك في الخمر أبدًا، ولا حبسناك فيها أبدًا، فقال أبو محجن: وأنا والله أيضًا لا شربت الخمر أبدًا، ثم تاب إلىٰ الله توبةً نصوحًا[1].

٤- توبة بشر الحافي (أبو نصر بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي الحافي). يروي المؤرخون أن بشرًا المسمىٰ بالحافي الذي كان فاسقًا لا يعرف معنىٰ العبودية من الحرية، ومكث علىٰ هذا مدة طويلة من الزمن حتىٰ هداه الله بعد أن كان شابًّا طائشًا ذا فساد عريض في الأرض، وكان ذا مال وفير، ونسب عريق

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، (٣/ ١٤) (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، دور الأدب في مكافحة الخمر.

فقضىٰ مدة طويلة من شبابه في فسق ولهو، ولم يترك -كما يروي عن نفسه - جانبًا من جوانب الفسق إلا وقد أخذ منه بنصيب، فأراد الله ﷻ له الهداية، فمر ذات ليلة بداره الرجل الصالح إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ فتمزق قلب هذا الرجل الصالح حينما رأىٰ الرقص والغناء، واللهو، والموسيقىٰ، وكؤوس الخمور تُدار في بيت بشر فوقف عند الباب وطرقه، ففتحت له إحدىٰ الراقصات القينات فقال: بالله أخبريني هذا بيت من؟ قالت بيت بشر. قال: أخبريني بالله أحر هو أم عبد؟ قالت: هو حر. قال: قولي له إن كان حرًّا فليفعل ما يشاء، وفي رواية صدقت لو كان عبدًا لأطاع مولاه، ثم انصرف. فانتبه بشر فسأل المرأة: من عند الباب؟ قالت رجل، وذكرت صفته. قال: ماذا قال؟ قالت سألني أحر أنت أم عبد؟ فقلت بل حر فقال: إن كان حرًّا فليفعل ما يشاء.

ومشىٰ الرجل، فخرج بشر وراءه حافيًا، ولحق بإبراهيم بن أدهم، فقال: قف يا رجل؛ ماذا قلت؟ قال: يا بشر سألت أحر أنت أم عبد؟ فأخبروني أنك حر، فإن كنت يا بشر حرًّا فافعل ما تشاء فقال: ويحك ماذا تقول فأعاد عليه، وزاد وإن كنت عبدًا فهذه ليست صفات العبيد، فقال والله إني لعبد ثلاثًا، وتبدلت حياته، وتاب إلىٰ الله حتىٰ أصبح مَضْرِبَ المثل في الزهد والورع والتقوىٰ[1].

٥- توبة ذي الكفل (وهو غير النبي المذكور في القرآن الكريم) وقد قص النبي ﷺ علينا من أخبار بني إسرائيل في الأحاديث الصحاح من أخبار التوبة الشيء الكثير الطيب، فمن ذلك ما ذكره النبي ﷺ من توبة ذي الكفل، وهي قصة صحيحة رواها الترمذي، وحسنها، والحاكم وابن حبان وغيرهم قال: «**إِنَّ الْكِفْلَ كَانَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَتَسَنَّىٰ لَهُ مَعْصِيَةٌ إِلَّا وَقَعَ فِيهَا، وَكَانَ يَقَعُ فِي الزِّنَا وَالْفُجُورِ وَأَكْلِ الْحَرَامِ،**

---

(١) دروس الشيخ عبد الله الجلالي، درس شروط الاستخلاف في الأرض (آمنوا – عملوا الصالحات – يعبدونني – لا يشركون).

وَأَكْلِ الرِّبَا، وَقَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَعُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَلْوَانِ الْمَعَاصِي وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ طَلَبَتْ مِنْهُ امْرَأَةٌ أَنْ يُعْطِيَهَا سِتِّينَ دِينَارًا فَوَافَقَ أَنْ يُعْطِيَهَا هَذَا الْمَبْلَغَ مُقَابِلَ أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهَا لِيَقَعَ فِي الزِّنَا مَعَهَا - وَالْعِيَاذُ بِاللهِ - فَوَافَقَتْ عَلَىٰ ذَلِكَ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا فَلَمَّا قَعَدَ أَمَامَهَا ارْتَعَدَتْ وَبَكَتْ فَقَالَ لَهَا مَا يُبْكِيكِ؟ قَالَتِ الْخَوْفُ مِنَ اللهِ ﷻ فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ أَفْعَلْهُ طِيلَةَ عُمْرِي، قَالَ وَلِمَ فَعَلْتِيهِ إِذًا وَوَافَقْتِ عَلَىٰ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: لَأَنَّنِي مُحْتَاجَةٌ حَاجَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ أَنَا أَحَقُّ أَنْ أَخَافَ اللهَ ﷻ وَأَخْشَىٰ مِنْهُ، وَقَدْ وَقَعْتُ فِي أَلْوَانِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، فَقَامَ وَلَمْ يَقَعْ فِي هَذِهِ الْجَرِيمَةِ، ثُمَّ خَرَجَ تَائِبًا إِلَىٰ اللهِ ﷻ فَمَاتَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَىٰ بَابِهِ: «إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكِفْلِ»»[(١)].

وهذه القصة تشبه قصة أحد الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار عندما قالت له اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فتركها، ورجع وأناب.

(١) شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق محمد السعيد – بسيوني زغلول، (٥/ ٤١٣) (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ومعجم أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي، تحقيق د. زياد محمد منصور المدينة المنورة: دار النشر مكتبة العلوم والحكم ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

توبة رجل كبير السن في عهد النبي ﷺ

جاء رجل كبير السن إلىٰ النبي ﷺ وقد سقط حاجباه علىٰ عينيه من كبر سنه، وهو متكئ علىٰ عصا، فقال: يا محمد، إن لي ذنوبًا لو وُزِعت علىٰ أهل الأرض لأهلكتهم فهل لي من توبة؟ فقال ﷺ: «**تَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟**» وفي رواية: «**هَلْ أَسْلَمْتَ؟**» قال: أما أنا فأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**نَعَمْ تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ فَيَجْعَلُهُنَّ اللهُ ﷻ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ**».

قال: وغدراتي وفجراتي؟ قال: «**يُبْدِلُكَ اللهُ بِهَا حَسَنَاتٍ**، وفي رواية قال: **نَعَمْ**» فولىٰ الرجل وهو يقول: الله أكبر الله أكبر، فما زال يكبر حتىٰ توارىٰ[1].

ترك بابًا مفتوحًا فتاب الله عليه

يقول الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: كنت أسير في طريقي فإذا بقاطع طريق يسرق الناس، ورأيت نفس الشخص (اللص) يصلي في المسجد، فذهبت إليه، وقلت له: هذه المعاملة لا تليق بالمولىٰ -تبارك وتعالىٰ- ولن يقبل الله منك هذه الصلاة، وتلك أعمالك.

فقال السارق: يا إمام بيني وبين الله أبواب كثيرة مغلقة. فأحببت أن أترك بابًا واحدًا مفتوحًا، وبعدها بأشهر قليلة -يقول الإمام أحمد-: ذهبت لأداء فريضة

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧/ ٥٣)، والهيثمي في الجمع (١/ ٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب، ورواه البزار، ورجال البزار رجال الصحيح إلا محمد بن هارون أبي نشيط وهو ثقة، الإسلام أصوله ومبادؤه محمد بن عبد الله بن صالح السحيم (١/ ٢١٦) (وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف بالسعودية: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م).

الحج، وفي أثناء طوافي رأيت رجلًا متعلقًا بأستار الكعبة يقول: تبت إليك يا رب ارحمني، لن أعود إلىٰ معصيتك. فتأملت هذا الأواه المنيب الذي يناجي ربه، فوجدته لص الأمس، فقلت في نفسي: ترك بابًا مفتوحًا ففتح الله له كل الأبواب.

وهذه القصة معناها صحيح، وقبول التوبة يلحق أصحاب كل الكبائر، وإن قال قوم إن السرقة تحجب التوبة.

أماته ليحيني

يحكي شاب قصته ويقول: كنت ضائعًا مسرفًا علىٰ نفسي، وكنت مسافرًا من القاهرة إلىٰ الإسكندرية، وكعادتي كنت أدخن السجائر، وأتناول الخمر، وفجأة حدثت حادثة أمامي، سيارة اصطدمت بشجرة، فنزلت من السيارة مسرعًا، وذهبت إلىٰ السيارة الأخرىٰ، فوجدت رجلًا كبير السن علىٰ مشارف الموت، وكان صوت القرآن يخرج من السيارة، فعرفت أنه رجل صالح، فبدأت أجذبه من السيارة فقال: أطفئ السيجارة. انظر إلىٰ هذا الرجل حريص علىٰ أن ينصح حتىٰ وهو يموت.

فيقول ثم جذبته للخارج فشم رائحة الخمر فقال: يا بني إني سأموت، ولكن النبي ﷺ قال: «**مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُم مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ**»[(١)]، وإني أريد أن أكافئك قبل أن أموت، وإني لا أملك إلا النصيحة، فيا بني اتق الله... وتب إليه. ويقول الشاب: فسبحان الذي أماته ليحيني، وهكذا الكلمة الصادقة تحيي قلبًا كاد أن يموت[(٢)].

وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم

---

(١) رواه النسائي (٢٥٦٧)، وأبو داود (١٦٧٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٢) أهلًا رمضان. الطريق إلىٰ توبة نصوح (ص١٣).

(٢٠) أفضل ليالي العمر

الحمد لله الذي فتح لنا أبوابًا للثواب لا توصد بعد وفاتنا، وضاعف لنا الأجور قبل مماتنا، ورزقنا بليلة خير من ألف شهر، والصلاة والسلام علىٰ خير من صلىٰ وقام وعبد ربه صلوات ربي وسلامه عليه.

وبعد:

حديثنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول أفضل ليالي العمر «ليلة القدر».

قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ١-٣].

قال صاحب الظلال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليلة القدر ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلىٰ. ليلة بدء نزول هذا القرآن علىٰ قلب محمد ﷺ ليلة ذلك الحدث العظيم الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته، وفي دلالته، وفي آثاره في حياة البشرية جميعًا، وهي خير من ألف شهر، والعدد لا يفيد التحديد في مثل هذه المواضع من القرآن، إنما يفيد التكثير، والليلة خير من آلاف الشهور في حياة البشر، فكم من آلاف الشهور وآلاف السنين قد انقضت دون أن تترك في الحياة بعض ما تركته هذه الليلة المباركة السعيدة من آثار وتحولات. والليلة من العظمة بحيث تفوق حقيقتها حدود الإدراك البشري. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾، والإسلام ليس شكليات ظاهرية، ومن ثَم قال رسول الله ﷺ في القيام في هذه الليلة أن يكون «**إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا**»، وذلك ليكون هذا القيام استحياءً للمعاني الكبيرة التي اشتملت عليها هذه الليلة (إيمانًا، وليكون تجردًا لله، وخلوصًا، واحتسابًا ومن ثَم ينبض في القلب حقيقة معينة بهذا القيام ترتبط بذلك المعنىٰ الذي نزل به القرآن»[(١)].

---

(١) في ظلال القرآن، (٦/ ٣٩٤٦).

ويقول النبي ﷺ: «**تَحَرَّوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**»[١].

والأرجىٰ أن تكون في الأوتار، وفي الصحيحين: «**الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنَ الْوِتْرِ**»[٢].

وقد أخفىٰ الله ﷻ التحديد الكامل لها في يوم معين لا تتغير فيه ليجتهدوا في جميع الليالي العشر الأخيرة، وتكثر أعمالهم الصالحة فتزداد حسناتهم، وترتفع درجاتهم ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

وقد أخفاها ربنا ﷻ؛ حتىٰ يتبين الجاد في طلب الخير الحريص علىٰ إدراك هذا الفضل من المتهاون المتكاسل.

وإن كان الأرجح أنها ليلة السابع وعشرين من رمضان؛ لورود أحاديث صحيحة في ذلك كقول الصحابي عبد الله بن مسعود: «هي الليلة التي أمرنا رسول الله ﷺ بقيامها، هي ليلة صبيحة سبع وعشرين وأماراتها أن تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها»[٣].

ولا مانع -توفيقًا بين الأحاديث الصحيحة- من انتقالها في الأوتار من العشر الأخيرة فمرة تكون الواحد والعشرين، ثم الثالث والعشرين، ثم الخامس والعشرين، ثم السابع والعشرين، ثم التاسع والعشرين، من غير ترتيب، وهي فضل من الله ليجتهد من يرجوا الرحمة، والمغفرة، والدرجات العليا من الجنة.

---

(١) متفق عليه، البخاري (٦١/ ٣/ ٢٠٢٠)، مسلم (١٧٣/ ٣) (١١٦٩).

(٢) البخاري (٢٦٠/ ٤)، أبو داود (١٠٨٨/ ١٠٩).

(٣) قيام رمضان، محمد ناصر الدين الألباني (١/ ١٣). والحديث أخرجه الشيخان وهو صحيح.

من فضائل ليلة القدر

١ - أن الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم.

٢ - ما يدل عليه الاستفهام من التعظيم والتفخيم.

٣- أنها خير من ألف شهر.

٤ - أن الملائكة تتنزل فيها، وهم لا ينزلون إلا بالخير والبركة والرحمة.

٥ - أنها سلام لكثرة السلام فيها من العقاب والعذاب.

٦ - أن الله أنزل في فضلها سورة كاملة تتلىٰ إلىٰ يوم القيامة.

٧- أنها يُفرق فيها كل أمر حكيم.

٨- تعدل في عبادتها أكثر من ثلاثة وثمانين عامًا ليس فيها ليلة القدر.

وتسأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ما تقول في ليلة القدر؟ فيقول ﷺ: «**قُولِي اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[1].

وكان السلف الصالح يجتهدون في ليلة القدر ونهارها. قال الشعبي في ليلة القدر: ليلها كنهارها، وقال الشافعي: «استحب أن يكون اجتهاده في نهارها كاجتهاده في ليلها».

وليلة القدر يُفتح فيها الباب، ويُقرب فيها الأحباب، ويُسمع فيها الخطاب، ويُرد الجواب، ويُعتق أهل الفوز والنجاة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، وقال حسن صحيح، والحاكم (١/ ٧١٢) وقال صحيح علىٰ شرط الشيخين.

المحروم من حُرِم خيرها

عن أنس ﷺ قال: «دخل رمضان، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ**»[(١)].

مطلوب حتى لا نُحرم خيرها

- تجنب الاجتماعات، والكلام الكثير، وإن كنت لا بد فاعلًا فسلام ثم كلمات قليلة تُبقي جو الأخوة والألفة، لأنك ربما ترىٰ مسافرًا أو غائبًا من زمن لم تراه، فيكون الكلام علىٰ قدر الضرورة والحاجة.

- تجنب حضور الحفلات الدينية، وغير الدينية، حتىٰ لا تخرج من جو العبادة الذي تحتاجه هذه الليلة، فهي أفضل ليالي العمر.

فضل الله بعض الأزمنة على بعض

يقول الزهري: «تسبيحة في شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره، فما بالنا بالتسبيح في ليلة القدر؟! إنها أجور مضاعفة».

قال النخعي: «صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم، وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة، وركعة فيه أفضل من ألف ركعة، فلما كان الصيام في نفسه مضاعفًا أجره بالنسبة إلىٰ سائر الأعمال كان صيام شهر رمضان مُضاعفًا علىٰ سائر الصيام لشرف الزمان، وكونه هو الصوم الذي فرضه الله علىٰ عباده، وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بني عليها»[(٢)].

---

(١) حسن: رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤١٨/ ١/ ٩٩٠).

(٢) نداء الريان في فقه الصيام، وفضل رمضان، أبو تراب سيد حسين العفاني (١/ ٣٠).

واختلف العلماء أيهما أفضل: ليالي العشر الأخيرة من رمضان أو أيام عشر ذي الحجة؟

قال ابن القيم في زاد المعاد: «أما السؤال الأول فالصواب فيه أن يُقال ليالي العشر الأخيرة من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة، وأيام عشرة ذي الحجة أفضل من أيام عشر رمضان، وبهذا التفصيل يزول الاشتباه، ويدل عليه أن ليالي العشر من رمضان إنما فُضلت باعتبار ليلة القدر، وهي من الليالي، وعشر ذي الحجة إنما أفضل باعتبار أيامه إذ فيه يوم النحر ويوم عرفة، ويوم التروية»[(١)].

وليلة القدر ليلة التوبة والرجوع عن كل الآثام

- إنها ليلة الإنابة، والتذلل إلىٰ الله أن يعفو عن كل السيئات.

- إنها ليلة القرب والوصول إلىٰ رضا الرحمن، فهنيئًا لمن أرضىٰ مولاه.

- إنها ليلة العهود، عهود مع النفس علىٰ الطاعة ورد الحقوق، وعهود علىٰ النفس تتعلق بمعاملات الآخرين، إنها ليلة رد الحقوق لأصحابها بالنية، وإن أمكن بَلَّغَ من يُرجع الحقوق وهو في المسجد، وإن كان هناك حرج يردها ساعة خروجه من المسجد.

- إنها ليلة تنزيل المنهج الرباني، قرآن الأمة، ولذا فهي ليلة رفع المنهج الرباني لنتحاكم إليه في نفوسنا وبيوتنا ثم في مجتمعاتنا.

- إنها ليلة ذات شرف وقدر عظيم ينبغي أن تسمو فيها النفوس والقلوب، وتستشعر نزول القرآن، فيقرا المسلم الآيات، وكأنها تتنزل علىٰ قلبه، وتكلفه هو نفسه بمرادها.

---

(١) زاد المعاد (١/ ٥٧).

- إنها ليلة الإكثار من قراءة القرآن الكريم. قال ابن رجب: «إنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث علىٰ المداومة علىٰ ذلك، فأما الأوقات المفضلة كشهر رمضان، خصوصًا في الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر، أو الأماكن المفضلة كمكة المكرمة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب له الإكثار من تلاوة القرآن الكريم اغتنامًا للزمان وللمكان وهو قول أحمد، وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره»[(١)].

وكان للشافعي في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة، وكان قتادة يختم في كل سبع دائمًا، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأخيرة في كل ليلة[(٢)].

يقول قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الله اصطفىٰ أصفياء من خلقه، واصطفىٰ من الناس رسلًا، واصطفىٰ من الملائكة رسلًا، واصطفىٰ من الكلام ذكره، ومن الأرض المساجد، واصطفىٰ من الشهور رمضان، والأشهر الحرم، واصطفىٰ من الأيام الجمعة، واصطفىٰ من الليالي ليلة القدر، فعظموا جماعة المسلمين ما عظم الله».

اللهم اجعلنا ممن رضيت عليهم في ليلة القدر، وأعتقت رقابهم آمين يا رب العالمين.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد النبي الأمي وعلىٰ آله وصحبه وسلم

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي، (دار ابن حزم للطباعة والنشر ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م) (٣١٩).

(٢) المرجع السابق ص(٣١٨).

(٢١) الشكر من لوازم الإيمان

الحمد لله الحنان المنان، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشكره علىٰ نعمه التي لا تُحصىٰ ولا تعد والصلاة والسلام علىٰ النبي ﷺ.

وبعد:

حديثنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول الشكر من لوازم الإيمان، قال الله -تعالىٰ-: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يُعرف الشكر: «قيل حده: الاعتراف بنعمة المنعم علىٰ وجه الخضوع، وقيل: الثناء علىٰ المحسن بذكر إحسانه، وقيل: هو عكوف القلب علىٰ محبة المنعم، والجوارح علىٰ طاعته، وجريان اللسان بذكره، والثناء عليه»[(١)].

وقال أبو عثمان: «الشكر معرفة العجز عن الشكر».

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

قال ابن كثير: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾: أي أمرناه أن يشكر الله ﷻ علىٰ ما آتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذي خصصهُ به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه ثم قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي إنما يعود نفع ذلك وثوابه علىٰ الشاكرين لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[(٢)] [الروم: ٤].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٣٤).

(٢) تفسير ابن كثير، سامي محمد سلامة (٦/ ٣٣٥).

قواعد الشكر

قال ابن القيم: «والشكر مبني علىٰ خمس قواعد:

خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره. فهذه الخمس هي أساس الشكر وبناؤه عليها»[(١)].

ومقام الشكر جامع لجميع مقامات الإيمان؛ ولذلك كان أرفعها وأعلاها، وهو فوق الرضا، وهو يتضمن الصبر من غير عكس ويتضمن التوكل والإنابة والحب والإخبات والخشوع والرجاء، فجميع المقامات مندرجة فيه لا يستحق صاحبه اسمه علىٰ الإطلاق إلا باستجماع المقامات له؛ ولهذا كان الإيمان نصفين: نصف صبر ونصف شكر، والصبر داخل في الشكر، فرجع الإيمان كله شكرًا، والشاكرون هم أقل العباد كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣][(٢)].

شكر النعم يستوجب الزيادة:

قال الله -تعالىٰ-: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

ومعنىٰ تأذن أي: أعلم عباده بذلك، وأخبرهم أنهم إن شكروا زادهم، وإن كفروا فعذابه شديد، ومن عذابه أن يسلبهم النعمة، ويعاجلهم بالعقوبة، فيجعل بعد الصحة المرض، وبعد الخصب الجدب، وبعد الأمن الخوف، وبعد الإسلام الكفر بالله ﷻ، وبعد الطاعة المعصية، فمن شُكر الله ﷻ أن تستقيم علىٰ أمره، وتحافظ علىٰ شكره حتىٰ يزيدك من نعمه، فإذا أبيت إلا كفران نعمه، ومعصية أمره فإنك تتعرض بذلك لعذابه، وغضبه، وعذابه أنواع: بعضه في الدنيا، وبعضه في الآخرة، ومن عذابه في الدنيا: سلب النعم كما قال -تعالىٰ-: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

---

(١) مدراج السالكين، ابن القيم (ص٢٤٦).

(٢) المرجع السابق، (ص١٣٧).

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

إذا كنـــت في نعمـــةٍ فارْعَهَـــا فـــإن المعاصـــي تُزيـــلُ الـــنِّعَمْ

وحـــافظ علـــىٰ شـــكرِ الإلـــه دائمًـــا فـــإن الإلـــه ســـريعُ الـــنِّقَمْ

ويقول د/ محمد راتب النابلسي:

«**الشكر له مستويات ثلاثة**: أول مستوىٰ أن تعرف النعمة؛ لأن معرفة النعمة أحد أنواع الشكر، هناك نعم كثيرة مألوفة، لكن هذه الألفة لهذه النعم ينبغي أن لا تجعلنا ننساها»، وفي كل يوم نتقلب في نعم الله ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

ولا بد من مراقبة نعم الله:

- خلق السماوات سقفًا محفوظًا.
- خلق الأرض فِراشًا مُمَهدة لسُكنىٰ البشر.
- أنزل الماء من السحاب، فأحيا به الأرض بعد موتها، وأنبت الزرع.
- سخر لكم الفلك أي ذلل لكم السفن بتعليم صنعها وتسييرها علىٰ وجه الماء، من بلد إلىٰ آخر.
- وسخر لكم الأنهار أي فجر لكم ينابيع الماء الجاري في الأنهار.
- وسخر لكم الشمس، والقمر دائبين أي ذللهما وجعلهما يسيران في حركة دائمة.
- وسخر لكم الليل والنهار أي جعلهما يتعاقبان ...

وسبحان الله كل هذه النعم تعودنا عليها وألفناها فأصبحنا لا نحمد الله عليها.

ثم يقول النابلسي: والمستوىٰ الأعلىٰ: أن يمتلئ القلب امتنانًا لله ﷻ، دون أن تشعر تلهج بحمد الله، يا رب لك الحمد ثم المستوىٰ الثالث الأعلىٰ: أن تقابل هذه النعم بعمل صالح بخدمة عباده؛ ولذا قال -تعال-: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[1].

وللشكر فوائد عديدة منها

١- أنه اتصاف بصفة من صفات المولىٰ ﷻ التي يحبها ويرضاها، ويُثيب عليها، ويحبها لعباده ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورىٰ: ٢٣].

٢- أنه سبب للنجاة من عذاب الله ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

٣- أنه استجابة لله تعالىٰ، وامتثال لأمره، فهو الذي أمر عباده بالشكر.

٤- أنه سبب لنيل الجزاء العظيم من الله -تعالىٰ-: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

٥- أنه سبب لحفظ النعمة وزيادتها، وعظيم بركتها، وجميل نفعها ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

٦- أنه سمة من سمات أولي الألباب ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

٧- أن الشاكر إنما يشكر لنفسه، وشكر الناس هو شكر لله ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [النمل: ٤٠]، «**مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ**» وورد بلفظ: «**لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**» وصححه الألباني.

---

(١) موسوعة النابلسي، أحاديث رمضان ١٤٢٥هـ، شكر نعم الله.

٨- هذا الشكر يرضاه الله لعباده ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٣٩].

٩- أنه تحدٍّ للشيطان، ودحر لمكره وكيده، فهو حريص علىٰ صرف الناس عن الشكر ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧].

١٠- أنه من الثمار الدنيوية: يحفظ النعم من الزوال، ويجلب النعم المفقودة، ويزيد النعم، ويُسعد الإنسان.

١١- أنه من الثمار الأخروية: غرس شجر الجنة، وغفران الذنب، ويجازي الله بها حيث يلقاه عبده.

تقسيم الشكر

١- شكر العوام (علىٰ النعم فقط).

٢- شكر الخواص (علىٰ النعم والنقم).

٣- شكر خواص الخواص (الاشتغال بالمنعم عن النعمة).

كيف يكون الإنسان عبداً شكوراً؟

١- ينظر إلىٰ من هو أسفل منه في الدنيا، وينظر إلىٰ من هو أعلىٰ منه في الدين وفي الحديث: «**انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعَمَ اللهِ**»[(١)].

٢- أن يحافظ علىٰ صلاة قيام الليل، فكان ﷺ يقوم حتىٰ تتفطر قدماه ويقول: «**أَفَلَا أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**»؟

٣- الدعاء فكان ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ بِي، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَىٰ لِي، وَانْصُرْنِي عَلَىٰ مَنْ بَغَىٰ عَلَيَّ،**

(١) متفق عليه رواه البخاري، (٧/ ١٨٧)، ومسلم (٢٩٦٣).

وَاجْعَلْنِي شَاكِرًا -وفي رواية: **شَكَّارًا- لَكَ ذَكَّارًا»**[(١)].

٤- التحدث بنعم الله. قال -تعالىٰ-: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ: ١١].

ويقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَنْعَمَ عَلَىٰ عَبْدِهِ بِنِعْمَةٍ أَحَبَّ أَنْ يُرَىٰ أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ**»[(٢)] وذلك بأن يرىٰ أثر النعمة علىٰ العبد من غير مخيلة ولا سرف. ويقول ﷺ لرجل دخل عليه وهو قشف الهيئة أو يظهر عليه البؤس فقال له: «**هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟** قال: نعم. قال: **مِنْ أَيِّ الْمَالِ؟** قال: من كل المال قد أتاني الله من الإبل والخيل والرقيق والغنم. قال: **فَإِذَا آتَاكَ اللهُ مَالًا فَلْيُرَ عَلَيْكَ**»[(٣)].

قال السلف: «لا تضركم دنيا شكرتموها» فإذا أظهرت نعم الله عليك وأنت شاكر فلن يضرك بإذن الله، وقد ذم الله الإنسان الكنود ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]. قال المفسرون: «هو الذي لا يشكر نعم الله».

٥- أن تراعي هذا المشهد، فهذه نعمة تستوجب شكرًا آخر. دخل رجل علىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسلم عليه، فقال: «كيف أنت؟ فقال: أحمد إليك الله، قال: هذا أردت منك»، وقال رجل لسهل بن عبد الله: «دخل لص بيتي وأخذ متاعي فقال له: اشكر الله تعالىٰ، لو دخل الشيطان قلبك فأفسد عليك إيمانك ماذا كنت تصنع؟».

قال ابن القيم في مدارج السالكين: «ومن تمام نعمته ﷻ، وعظيم بره وكرمه وجوده محبته له علىٰ هذا الشكر، ورضاه منه به، وثناؤه عليه به، ومنفعته، وفائدته مختصة بالعبد لا تعود منفعته علىٰ الله، وهذا غاية الكرم الذي لا كرم فوقه، يُنعم عليك، ثم يوزعك شكر النعمة، ويرضىٰ عنك، ثم يعيدك إليك منفعة شكرك،

---

(١) رواه أبو داود وصححه الألباني.

(٢) صحيح الجامع (١٧١٢) قال الألباني صحيح.

(٣) رواه النسائي (٥١٢٩)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٤٢٨). ورواه أحمد (١٥٣٢٤).

ويجعله سببًا لتوالي نعمه، واتصالها إليك والزيادة علىٰ ذلك»[١].

٦- رد النعمة للمنعم، فلا يقول حصلت عليها بذكائي وجهدي وعملي.

٧- أن يسجد لله شكرًا علىٰ تجدد النعم، مثلما جاء في خبر مقتل مسيلمة إلىٰ أبي بكر خر ساجدًا شكرًا لله.

٨- يحمد الله علىٰ كل حال، وإن أُصيب بمصيبة يتذكر أن هناك ما هو أعظم منها. قال عبد العزيز بن أبي داود: «رأيت في يد محمد بن واسع قرحة، وكأنه رأىٰ ما شق علي منها، فقال لي: أتدري ماذا علي في هذه القرحة من نعمة؟ لم يجعلها الله في حدقتي (عيني)، ولم يجعلها في طرف لساني، أهون أنها صارت في يدي، فهذه نعمة تستدعي الشكر عليها، وينبغي السجود شكرًا لله».

٩- شكر الناس علىٰ إحسانهم -وسبق ذكر الحديث-: «**لَا يَشْكُرِ اللهَ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ**»[٢].

١٠- النظر إلىٰ النعمة والتفكر في أنها لم تكن موجودة من قبل؛ فالذاكر يتذكر أنه كان لا يذكر، والتائب يتذكر أنه كان في معصية وهكذا[٣].

١١- يتذكر أن «**مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًىٰ فِي بَدَنِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَقَدْ حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**»[٤].

اللهم اجعلنا ممن تلهج ألسنتهم بذكرك وشكرك، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٣)، وذكره الألباني في الصحيحة (٤١٧).

(٣) تمت الاستفادة من مقال المدح والحمد والشكر، هالة يحيىٰ صادق (أم شهاب).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٤٦) وقال الألباني: حسن.

(٢٢) صلة الأرحام

الحمد لله المحمود بكل لسان، والمعبود في كل زمان، والذي لا يشغله شأن عن شأن تعالىٰ وتنزه عن الأشباه والأضداد والصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ.

وبعد:

حديثُنا بعون الله ومدده حول كمال الإيمان، وحسن الإسلام إنها صلة الرحم.

قال -تعالىٰ-: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٦].

والقريب نقيض البعيد، وتشمل الذكر والأنثىٰ، وتشمل رحم الإنسان، وقرابته من جهة الأب أو الأم، بل تمتد لتشمل قرابة المكان(١).

وحق القرابة: ما يتعين له من صلة الرحم، وسد الخلة، والمواساة عند الحاجة والمال، والمعونة بكل وجه(٢).

ويقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْهَا قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ، قَالَ: فَذَاكَ لَكِ**، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣](٣).

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، (١/ ٦٦٥).

(٢) تفسير الشعراوي، (١٤/ ٢٨٤) عند تفسير سورة الإسراء.

(٣) والحديث رواه البخاري (٥٩٨٧)، ومسلم (٢٥٥٤).

والأرحام هم الأقارب من جهة الأم أو من جهة الأب، وأقرب الأرحام الأبوان (الأب والأم) ثم الأقرب فالأقرب من الأبناء والبنات وأبنائهم، والأجداد، والجَدَّات، ومن الأعمام والعمات، وأبنائهم، ومن الأخوال والخالات، وأبنائهم الأقرب فالأقرب.

لكن كيف تكون صلة الأرحام؟

الصلة تكون بحسب الحالة، فقد تكون بالسؤال عن حاله وإبلاغه السلام، أو بزيارته، وإجابة دعوته، أو الهدية، أو النفقة عليه إن كان محتاجًا.

وأقل شيء رفع سماعة الهاتف للسؤال عن أحواله، والسؤال عليه بين فترة وأخرىٰ.

إن كان الأقارب لديهم بعض المخالفات الشرعية.

البعض يتعلل في قطيعته لأقاربه فيقول هم من أصحاب المخالفات الشرعية، ولكن أفتىٰ العلماء أن صلة الرحم واجبة، وإن كانوا من أصحاب المخالفات الشرعية، وفي الآية السابقة جعل الله ﷻ قطع الأرحام من الإفساد في الأرض، والخوف علىٰ من يقطع رحمه من الوعيد الوارد في الآية الكريمة: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ والخوف أن يسلب الانتفاع بسمعه وبصره فهو يسمع دعوة الله، ويُبصر آياته فلا يجيب الدعوة، ولا ينقاد للحق.

ومقصد الإسلام من الأمر ببر الوالدين وصلة الرحم يظهر في مقصدين: **أحدهما نفساني**، وهو تربية نفوس الأمة علىٰ الاعتراف بالجميل لصانعه، وهو الشكر تخلقًا بأخلاق الباري تعالىٰ في اسمه الشكور، وفي الأمر بشكر الفضائل تنويه بها وتنبيه علىٰ المنافسة في إسدائها.

والمقصد الثاني: عمراني، وهو أن تكون أواصر العائلة قوية العرىٰ مشدودة الوثوق فأمر بما يحقق ذلك الوثوق بين أفراد العائلة، وهو حسن المعاشرة ليرىٰ في نفوسهم التحاب والتواد[(١)].

وفي الحديث: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ**»[(٢)].

من فوائد صلة الأرحام

١- علامة كمال الإيمان، وحسن الإسلام «**مَنَ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[(٣)].

٢- تحقيق السَعَة في الأرزاق والبركة في الأعمار.

٣- اكتساب رضا الرب ثم محبة الخلق.

٤- تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة.

٥- استصحاب معية النصر والتأييد من الله القوي العزيز للواصل.

٦- حفظ الحقوق وإن كانوا كفارًا أو فجارًا أو مبتدعة.

٧- تقوىٰ الصلة بقرب العلاقة، وهي للأقرب أقوىٰ منها للأبعد[(٤)].

٨- صلة الرحم سبب لمحبة الأهل للواصل لقوله ﷺ: «**إِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ فِي**

---

(١) رمضان وأمة القرآن، د. محمد عبد المعطي، (ص١٥).

(٢) أخرجه مسلم مع شرح النووي (١٦/ ٣٤٨).

(٣) رواه البخاري (٦١٣٨).

(٤) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٧/ ٢٦٣٢).

الْأَهْلِ مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ مَنْسَأَةٌ فِي الْأَثَرِ»[١].

٩- صلة الرحم تعجل الثواب، وقطيعتها تعجل العقاب، قال ﷺ: «**لَيْسَ شَيْءٌ أُطِيعُ اللهَ فِيهِ أَعْجَلَ ثَوَابًا مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْجَلَ عُقُوبَةً مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**»[٢].

١٠- صلة الرحم سبب لدخول الجنة، وفي الحديث: «**تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**»[٣].

ويكفي أن نذكر حديثًا في عقوبة قاطع الرحم يقول فيه النبي ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ**»[٤]، وإن كان هذا التحريم مؤقت وليس من التحريم الأبدي.

والرحم معلقة بالعرش تستغيث بربها وتنادي كما ورد في الحديث: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ**»[٥].

فهم يحتاج إلى مراجعة

في الحياة قد يصل الإنسان قرابته فإذا قطعوه قال: العقوبة بالمثل، وحلال فيهم القطيعة، والأمر بخلاف ما فهم وعليه قاس، إنما الصحيح كما في صحيح البخاري عن النبي ﷺ: «**لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**»[٦].

---

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٧٠).

(٢) سنن البيهقي (١٠/ ٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٥٠).

(٣) متفق عليه، البخاري (١٣٩٦)، مسلم (١٣).

(٤) متفق عليه، البخاري (١٠/ ٤١٤)، مسلم (٤/ ١٩٨١/ ٢٥٥٦٤).

(٥) مسلم مع شرح النووي (١٦/ ٣٤٨، ج١٧/ ٢٥٥٥).

(٦) صحيح البخاري، (٤٢٣/ ١٠)، وأبو داود (١٣٣/ ٢).

ويُخبر ﷺ أنه إن بقي علىٰ ذلك فكأنما تسفهم المل (التراب الحار)، ولا يزال عليه من الله حافظ: «إِنَّ لِي قَرَابَةٍ أَصِلَهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأَحْسِنُ إِلَيهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُم المَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِير عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ**»[(١)].

ويقول محمد بن محمد المختار الشنقيطي في فقه الأسرة: يقول بعض العلماء: «من قطع رحمه ختم الله علىٰ قلبه فمهما مرت عليه المواعظ، ومرت عليه الآيات لا يتعظ». نسأل الله السلامة والعافية[(٢)].

ولذا كان بعض العلماء إذا اشتكىٰ أحد قسوة القلب سأله، وقال له: كيف أنت والرحم؟.

أمور تعين على الصلة

١- التفكير في الآثار المترتبة علىٰ الصلة: فإن معرفة ثمرات الأشياء واستحضار حسن عواقبها من أكبر الدواعي إلىٰ فعلها، وتمثيلها والسعي إليها.

٢- النظر في عواقب القطيعة، وذلك بتأمل ما تجلبه القطيعة من هم، وغم، وحسرة، وندامة.

٣- الاستعانة بالله: وذلك سؤال التوفيق والإعانة علىٰ صلة الأقارب.

٥- مقابلة إساءة الأقارب بالإحسان: فهذا مما يُبقي علىٰ الود، ويحفظ ما بين الأقارب من العهد، ويُهوِّن علىٰ الإنسان ما يلقاه من شراسة أقاربه وإساءتهم[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٨/ ٢٢).

(٢) محمد بن محمد المختار الشنقيطي، (٢/ ٧).

(٣) قطيعة الرحم: المظاهر – الأسباب – سبل العلاج، محمد إبراهيم الحمد.

واجبات وحقوق

علىٰ الزوج أن يعين زوجته علىٰ صلة رحمها، إلا أن تكون مفسدة في الدين فإنه يقلل الزيارة، ولا يقطعها، وصلة رحم الزوجة، إعانة علىٰ صلته لرحمه، فلا يكون هناك تباطؤ، وعزوف عن صلة أهل الزوج، بل علىٰ الزوجة أن تسعىٰ لصلة رحم زوجها.

قصص عقوق الوالدين والرحم

١- هذا رجل فاجر عاصٍ لله عاق لأبيه اسمه (منازل) أتاه أبوه يومًا فأمره بطاعة الله، وأمره بالإحسان، ولكنه لطم أباه، فذهب أبوه يبكي، وقال: «والله لأحجن إلىٰ بيت الله الحرام، وأدعو هناك عليك»، فحج الوالد وتعلق بأستار الكعبة ورفع يديه يدعو:

يـا مـن إليـه أتـىٰ الحُجـاج قـد قطعـوا ... أرضًـا فـلاة مـن قـرب ومـن بعـد

هــذا منــازل لا يرتــد عــن عققــي ... فخـذ بحقـي يـا رحمـن مـن ولـدي

وشــل منــه بحــول منــك بارحــة ... يـا ليـت ابنـي لـم يولـد ولـم ألـد

ما أنزل الوالد يديه إلا وشل الله الابن، وأصبح مشلولًا إلىٰ أن مات.

٢- قال الأصمعي: حدثني رجل من الأعراب قال: خرجت أطلب أعق الناس، وأبر الناس، فكنت أطوف بالأحياء حتىٰ انتهيت إلىٰ شيخ في عنقه حبل يستقي بدلو لا تطيقه الإبل في الهاجرة والحر الشديد، وخلفه شاب في يده رشاء وحبل من قد (سير من جلد مدبوغ) يضربه به، وقد شق ظهره بذلك الحبل، فقلت أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف؟ أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتىٰ تضربه؟ قال: إنه مع هذا أبي.

قلت: لا جزاك الله خيرًا. قال: اسكت فهكذا كان هو يصنع بأبيه وكذا ... كان أبوه يصنع بجده، فقلت: «هذا أعق الناس»[(١)].

اللهم اجعلنا من الواصلين لأرحامهم.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

(١) المحاسن والمساوئ، محمد بن إبراهيم البيهقي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ص٣١٦، ٣١٧) (مصر: دار المعارف، ١٤١١هـ، ١٩٩١م).

(٢٣) العفو جزاؤه الجنة

الحمد لله الذي يعفو عن السيئات، وأمر عباده بالعفو، ووعدهم عليه جنات تجري من تحتها الأنهار، والصلاة والسلام علىٰ النبي ﷺ.

وبعد:

حديثنا حول ما يُقَرَّب من التقوىٰ، والمغفرة، وحب الرحمن الرحيم، حول السمو والرفعة.

قال -تعالىٰ-: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وقال -تعالىٰ-: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ٢٠].

وقال -تعالىٰ-: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

وقال -تعالىٰ-: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

نزلت الآية الأخيرة حين عزم أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن يكف عن الإنفاق علىٰ (مِسطح بن أُثاثة) ابن خالته، وذلك عندما وقع في اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي ابنته، وزوج خاتم الأنبياء والمرسلين، فما كان منه إلا أن قال: «بلىٰ والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا ثم أعاد إنفاقه علىٰ مِسطح وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا»[(١)].

فَقُلها كما قالها أبو بكر الذي اعْتُدِي علىٰ عرضه فعفا وصفح.

---

(١) تفسير ابن كثير، (٦/ ٣٥٢).

عفو عمر بن عبد العزيز

جاد عمر بن عبد العزيز بالعفو عمن دس له السم لقتله، فقد دسَّ (غصين) غلام عمر بن عبد العزيز السم له في شرابه، وعلم عمر فور شربه له، لكنه لم يُخبر غصينًا بذلك إلا عندما اشتد المرض عليه قبل موته حين أدخله عمر عليه، فسأله أن يجعله في حل من كل إساءة أساءها إليه دون أن يعلم، فبكىٰ غصين، واعترف بِجُرمه، وأراد أن يتوب.

سأله عمر عن الثمن الذي قبضه جزاء فعلته فأخبره أنها ألف دينار لن يقبضها إلا بعد موت عمر جزاء فعلته، فقال له عمر: هل لك في عمل تنجو به من عذاب الله؟ اذهب إلىٰ من أمروك بقتلي وأخبرهم أن يعطوك الألف دينار، وإلا أخبرتني بأسمائهم، ثم اذهب إلىٰ بيت مال المسلمين وضعها فيه، ففعل غصين ما أمر به عمر، وكانت زوجة عمر (فاطمة بنت عبد الملك) تسترق السمع هي وأخوها (مسلمة) فعلما بجريمة (غصين)، وأرادا معاقبته لكن عمرًا استحلفهما بالله أن لا يمساه بسوء، بل أعتق غصين لوجه الله، وطلب إليه أن يهرب من المدينة لئلا يفتك به الناس إذا علموا بأمره!!.

اشتد المرض علىٰ عمر، وجاءته إغماءةُ الموت، فأفاق منها فرحًا ليقول متهللًا: «مرحبًا مرحبًا بكرام طيبين، بهذه الوجوه التي ليست بوجوه إنس ولا جان ثم قرأ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]».

ثم قال: «اللهم اغفر لعبدك غُصين، واغفر لعبدك عمر، ثم ردد الشهادة وأسلم الروح»[(١)].

---

(١) رمضان جهاد حتىٰ النصر، د: خالد أبو شادي، ص(٤٨، ٤٩) (القاهرة: طيبة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

والله إن الإنسان ليخجل من نفسه حينما يسمع هذا القصص، وينظر إلىٰ نفسه فيجد أنه يحمل خصومة، أو لا يعفو عن زوجته، أو أخيه، أو والديه، أو ابنه، أو جاره، أو أي إنسان بسبب أمر أكيد دون التدبير للقتل الذي فعله (غصين) مع سيدنا عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الدرس العملي لهذه القصة، ولخاطرة اليوم: اعف عمن ظلمك، وادعُ الله أن يعفو عنك إنه هو الغفور الرحيم.

أهل الفضل

عن علي بن الحسين أنه قال: «إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ ليقم أهل الفضل فيقوم ناس، فيُقال لهم انطلقوا إلىٰ الجنة، فتتلقاهم الملائكة وهم سائرون، فيقولون لهم: أين تريدون؟ فيقولون الجنة، فيقولون لهم: قبل الحساب؟ فيقولون نعم، فيقولون: من أنتم؟ فيقولون نحن أهل الفضل، فيقولون وما فضلكم؟ فيقولون كنا إذا جُهل علينا حلمنا، وإذا ظُلمنا صبرنا، وإذا أُسيء إلينا عفونا، فيقولون: يحق لكم أن تكونوا من أهل الجنة، فنعم أجر العاملين»[(١)].

فنعم أجر العاملين، فنعم أجر العاملين. اللهم أحسن خاتمتنا.

كم مرة يكون العفو؟

جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال يا رسول الله: كم نعفو عن الخدم؟ فصمت، ثم أعاد عليه الكلام، فصمت، فلما كان في الثالثة قال: «**اعْفُ عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً**»[(٢)].

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره لسورة الشورىٰ (١٦/ ٤٠ – ٤١).

(٢) رواه أبو داود (٥١٦٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٨٨).

ورُوي عن النبي ﷺ عن أنس قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتىٰ بدت ثناياه فقال عمر ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ فقال: «**رَجُلَانِ مِنْ أُمَّتِي جَثَيَا** -أي جلسا علىٰ الرُّكب- **بَيْنَ يَدَي رَبِّ الْعِزَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَبِّ خُذْ لِي مَظْلَمَتِي مِنْ أَخِي، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَعْطِ أَخَاكَ مَظْلَمَتَهُ، قَالَ يَا رَبِّ لَمْ يَبْقَ مِنْ حَسَنَاتِي شَيْءٌ، قَالَ** -أي المطالب-: **رَبِّ فَلْيَحْمِلْ عَنِّي مِنْ أَوْزَارِي،** قال: ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، ثم قال: **إِنَّ ذَلِكَ لَيَوْمٌ عَظِيمٌ يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَىٰ مَنْ يَتَحَمَّلُ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِلطَّالِبِ: ارْفَعْ بَصَرَكَ وَانْظُرْ فِي الْجَنَانِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ. فَقَالَ يَا رَبِّ أَرَىٰ مَدَائِنَ مِنْ فِضَّةٍ، وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةً بِاللُّؤْلُؤِ. لِأَيِّ نَبِيٍّ هَذَا؟ لِأَيِّ صِدِّيقٍ هَذَا؟ لِأَيِّ شَهِيدٍ هَذَا؟ قَالَ لِمَنْ أَعْطَىٰ ثَمَنَهُ، قَالَ يَا رَبِّ وَمَنْ يَمْلِكُ ثَمَنَهُ؟ قَالَ أَنْتَ تَمْلِكُهُ. قَالَ مَاذَا يَا رَبِّ؟ قَالَ: تَعْفُو عَنْ أَخِيكَ. قَالَ: فَإِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَادْخُلَا الْجَنَّةَ»** ثم قال ﷺ: «**فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(١)].

والعفو لا يزيد العبد إلا عزًّا. قال أبو جعفر المنصور لولده المهدي: «لذة العفو أطيب من لذة التشفي؛ لأن لذة العفو يَلحقها حمد العاقبة، ولذة التشفي يلحقها ذم الندم».

واكتساب خُلق العفو بالتعود عليه مرة بعد مرة، فكما أن الحلم بالتحلم، والعلم بالتعلم -كما في الحديث الصحيح-، فإن العفو واكتسابه بالتدريب عليه، فما أجمل أن تسمو نفس المؤمن، ويعلو عن شهواته، ومقاييس الأرض؛ ليصل إلىٰ المعالي فسلعة الله غالية. ألا إن سلعة الله الجنة.

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي في البعث، وقال صحيح الإسناد، وضعفه البخاري وابن حبان، والألباني في الترغيب والترهيب (١٤٦٩)، وأورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٣).

أهمية العفو

١- الرضا عن النفس وعن الحياة.

٢- علاج الكثير من الاضطرابات النفسية كما أكدت الدراسات الحديثة.

٣- العفو صدقة نتصدق به علىٰ غيرنا. قال -تعالىٰ-: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩].

٤- يؤدي إلىٰ ذهاب الحقد والضغينة.

٥- مغفرة الله ﷻ ورضوانه.

٦- قصور مشرفة علىٰ الجنة للمحسنين العافين عن الناس.

٧- قد يكون في العفو إحياء نفس تتوب إلىٰ ربها، وتُخرج ذرية موحدة.

٨- مظهر من مظاهر حسن الخلق، ودليل كمال الإيمان، وحسن الإسلام.

٩- العزة للإنسان وفي الحديث: «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**» رواه مسلم.

١٠- تجاوز الله ﷻ عن العبد، وفي الحديث المتفق عليه: «**تَجَاوَزُوا عَنْهُ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ**» متفق عليه.

١١- محبة الله ﷻ وهذه من أغلىٰ ما يطلبه ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

أنواع العفو

١- العفو عن حق القِصَاص والدِّيَّة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [البقرة: ١٧٨]. فالقِصَاص حق أصيل لولي القتيل له أن يتمسك به أو يتنازل عنه، فالقِصَاص عدل، والتنازل عنه إلىٰ الدِّيَّة هذا التخفيف مطلوب لبقاء الرحمة، وتماسك المجتمع.

٢- العفو عن إيذاء العرض بالسب والشتم ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [النور: ٢٢] التي نزلت في أبي بكر فعفا وصفح.

٣- العفو عن بعض الحقوق المادية ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

من أقوال أهل الفضل في العفو

يقول الحسن بن علي رضي الله عنهما: «لو أن رجلًا شتمني في أذني هذه، واعتذر في أذني الأخرىٰ لقبلت عذره»[(١)].

قال عمر بن عبد العزيز: «أحب الأمور إلىٰ الله ثلاثة العفو عند المقدرة، والقصد في الجدة، والرفق في العبارة، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة»[(٢)].

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٣١٩/ ١).

(٢) الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد (١/ ٢٤).

ويقول ابن نباته المصري:

وإذا الحبيب أتىٰ بذنب واحدٍ جاءت محاسنه بألف شفيع[1]

وعن عيينة بن حصن أنه قال لعمر بن الخطاب: «يا ابن الخطاب، ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل»، فغضب عمر وهم أن يوقع به فقال له الحر بن قيس: «يا أمير المؤمنين ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وإن هذا من الجاهلين» فقال ابن عباس: «فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافًا عند كتاب الله»، ويقول النبي ﷺ: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ الْحُورِ شَاءَ**» رواه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٢٢).

اللهم اجعلنا من العافين عن الناس.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم

(١) ابن نباته المصري: أصله من (ميا فارقين) وهي مدينة تركية قديمة، وسكن الشام وتوفي بالقاهرة، وهو شاعر عصره، وأحد علماء الأدب، ورجع إلىٰ القاهرة ٧٦١هـ، وهو من شعراء العصر المملوكي.

(٢٤) وقولوا للناس حسنًا

الحمد لله الذي كتب الإحسان علىٰ كل شيء، ويعطي علىٰ الرفق ما لا يُعطي علىٰ سواه، الحَمْدُ للهِ العَزيزِ الجَليل، أمر عِبادَهُ بِالقَولِ الحَسَنِ، والفِعْلِ الجَمِيلِ، والصلاة والسلام علىٰ معلم الناس الرفق ﷺ.

وبعد:

قال -تعالىٰ-: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]. كلمة الناس هنا تشمل اليهودي والنصراني، فكيف بالحنيفي المسلم إذا أردت أن تنصحه؟! لا شك أنه أولىٰ بذلك، وهو حث علىٰ الخُلُق الحسن في جميع أحواله، ومع كل الناس بلا استثناء.

والمسلم في حاجة لأن يكون مقبولًا عند الآخرين بل ومحبوبًا؛ حتىٰ إذا جاء ليصحح معوجًّا، أو يأمر بمعروف أو ينهىٰ عن منكر، قُبل منه.

وقال -تعالىٰ-: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

قال ابن كثير: «يأمر -تعالىٰ- رسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم، ومحاوراتهم الكلام الأحسن، والكلمة الطيبة، فإنه إذ لم يفعلوا ذلك؛ نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلىٰ الفعال، ووقع الشر، والمخاصمة، والمقاتلة فإن الشيطان عدو لآدم وذريته[1] ...

ومن أسباب الود: بسط الوجه، ولين الكلام، وسِعة الخُلُق، ومن العوامل القوية في جلب أرواح الناس إليك: الرفق، ويقول النبي ﷺ: «**مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا**

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٨٧).

زَانَهُ، وَلَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[(١)].

«**مَا كَانَ**» نفي، وقوله: «في شيء» نكرة، وقد تقرر أن النكرة في سياق النفي تعم، فيدخل في ذلك كل الأشياء، فالرفق يزينها، والعجلة تشينها.

والكلمة الطيبة الرفيقة تُحدث في النفس السحر في حب الآخر واحترامه. لذا يحب الخالق ﷻ الرفق في كل شيء، ويقول ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَيَكْرَهُ التَّفَحُّشَ**». وفي رواية: «**فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ**»، وفي رواية: «**يَا عَائِشَةُ: إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ سِوَاهُ**»[(٢)].

وحينما جاء شاب يستأذن النبي ﷺ في الزنا يقول: يا رسول الله ائذن لي في الزنا فدعاه النبي، وقال: «**يَا هَذَا أَتَرْضَىٰ بِالزِّنَا لِأُمِّكَ؟!**» قال: لا، قال: «**وَالنَّاسُ لَا يَرْضُونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، أَتَرْضَاهُ لِزَوْجَتِكَ؟!**» قال: لا، قال: «**وَالنَّاسُ لَا يَرْضُونَهُ لِزَوْجَاتِهِمْ أَتَرْضَاهُ لِابْنَتِكَ؟!**» قال: لا، قال: «**النَّاسُ لَا يَرْضُونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، أَتَرْضَاهُ لِعَمَّتِكَ؟!**» قال: لا، قال: «**وَالنَّاسُ لَا يَرْضُونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، أَتَرْضَاهُ لِخَالَتِكَ؟!**» قال: لا، قال: «**وَالنَّاسُ لَا يَرْضُونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**» ثم ضرب صدره، وقال: «**اللَّهُمَّ أَعِفَّهُ وَحَصِّنْهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ**» قال رضي الله عنه: «فما هممت بفاحشة بعد ذلك»[(٣)].

خرج عمر رضي الله عنه يعس في المدينة ليلًا، فرأىٰ نارًا موقدة في خباء، فوقف وقال: «يا أهل الضوء». وكره أن يقول يا أهل النار.

---

(١) رواه مسلم (٦٦٠٢، ٢٥٩٤)، أحمد (٢٠٦/ ٢/ ٢٥٧٤٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٥٤).

(٢) رواه البخاري (٦٠٢٤)، ومسلم (٢١٦٥)، والأخير مسلم (٢٥٩٣)، وأبو داود (٤٨٠٧) وقال الألباني: صحيح.

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٧/ ٥)، والبيهقي في الشعب (٥٤١٥) قال الهيثمي في المجمع (١٢٩/ ١): رجاله رجال الصحيح.

وسأل رجلًا عن شيء: هل كان؟ قال: لا، أطال الله بقاءك، فقال: «قد علمتم فلم تتعلموا، هلا قلت لا، وأطال الله بقاءك»؟.

والأعرابي يبول في مسجد النبي ﷺ فقام الناس إليه؛ ليقعوا فيه فقال ﷺ: «**دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَىٰ بَوْلِهِ سِجِلًّا** -دلوًا- **مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**. وأمر أصحابه بترك الأعرابي الجاهل حتىٰ ينتهي من بوله، فلما انتهىٰ ... دعاه النبي ﷺ وقال: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَذَىٰ أَوِ الْقَذَرِ إِنَّمَا لِلصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**»[(١)].

أشياء تدعو إلى القول الحسن

حسن الظن بالآخرين، لسلامة الصدور والقول الحسن وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن شرًّا وأنت تجد لها في الخير محملًا».

جاء رجل إلىٰ الإمام الشافعي رحمه الله حين مرض وأتاه بعض إخوانه يعودونه، فقال للشافعي: «قوىٰ الله ضعفك»، قال الشافعي: «لو قوىٰ الله ضعفي لقتلني»، قال: «والله ما أردت إلا الخير». فقال الإمام: «أعلم أنك لو سببتني ما أردت إلا الخير». فهكذا تكون الأخوة الحقيقية إحسان الظن بالإخوان حتىٰ فيما يظهر أنه لا يحتمل وجهًا من أوجه الخير. والشاهد الذي ينبغي التأكيد عليه من قول الشافعي رضي الله عنه: «أعلم أنك لو سببتني ما أردت إلا الخير»[(٢)]، ويحدث العكس كثيرًا في هذا الزمان الأخ يريد لأخيه الخير، ومع ذلك يتهمه ويسيء الظن به.

---

(١) رواه البخاري (٨٩/ ١، ٢٢٧٠/ ٥)، ومسلم (١٨٦)، والترمذي (٢٧٥/ ١).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٩/ ١٢٠).

والكلمة غير الطيبة لها خطورتها، فكم من كلمة أوغرت الصدور، وكم من كلمة تركت الشقاق، والنزاع، وكم من جارحة بَغَّضت الكثيرين!.

ويقول الشاعر يعقوب الحمدوني:

وجُـــرح الـــسيفِ لَـــهُ التِئَـــامُ ولا بُـــرْءَ لِمَـــا جَـــرَحَ اللِّـــسانُ

ويقول الشافعي:

لـسانك لا تـذكر بـه عـورة امـرئ فَكلُّـكَ عَـوْرَاتٌ وللنـاس ألـسنُ

جاء في تفسير الخازن: أن المشركين كانوا يؤذون المسلمين، فشكوا ذلك إلىٰ رسول الله ﷺ فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ يقولون للكفار «التي هي أحسن» أي: لا يكافئونهم علىٰ سفههم بل يقولون لهم: يهديكم الله، وكان ذلك قبل فرض الجهاد، وقيل نزلت في عمر بن الخطاب، وذلك أن شتمه أحد الكفار فأمره الله بالعفو[(١)].

إن المطلوب الذي لا مفر عنه إلانة القول، وخفض الجناح؛ لأن الشيطان يثير نار الفتنة والشقاق، ويوقع البغضاء، وسوء الظن، فيصبح القول الحسن هو الوقاية لما يلقيه الشيطان في القلوب، بل ترتقي الكلمة الطيبة لتصل إلىٰ الصدقة فيقول ﷺ: «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»[(٢)].

---

(١) لباب التأويل في معاني القرآن، علاء الدين علي بن محمد الخازن، تصحيح محمد شاهين، ط: (٣/ ١٣٣) (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

(٢) رواه مسلم (٣/ ٨٣)، وذكره الألباني في الصحيحة (١٠٢٥).

من فوائد الكلمة الطيبة

١- أنها تجنب الإنسان الخصومة، والمشاحنة، وخواطر النفس للثأر والانتقام، وأخذ الحق، وتجنب سوء الظن.

٢- أنها تجلب الراحة النفسية التي تنعكس علىٰ الإنسان؛ فتيسر له إقامة العبادات، والخروج إلىٰ الناس سليم الصدر، وسلامة الصدر هي التي بلغت بذلك الرجل وجعلته من أهل الجنة.

٣- أنها تصنع علاقات اجتماعية فيها الإخاء، والتعاون، والمودة ويُزال من بينها الشحناء، والقيل والقال، والبغض، وإهدار الطاقات والأوقات التي يجب أن تتجه لخدمة الدعوة.

٤- تبعد عن صاحبها النار، وفي الحديث: «ذَكَر النار فأشاح بوجهه فتعوذ منها ثم ذَكَر النار فأشاح بوجهه فتعوذ منها، ثم قال: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[(١)].

٥- والكلمة الطيبة تصعد إلىٰ السماء، فتفتح لها أبواب السماء: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾. وقد قَدِمَ أحد العلماء الدعاة علىٰ المأمون، فذكره بالله، ووعظه، وأنكر عليه مخالفات قام بها بشدة ... فقال له المأمون: «يا هذا إنك خالفت أوامر الله. إن الله أرسل من هو خير منك إلىٰ من هو شر مني. أرسل موسىٰ وهارون إلىٰ فرعون فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].» والعلة؛ لأن النفس إذا لم تُعطَ كلامًا حسنًا فإنها قد لا تقبله، بل حتىٰ ولو كان معه السُنة فقد لا تقبله.

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري (٦٥٦٣) واللفظ له، ومسلم (١٠١٦).

مكافأة

يقول ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَىٰ ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا** فقال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله قال: **لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»(١).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «البر شيء هين، ووجه طليق، وكلام لين».

وقال بعض الحكماء: الكلام اللين يَغسل الضغائن المستكنة في الجوارح.

ويقول النبي ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْفَعَهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ ﷻ سُرُورٍ تُدْخِلُهُ عَلَىٰ مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ** -يعني مسجد المدينة- **شَهْرًا**»(٢).

قصة من القول الحسن

لقد أرسل الصحابي الجليل جرير بن عبد الله البجلي غلامًا؛ ليشتري له فرسًا فلما التقىٰ الغلام والبائع قال له: «بكم تبيع الفرس»؟ وأخذت المناقشات تدور بينهما إلىٰ أن وقف الثمن عند ثلاثمائة درهم، لكن غلام جرير قال: ليس معي من الثمن شيء فتعالىٰ إلىٰ سيدي ليعطيك الثمن، ولما وصل البائع والغلام كلاهما إلىٰ جرير قال جرير كلامًا عجيبًا: سأل الغلام: «بكم اشتريت الفرس»؟ أجاب بثلاثمائة درهم، وكان المتوقع أن يقلل أو يعطيها كما هي، لكن جرير نظر للبائع وقال أتبيعه

---

(١) رواه الطبراني، والحاكم، وقال صحيح علىٰ شرطهما، وقال الألباني في الترغيب والترهيب (٢٦٩٢) حسن صحيح.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٥٣)، وحسنه الألباني في الصحيح الجامع (١٧٦).

بأربعمائة درهم وعجب البائع، وسكت قال جرير: أتبيعه بخمسمائة درهم... قال: «أتبيعه بستمائة»، والبائع ساكت، ثم قال: «أتبيعه بسبعمائة درهم» ودُهش البائع ولم يطق صبرًا، وقال: يا هذا أبائع أنت أم مشتري؟ ما رأيت أحدًا مشتريًا يزيد ثمن المبيع إلا أنت فما شأنك؟ قال جرير: لقد بايعت النبي ﷺ علىٰ النصح لكل مسلم، والفرس يساوي سبعمائة درهم، فلو أخذتها بأقل من ذلك لغششت رسول الله ﷺ. هؤلاء رجال تربوا علىٰ الصدق مع الله ومع نبيه[1].

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح محمد العثيمين رقم (١٨٣)، معجم الطبراني مع بعض التغيير في الرقم.

(٢٥) ومن يوق شح نفسه فقد أفلح

الحمد لله مُدبر اللَّيالي والأيام، ومصرِّف الشهور والأعوام، المتفرد بالعظمة والبقاء، الغني عن خلقه علىٰ الدوام ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ.

وبعد:

حديثنا بعون الله حول أحد المهلكات أفلح من نجا منه: إنه الشح.

قال الله -تعالىٰ-: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

قال أبو حاتم: «البخل شجرة في النار أغصانها في الدنيا، من تعلق بغصن من أغصانها جره إلىٰ النار، كما أن الجود شجرة في الجنة أغصانها في الدنيا فمن تعلق بغصن من أغصانها جره إلىٰ الجنة، والجنة دار الأسخياء»[(١)].

وقال عبد الله بن عمر: «ليس الشحيح أن يمنع الرجل ماله، ولكنه البخل، وإنه لشر، إنما الشح أن تطمح عين الرجل إلىٰ ما ليس له».

وقال القرطبي: «الشح هو البخل مع الحرص»، وقال ابن القيم: «الشح شدة الحرص علىٰ الشيء، والإحفاء في طلبه، والاستقصاء في تحصيله، وجشع النفس عليه، والبخل منع إنفاقه بعد حصوله وحبه وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله، بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمرة الشح، والشح يدعو إلىٰ البخل، والشح كامن في النفس، فمن بخل فقد أطاع شحه، ومن لا يبخل فقد عصىٰ شحه، ووقي شره، وذلك هو المفلح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]».

---

(١) روضة العقلاء، ونزهة الفضلاء، أبو حاتم البستي (١/ ٢٣٨) (دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يطوف حول الكعبة، ولا يزيد علىٰ قوله: «اللهم قني شح نفسي» لا يزيد فسُئل فقال: «إذا وقيته لم أفعل سوء... فلا أسرق ولا أزني ثم قرأ ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]».

عطاء لعلاج شح النفس ليلحق بركب المفلحين

عن أنس بن مالك قال: «كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالًا، وكان أحب أمواله إليه بيرُحاء (حديقة)، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب. فلما نزلت الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

قال أبو طلحة: «يا رسول الله، إن أحبَ أموالي إليَّ بيرُحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها، وذُخرها عند الله -تعالىٰ- فضعها يا رسول الله حيث أراك الله -تعالىٰ- فقال النبي ﷺ: «**بَخٍ بَخٍ مَالٌ رَابِحٌ وَقَدْ سَمِعْتُ وَأَنَا أَرَىٰ أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ**»، فقال أبو طلحة أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه، وبني عمه»[(١)].

الحمد لله الذي رحمنا، ولم يكلفنا ما لا نستطيع فلو قال: (لن تنالوا البر حتىٰ تنفقوا أحب الأشياء) لعجزنا، ولكنه ﷻ رحم ضعفنا فقال: ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وهذا ما تستطيعه كل النفوس المؤمنة.

دخل علي بن الحسين رضي الله عنهما علىٰ محمد بن أسامة بن زيد في مرضه، فجعل يبكي. فقال ما شأنك؟ قال عليَّ دَين. فقال: كم هو؟ قال خمسة عشر ألف دينار، فقال علي بن الحسين: «فهي عليَّ»[(٢)].

مرض قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه فاستبطأ إخوانه، فسأل عنهم فقيل له: «إنهم

---

(١) صحيح البخاري (١٤٦١، ٤٥٥٤)، صحيح مسلم (٩٩٨).

(٢) رد البلاء بالصدقة، شيخ مصطفىٰ شيخ إبراهيم حقي، (ص٣٥ – ٣٧).

يستحون مما لك عليهم من الدَّين». فقال: «أخزىٰ الله مالًا يمنع الإخوان من الزيارة»، ثم أمر مناديًا ينادي: «من كان عليه لقيس حق فهو منه في حل». فلما فعل ذلك انكسرت عتبة بابه بالعشي من كثرة الزوار، -سبحان الله-.

سأل رجل ابنَ المبارك فقال: «يا أبا عبد الرحمن قرحة خرجت من ركبتي من سبع سنين، وقد عالجت بأنواع العلاج، وسألت الأطباء فلم أنتفع به، فقال: فاذهب فانظر موضعًا يحتاج الناس للماء، فاحفر هناك بئرًا، فإني أرجو أن ينبع هناك عين، ويمسك عنك الدم ففعل فبرأ»[(١)]، وقد قال النبي ﷺ: «**صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ**»[(٢)].

وعن محمد بن أبي حاتم قال: «كان البخاري يتصدق بالكثير يأخذ بيد صاحب الحاجة من أهل الحديث، فيناوله ما بين العشرين إلىٰ الثلاثين من غير أن يشعر به أحد، وكان لا يفارقه كيسه، ورأيته ناول رجلًا مرارًا صرة فيها ثلاثمائة درهم».

كان حماد بن أبي سليمان يُفطِّر كل يوم من رمضان خمسين إنسانًا، فإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوبًا ثوبًا.

ويدخل النبي ﷺ علىٰ بلال وعنده صُرة من تمر (كومة من تمر)، فقال: «**مَا هَذَا يَا بِلَالُ؟**» قال: «أعد ذلك لأضيافك»، وفي رواية: «أدخره»، فقال: «**أَمَا تَخْشَىٰ أَنْ يَكُونَ لَكَ دُخَانٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. أَنْفِقْ بِلَالًا وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا**»[(٣)].

جاء سائل إلىٰ الإمام أحمد بن حنبل فدفع إليه رغيفين أعدهما لفطره، ثم طوىٰ، وأصبح صائمًا. أشياء تجعل الإنسان يخجل مرات ومرات من تقصيره.

---

(١) رواه البيهقي كما في صحيح الترغيب والترهيب (٩٥٣).

(٢) حسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٩٧).

(٣) متفق عليه، صحيح البخاري (١٣٧٤)، صحيح مسلم (١٠١٠).

أقوال في الصدقة

- يقول النبي ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ فِيهِ الْعِبَادُ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[١].

- قال ابن مسعود: «درهم يُنفقه أحدكم في صحته وشحه أفضل من مائة يوصي بها عند موته».

- وقال زين العابدين: «الصدقة في الليل تطفأ غضب الرب».

- قال يحيىٰ بن معاذ: «ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا من الصدقة».

- وقال لقمان الحكيم لابنه: «إذا أخطأت خطيئة فأعط صدقة».

- وعن الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «استكثروا من شيء لا تمسه النار قالوا: وما هو؟ قال: المعروف».

- قال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصلاة تبلغك نصف الطريق، والصوم يبلغك باب الملك، والصدقة تدخلك عليه».

- وقال سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا مات السخي قالت الأرض والحفظة: رب تجاوز عن عبدك في الدنيا بسخائه، وإذا مات البخيل قالت: اللهم احجب هذا العبد عن الجنة، كما حجب عبادك عما جعلت في يديه من الدنيا».

- وكان الليث بن سعد يقول: «من أخذ مني صدقة أو هدية فحقه علي أعظم من حقي عليه؛ لأنه قبل مني قرباني إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ»[٢].

- قد يسبق الدرهم مائة ألف درهم، ويبين النبي ﷺ السر في ذلك، فيقول: «**رَجُلٌ**

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري (١٣٧٤)، صحيح مسلم (١٠١٠).

(٢) رد البلاء بالصدقة، (ص٣٥ – ٣٧).

لَهُ دِرْهَمَانِ أَخَذَ أَحَدُهُمَا فَتَصَدَّقَ، وَرَجُلٌ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَأَخَذَ عُرْضَهُ مِائَةَ أَلْفٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا»[(١)].

وكان هدي النبي ﷺ: أنه أعظم الناس صدقة بما ملكت يده، كان لا يستكثر شيئًا أعطاه لله -تعالىٰ-، ولا يستقله، وكان عطاؤه عطاء من لا يخشىٰ الفقر، وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الآخذ بما يأخذ، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة[(٢)].

آداب الصدقة

١- أن تكون من كسب حلال طيب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٢- أن تكون الصدقة خالصة لوجه الله لا يشوبها رياء ولا سمعة، وأن يوجه نيته إلىٰ الله لقوله ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»[(٣)].

٣- أن تكون الصدقة من جيد المال وأفضله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

٤- أن يُسر في المواطن التي يُفضل فيها الإسرار، ويجهر بها إذا كان ذلك أفضل.

٥- ألا يستكثر الصدقة. قال -تعالىٰ-: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦].

٦- أن يدفع الصدقة للأحوج، والقريب المحتاج أولىٰ من غيره.

٧- أن يخرجها بوجه بشوش، ونفس طيبة لقوله ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ**

---

(١) رواه النسائي والحاكم، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٧٥).

(٢) رد البلاء بالصدقة، مرجع سابق.

(٣) متفق عليه، البخاري (٩/ ١)، مسلم (١٥١٥/ ٣).

شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[١].

٨- أن يسارع بصدقته حال حياته، فقد سُئل رسول الله ﷺ أي الصدقة أفضل؟ فقال: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، وَتَأْمَلُ الْغِنَىٰ، وَتَخْشَىٰ الْفَقْرَ، وَلَا تُهْمِلُ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ»[٢].

٩- أن يحذر من المَنْ والأَذىٰ لقوله -تعالىٰ-: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣].

من فوائد الصدقة

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: «عليك بالصدقة بما قل أو كثر، فإن في الصدقة عشر خصال محمودة: خمس في الدنيا وخمس في الآخرة:

فأما الخمس في الدنيا

١- تطهير المال كما قال النبي ﷺ في صحيح مسلم: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»[٣].

٢- تطهير البدن من الذنوب كما قال الله -تعالىٰ-: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

٣- إن فيها دفع البلاء والأمراض لقوله ﷺ: «دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ الدُّعَاءَ»[٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٠٢٦/ ٤) (٢٦٢٦).

(٢) البخاري (٥١٥/ ٢ رقم ١٣٥٣)، مسلم (٧١٦/ ٢/ ١٠٣٢).

(٣) صحيح، رواه مسلم (٢٥٨٨/ ٦٩)، وأحمد (٢/ ٣٨٦).

(٤) أخرجه البيهقي، وحسنه الألباني.

٤- إن فيها إدخال السرور علىٰ المساكين، وأفضل الأعمال «سرور تدخله علىٰ مسلم» كما في الحديث.

٥- إن فيها بركة في المال وسعة في الرزق لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩].

وأما الخمس التي في الآخرة

١- أن تكون الصدقة ظلًّا لصاحبها من شدة الحر.

٢- إن فيها خِفة الحساب.

٣- الجواز علىٰ الصراط.

٤- زيادة الدرجات في الجنة.

٥- إنها تثقل الموازيين».

والصدقة تشرح الصدر للمتصدق وتُشعره بالسعادة.

وفي الصدقة مضاعفة الأجور: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨].

وفي الصدقة نزول الرزق والبركات ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾.

وفي الصدقة فتح باب من أبواب الثواب، فإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث منها الصدقة.

وفي الصدقة وقاية لمصارع السوء.

اللهم طهر نفوسنا من الشح والبخل، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٢٦) الرضا راحة النفوس

الحمد لله المستحق للحمد، واهب النعم، لا مانع لما أعطىٰ، ولا معطي لما منع، الخلق خلقه، والأمر أمره، وتفويض الأمر وتسليمه له ﷻ، والصلاة والسلام علىٰ خير من شكر في الرخاء ورضي بمواقع القضاء.

وبعد:

حديثنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول الرضا راحة النفوس، قال -تعالىٰ-: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ذكر القرطبي عدة معانٍ في الآية الكريمة، وقال: «قال الحسن البصري وزيد بن وهب، ووهبه بن منبه، وهو قول علي بن أبي طالب: القناعة».

إن العاقل في هذه الدنيا عليه أن يَعِفَّ نفسه عن الحرص، والطمع، ويرضىٰ بما كتب الله له، فإن صنع ذلك أراح نفسه، وإن مسه الفقر وطوقه الضُر.

والرضا خلاف السخط، كما في دعاء النبي ﷺ: «**أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ**»[(١)].

وقال: «**إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**»[(٢)].

والرضا اصطلاحًا هو سكون القلب إلىٰ اختيار الرب، وقيل سرور القلب بِمُرِ القضاء، وقيل استقبال الأحكام بالفرح، أو بالراحة، والطمأنينة، والسكينة.

---

(١) متفق عليه، واللفظ للإمام مسلم (١/ ٣٥٢).

(٢) رواه الترمذي وحسنه الألباني، صحيح الجامع (٢١١٠).

ويقول النبي ﷺ: «فَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَىٰ النَّاسِ»[١].

وفرق بين الاستسلام والرضا

الاستسلام هو الانهزام، وعدم بذل الجهد لتحقيق الهدف، أما الرضا فهو استفراغك الوسع في تحقيق الهدف، لكن لم تُوفق إليه، فترضىٰ بما قسمه الله لك من غير جذع، أو ضجر، أو سخط كمن تزوج ولم يُرزق بالولد، والذي أصيب بمرض لم يستطع دفعه، والذي ابتلاه الله بالفقر وضيق ذات اليد، فاجتهد في تحصيل الغنىٰ ولم يوفق.

السعيد الحق

هو من رضي بما قسم الله له، وكلما رضي؛ كلما زادت سعادته، وكلما سخط ولم يرضَ؛ كلما اقترب من التعاسة، والاضطراب النفسي.

ويقول النبي ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»[٢].

إن الرضا هو السياج الذي يحمي المسلم من تقلبات الأيام والأحوال، فالمسلم بين فقر وغنىٰ، وصحة ومرض، وفرح وحزن، وهكذا نعيش أحوالًا متغيرة نحتاج فيها إلىٰ الرضا.

والرضا بالقضاء والقدر ثقة بموعود الله، وما عند الله خير للأبرار.

وطمأنينة القلب، وسكونه، واستقراره بزوال القلق، والانزعاج والاضطراب عنه، وهذا لا يتأتىٰ إلا في جوار الله -تعالىٰ- وذكره البتة، وأما ما عداه فالطمأنينة إليه غرور، والثقة به

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٤٢)، وحسنه الألباني في سنن الترمذي (١٧٦٧).

(٢) رواه مسلم (٤٦/ ١، ٦٠)، أحمد (٢٠٨/ ١، ١٧٧٨).

عجز قضىٰ الله ﷻ قضاءً لا مرد له أن من اطمأن إلىٰ شيء سواه أتاه القلق[١].

والنفس المطمئنة هي المطمئنة إلىٰ ربها، المطمئنة إلىٰ طريقها المطمئنة إلىٰ قدر الله بها، المطمئنة في السراء والضراء، وفي البسط والقبض وفي المنع والعطاء، المطمئنة فلا ترتاب، والمطمئنة فلا تنحرف، والمطمئنة فلا تتلجلج في الطريق، والمطمئنة فلا ترتاع يوم الهول الرعيب[٢].

أقوال الراضين بمراد الله

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول: «ما أصبح لي اليوم في الأمور هوىٰ إلا في مواقع قضاء الله فيها»[٣].

ويدعو ويقول: «اللهم ارضني بقضائك، وبارك لي في قدرك حتىٰ لا أحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت»[٤].

وها هو الصحابي الجليل عمران بن الحصين الذي شارك مع النبي ﷺ في الغزوات، وإذا به بعد وفاة النبي ﷺ يُصاب بشلل يقعده تمامًا عن الحركة، ويستمر المرض معه مدة ثلاثين سنة، حتىٰ أنهم نَقَبُوا له في سريره حتىٰ يقضي حاجته، فدخل عليه بعض الصحابة فلما رأوه بكوا فنظر إليهم وقال:

أنتم تبكون، أما أنا فراضٍ ... أحب ما أحبه الله، وأرضىٰ بما ارتضاه الله، وأسعد بما اختاره الله، وأشهدكم أني راضٍ»، ويقول: «إن أحب الأشياء إلىٰ نفسي أحبها إلىٰ الله»[٥].

وهذا طريح الفراش ثلاثين عامًا ليس يومًا بل أحد عشر ألف يومًا.

---

(١) الروح، ابن القيم، (ص٢٢٠).
(٢) في ظلال القرآن، (٦/ ٣٩٠٧).
(٣) طبقات ابن سعد (٣٧٢/ ٥).
(٤) ابن الجوزي، سيرة عمر (ص٣١١).
(٥) د. بدر عبد الحميد هميسة، مقال: وارض بما قسم الله لك، سلسلة كوكب تاني، للشيخ محمود المصري، كوكب الرضا.

درس عملي في الرضا

عند وفاة إبراهيم ابن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الْقَلْبَ لَيَحْزَنُ، وَإِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْمَعُ، وَإِنَّا عَلَىٰ فِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا**».

وسُئل الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أين أوتي الخلق؟ فقال من قلة الرضا عن الله.

ونقل أبو حاتم البستي عن بعض السلف قوله: «لا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضا، وهو رأس المحبة، ولذا دعا زكريا لولده فقال: ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾ [مريم: ٦]».

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن الله -تعالىٰ- بقسطه، وعدله جعل الروح، والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط».

كان عمر بن الخطاب يقول: «إياكم والدخول علىٰ أهل السعة، فإنه مسخطة للرزق».

وكان عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يُجالس الأغنياء، فلا يزال في غم؛ لأنه لا يزال يرىٰ من هو أحسن منه لباسًا، ومركبًا، ومسكنًا، وطعامًا، فتركهم وجالس المساكين فاستراح من ذلك[(١)].

قال لقمان لابنه: «أوصيك بخصال تقربك من الله وتباعدك من سخطه: أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئًا، وأن ترضىٰ بقدر الله فيما أحببت وكرهت»[(٢)].

---

(١) روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) (٢/ ١٩٧).

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٢٩).

كتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أما بعد فإن الخير كله في الرضا فإن استطعت أن ترضي، وإلا فاصبر»[(١)].

من فوائد الرضا

١- يثمر محبة الله ورضاه وتجنب سخطه.

٢- الوعد بالبشرىٰ في الآخرة.

٣- دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.

٤- دليل حسن ظن العبد بربه.

٥- يضفي علىٰ المسلم راحة نفسية وروحية.

٦- الفوز بالجنة والنجاة من النار.

٧- طريق واضح إلىٰ السلام الاجتماعي.

٨- مظهر من مظاهر صلاح العبد وتقواه.

٩- يجنب المسلم كثيرًا من الأمراض النفسية التي مصدرها الكبت والانفعال.

١٠- يزيد من سلامة خلايا الجسم ويرفع من المناعة.

من العلاج للسخط

١- أن يتيقن أن الرضا هو دواء للحزن والاكتئاب وغيرهما.

٢- استحضار العبد لحكمة الله في الأقدار، وأنه ﷻ لا يعطي، ولا يمنع إلا لحكمة بالغة؛ مما يهوِّن علىٰ المرء ما يلاقيه من المصائب.

---

(١) المرجع السابق (٢/ ١٨٥).

٣- النظر المتكرر والجلوس مع الفقراء، وهذه وصية النبي ﷺ: « **انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**»[(١)].

٤- عدم التفكير السلبي في السلوك الذي تقوم به.

٥- الإكثار من قراءة القرآن الكريم: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

٦- قراءة سير الصحابة في الابتلاء، وكيف كان رضاهم؟

٧- الدعاء المتكرر بسلامة الصدر ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠].

٨- لا أعاتب علىٰ نيات الناس أو أحاسبهم، بل أقدم حسن الظن[(٢)].

٩- أن يتيقن من أن قدر الله لا يأتي إلا بخير.

١٠- أن يتيقن من أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

اللهم رضنا وارضَ عنا يا رب.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

(١) متفق عليه، مسلم (المختصر) (٢٠٨٧)، البخاري (٦٤٩٠).

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، (٦/ ٢١٢٤).

(٢٧) كل الناس يغدو

الحمد لله الذي يسر الخير لمن أراده، وهدىٰ إلىٰ سبيله من أطاعه، وبين الطرق المعوجة لمن أراد السلامة، وفتح باب توبته لمن عجل بالندم والاستغاثة، وبدل سيئات من تاب وأخلص وأصلح العبادة، والصلاة والسلام علىٰ الحبيب القائل: «**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**»[(١)].

وبعد:

فحديثنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول «**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو**».

يقول الغنيمان في شرح كتاب التوحيد: «وبائع نفسه معناه مشتريها، إما أن يشتريها بطاعة الله ﷻ واجتناب المعاصي فيعتقها من عذاب الله، أو يبيعها في طاعة الشيطان؛ فيوبقها بعمله المعاصي، ثم يُجزىٰ شرًّا».

وقال النووي: «معناه كل إنسان يسعىٰ بنفسه، فمنهم من يبيعها لله -تعالىٰ- بطاعته؛ فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان، والهوىٰ باتباعهما؛ فيوبقها أي يهلكها»[(٢)].

قال -تعالىٰ-: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨ - ١٩].

هذه الآيات تصنيف عام لأحوال الناس في الدنيا، فهم فريقان: فريق يعمل للدنيا، وفريق يعمل للآخرة. أما الفريق الأول فهو: من كان يريد العاجلة أي من كان طلبه

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٢٣)، وابن حبان (٨٤٤، ٢٤/ ٣)، والترمذي (٣٥١٧).

(٢) سنن ابن ماجه، محمد أبو عبد الله القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (١/ ١٠٢).

الدنيا العاجلة، وكانت أكبر همه، ومبلغ علمه فخصها بكل جهده وعمله، ونسي الآخرة، عجَّل الله له فيها تحقيق أمله حسبما يشاء ويريد من سعة الرزق، وترف الحياة، فليس كل من طلب الدنيا ونعيمها يحصل له مراده، بل يحصل لمن أراد الله وعمل للآخرة، فالعطاء الدنيوي مقيد بالإرادة والمشيئة الإلهية، والقيد يشمل أمرين: ما يشاؤه الله، لا ما يحبه العبد، ولمن يشاء الله، لا لكل من أراد الدنيا، فهؤلاء الماديون لا يُعطون كل ما يريدون، وإنما يُعطون بعض طموحهم، والكثير من الماديين لا يُعطون شيئًا أبدًا، فيجمعون بين فقر الدنيا، وفقر الآخرة، وبين الحرمان من الدنيا والآخرة.

ولكل من هؤلاء الماديين سواء أعطوا مرادهم أم لا فلهم «جهنم يصلونها» أي يقاسون حرها بصفة دائمة، مذمومين من الله، والملائكة والناس أجمعين ... فإنهم يحصرون همهم في الدنيا، وربما لم ينلهم شيء منها.

وأما الفريق الثاني: وهو المؤمنون الأتقياء الذين أخبر الله -تعالىٰ- عنهم: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾ أي ومن طلب الآخرة، وكانت هي همه ومقصده، فعمل لها ما استطاع من القرب والطاعات، وهو مؤمن مصدق بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، فأولئك أهل الكمال المشكورون علىٰ طاعتهم، المثابون علىٰ أعمالهم ... فلا يُثاب هؤلاء، ولا ينالون الجزاء الحسن إلا بشروط ثلاثة:

الأول: إرادة ثواب الآخرة، وما فيها من النعيم والسرور.

الثاني: أن يكون العمل من القرب والطاعات متابعًا للرسول ﷺ لا من الأعمال الباطلة، فالكفار يتقربون بعبادة الأوثان والكواكب والملائكة ... «وسعىٰ لها سعيها» أي أعطاها حقها من السعي بالأعمال الصالحة.

الثالث: أن يكون العمل في دائرة الإيمان والتصديق بالثواب والجزاء، فلا ينفع العمل بغير إيمان صحيح، وهذه هي الشروط الثلاثة في كون السعي مشكورًا.

«وللآخرة أكبر درجات»... أي والتفاوت في الآخرة أكبر وأعظم، والتفاضل في درجات منافع الآخرة أكبر من التفاضل في درجات منافع الدنيا، فالدرجات أكبر، والتفاضل أعظم ... فأهل النار في دركات سفلىٰ متفاوتة، وأهل الجنة في درجات عليا متفاضلة، فإن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض[(١)].

وقفت مرة صباحًا في سوق صلالة بسلطنة عُمان فشاهدت جنسيات، مختلفة فهذا هندي ذاهب إلىٰ عمله، وذاك عُماني، وآخر مصري، وغيره تونسي، وبنجالي، وباكستاني، وصيني، وفلبيني، وسوداني، ... قلت: سبحان الله كل هؤلاء يعملون ويتعبون «كل الناس يغدو» ومنهم من كانت الآخرة أكبر همه، ومنهم من كانت الدنيا أكبر همه، وشتان بين من باع نفسه لربه وكان مهمومًا بتحصيل الثواب، وكل حركاته، وسكناته، وسعيه لا يغيب عنها طاعة الله، ومراقبته، وبين من باع جهده، ووقته ثمنًا للشهوات، أو حتىٰ لزوجه، وأبنائه من غير نية أو من غير إيمان لقبول الأعمال فتضيع كلها هباءً منثورًا.

يقول النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةَ، جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ**»[(٢)].

ومن الناس من يبيع نفسه لله فيتملكه يقين أنه كله لله، وما يملك، وما يحب، أنه وولده، وزوجه لله فيغدو في طاعة الله طالبًا رضاه، فهذا تنادي عليه الملائكة: أن طبت، وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة غرفًا.

ومن الناس من يدور في الحياة في دائرة لا يخرج منها، ولا يتجاوزها؛ ليحصل

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفىٰ الزحيلي (١٥/ ٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٨٣) واللفظ له، وابن حبان (٧٢، ٧٣)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: سنده صحيح (١/ ٦٨٩).

علىٰ المال، ويُمتع زوجته، وأولاده، ونفسه من غير ابتغاء الأجر والمثوبة من الله ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨].

البيع لمن يكون؟

قال الله -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ﴾ [التوبة: ١١١].

يقول صاحب الظلال: «إن الدخول في الإسلام صفقة بين متبايعين: الله ﷻ فيها هو المشتري، والمؤمن فيها هو البائع. فهي بيعة مع الله، لا يبقىٰ بعدها للمؤمن شيء في نفسه، ولا في ماله يحتجزه دون الله ﷻ ودون الجهاد في سبيله، لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله، فقد باع المؤمن لله في تلك الصفقة نفسه وماله مقابل ثمن محدود، معلوم هو الجنة: وهو ثمن لا تعدله السلعة، ولكنه فضل الله ومنّه»[(١)].

بيع صهيب الرومي

عندما باع صهيب بن سنان النمري (الرومي) نفسه لله، وهو يعاتب النبي ﷺ علىٰ أنه خرج وتركه فيقول: فانطلقت وتركتني فأخذتني قريش فحبسوني فاشتريت نفسي، وأهلي بمالي؛ لأنه قال لقريش: «فإن شئتم دللتكم علىٰ مالي وخليتم سبيلي، وفعل»، قال له النبي ﷺ: «**رَبِحَ الْبَيْعُ أَبَا يَحْيَىٰ رَبِحَ الْبَيْعُ**»[(٢)] ونزلت فيه آية من القرآن

---

(١) في ظلال القرآن (٣/ ١٧١٢).

(٢) قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: صحيح، ورواه الطبراني، وفي سنده مقال، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد.

هي: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، وكلمة «شرىٰ» عكس «اشترىٰ»، ويشري نفسه أي يبيعها.

كل الناس يغدو بحثًا عن السعادة، فظنها أقوام في المال، فطلبوها، وجمعوا الأموال كقارون ومن سلك سبيله، ولكنهم لم يجدوها.

ظن أقوام أن السعادة في كثرة الأولاد والجاه كما كان الوليد بن المغيرة يحضر المحافل بعشرة أو ثلاثة عشر يستأنس بهم ومع ذلك لم يجد السعادة.

وطلب أقوام السعادة في موضعها فوجدوها. فطلبها النبي ﷺ وصاحبه في الغار فوجدوها، وطلبها ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سجنه فوجدها.

ومن غدا إلىٰ الله بنيته مأجور، ففي الحديث الصحيح: «**إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كَتَبَ اللهُ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَحِيحًا مُقِيمًا**»[(١)].

ومن حبسه العذر كمرض أو شيء خارج عن الإمكان فإن الله يعلم سره، ويأجره علىٰ نيته، وصدقه، وما كان يفعله في باقي أيامه.

وفي الحديث: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ رِجَالًا مَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا وَلَا سَلَكْتُمْ طَرِيقًا إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[(٢)].

اللهم اجعلنا ممن باع نفسه لك، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٣٤).

(٢) متفق عليه البخاري (٢٨٣٨، ٤٤٢٣)، مسلم (١٩١١).

(٢٨) المؤمن والابتلاء

الحمد لله الذي لا مانع لما أعطىٰ، ولا مُعطي لما سَلَب، طاعته للعاملين أفضل مكتسب، وتقواه للمتقين أعلىٰ نسب، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ.

وبعد:

حديثُنا بعون الله ومدده حول ما يُكَفِّرُ الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، إنه الابتلاء.

قال الله -تعالىٰ-: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

قال صاحب الظلال: «إن الإيمان ليس كلمة تُقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلىٰ احتمال»[(١)].

فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا وهم لا يُتركون لهذه الدعوىٰ، حتىٰ يتعرضوا للفتنة؛ فيثبتوا فيها، ويخرجوا منها صافية عناصرهم، خالصة قلوبهم، كما تَفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به، وهذا أصل الكلمة اللُّغوي، وله دلالته وظله، وإيحاؤه، وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب، وهذه الفتنة علىٰ الإيمان أصل ثابت، وسنة جارية في ميزان الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠] والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله، مُغيب عن علم البشر فيُحاسب الناس إذن علىٰ ما يقع من عملهم لا علىٰ مجرد ما يعلمه ﷻ من أمرهم.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم، (٥/ ٢٧٢٠).

وهو فضل من الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب[(١)].

ويقول -تعالىٰ-: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

يتكرر ذكر الصبر ومشتقاته في القرآن الكريم تسعين مرة، ذلك أن الله ﷻ يعلم ضخامة الجهد الذي يقتضيه القيام علىٰ دعوة الله في الأرض بين شتىٰ الصراعات والعقبات، والذي يتطلب أن تبقىٰ النفس مشدودة الأعصاب، مجندة القوىٰ، يقظة للمداخل والمخارج. ولا بد من الصبر في هذا كله: لا بد من الصبر علىٰ الطاعة والصبر علىٰ المعاصي، والصبر علىٰ جهاد المشاقين لله، والصبر علىٰ الكيد بشتىٰ صفوفه، والصبر علىٰ بطء النصر، والصبر علىٰ بُعد الشُّقة، والصبر علىٰ انتفاش الباطل، والصبر علىٰ قلة الناصر، والصبر علىٰ طول الطريق الشائك، والصبر علىٰ التواء النفوس، وضلال القلوب، وثقلة العناد، ومضاضة الإعراض.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

ولا بد من تربية النفوس بالبلاء، ومن امتحان التصميم علىٰ معركة الحق بالمخاوف والشدائد، وبالجوع، ونقص الأموال، والأنفس، والثمرات، لا بد من هذا البلاء؛ ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة؛ كي تعز علىٰ نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف، والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولىٰ، فالتكاليف هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين، وكلما تألموا في سبيلها، وكلما بذلوا

---

(١) المرجع السابق.

من أجلها كانت أعز عليهم، وكانوا أضن بها، كذلك لن يُدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم علىٰ بلائها إنهم عندئذ سيقولون في أنفسهم: لو لم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خيرًا مما يُبتلون به وأكبر ما قبلوا هذا البلاء، ولا صبروا عليه، وعندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها، مقدرين لها، مندفعين إليها، وعندئذ يجيء نصر الله، والفتح، ويدخل الناس في دين الله أفواجًا[١].

وفي حديث النبي ﷺ: «**مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزَنٍ حَتَّىٰ الْهَمُّ يُهَمُّهُ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ**»[٢].

فالهم والحُزن يكفر الذنوب، والتعب، والمرض، والشوكة، كل ما يصيب الإنسان هو لتكفير الذنوب، ورفع الدرجات.

قال عبد الله بن عباس: «أفضل العُدَّة الصبر علىٰ الشدة».

أرباح الصبر

١- صبر يستوجب الحب:

قال -تعالىٰ-: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. وهل رأيت حبيبًا يُعذب حبيبه أو يقطع وده أو يؤثر هجره؟ إنما هو ﷻ رؤوف رحيم بعباده يبتليهم؛ ليضع عنهم أوزارهم.

ويقول ﷺ: «**وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا أَوْ أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»[٣].

---

(١) في ظلال القرآن، (١/ ١٤٥).

(٢) رواه البخاري (الفتح ١٠/ ١٠٣)، مسلم (٤/ ١١٩٣).

(٣) متفق عليه. البخاري باب الاستعفاف (١٤٦)، مسلم (١٠٥٣).

قال شيبان الراعي لسفيان الثوري: «يا سفيان عُدَّ منع الله إياك عطاء منه لك؛ فإنه لم يمنعك بخلًا؛ إنما يمنعك لطفًا»[(١)].

٢- اللامحدود في عالم الثواب:

-سبحانه سبحانه- غارس شجر الكَرَم في قلوب الكرماء، وباذر الجود في أكف الأسخياء فكل كرم من كرمه، وكل جود من جوده، ومن فيوضاته أنه لما التزم الصالحون أمره فصبروا، كافأهم بمكافأة:

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

٣- معية تورث السكينة:

قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

إن الله معهم يُؤيدهم، ويُثبتهم، ويُطمئن نفوسهم، ويريح بالهم فالصبر والنصر رفيقا درب وفرعا غصن. قال رسول الله ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ**»[(٢)].

٤- تكفير السيئات:

قال ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذَىٰ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، وَحُطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرُ وَرَقَهَا**»[(٣)].

وعلىٰ هذا يرىٰ المؤمن المحنة منحة، والبلية هدية، والألم دواء.

---

(١) صيد الخاطر، لابن الجوزي (٢٥٣).

(٢) حسن: رواه أحمد (٣٠٧/ ١)، والحاكم (٥٤١/ ٣ و٥٤٢).

(٣) متفق عليه، البخاري (٢١٣٩/ ٥/ ٥٣٢٤)، مسلم (١٩٩١/ ٤/ ٢٥٧١).

٥- استحقاق الإمامة في الدين: قال -تعالىٰ-: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤]، فجعل الله ﷻ الصبر شرطًا للإمامة في الدين.

٦- علامة حب وخيرية

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّىٰ يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

٧- الجنة

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْ عَبْدِي (عَيْنَيْهِ) فِي الدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدِي إِلَّا الْجَنَّةَ»(٢).

وقال ﷺ مخبرًا عن ربه: «مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةُ»(٣).

٨- بشرىٰ لمن يحبهم الله ﷻ

يقول النبي ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ أَبْلَاهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ»(٤).

---

(١) البخاري (٤٤٦٢)، والترمذي (٢٣٩٨).

(٢) صحيح: رواه الترمذي كما في صحيح الجامع (١٩٠٤).

(٣) صحيح: البخاري (٣٣)، والترمذي (٢٤٠٠).

(٤) صحيح كما قال الألباني في صحيح أبي داوود (٢٦٤٩)، والصحيحة (٢٥٩٩).

فعلى المسلم أمور عند المصيبة منها:

١- الصبر علىٰ البلاء. ويقول النبي ﷺ: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا لَهُ وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(١).

٢- أن يعلم علم اليقين أن الدنيا بما فيها من بؤس ونعيم لا تساوي لحظة من لحظات الآخرة كلها، بما فيها من نعم، وسيارات، وحدائق وشهوات وغيرها.

يقول النبي ﷺ: «**يُؤْتَىٰ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ: يَا بْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ فَيَقُولَ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَىٰ بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ يَا بْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ. هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ فَيَقُولَ لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ**»(٢).

٣- أن يحمد الله علىٰ البلاء؛ لأنه لم يكن أعظم منه، ويدعو: «**الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا. لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ**»(٣).

٤- أن يعلم أن الله قَسَّمَ بين الناس معيشتهم في الحياة الدنيا وآجالهم قال -تعالىٰ-: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢].

فالرزق مقسوم، والمرض مقسوم، فارضَ بما قسم الله لك، فإن الدقائق والثواني كلها لله يقلبها كيف يشاء ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

---

(١) متفق عليه، البخاري (١٤٦٩)، مسلم (١٠٥٣).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢١٦٢، ٢٨٠٧)، أحمد (٢٠٣/ ٣/ ١٣١٣٤).

(٣) في صحيح الجامع الصغير (٦٢٤٨) وقال الألباني حسن، وذكره في الصحيحة (٦٠٢) وقال: قوي بمجموع طرقه.

يـا صـاحب الهـم إن الهـم منفـرج ... أبـشر بخيـر فـإن الفـارج الله
اليـأس يقطـع أحيانًـا بـصاحبه ... لا تيأسـن فـإن الكـافي الله
الله يُحـدث بعـد العـسر ميـسرة ... لا تجـذعن فـإن القاسـم الله
وإذا بُليـت فثـق بـالله وارض بـه ... إن الـذي يكـشف البلـوىٰ هـو الله
والله مـا لـك غيـر الله مـن أحـد ... فحـسبك الله في كـلٍّ لـك الله

٥- قال بعض السلف: «إذا نزلت بك مصيبة فصبرت؛ كانت مصيبتك واحدة، وإذا نزلت بك، ولم تصبر؛ فقد أصبت بمصيبتين: فقدان المحبوب، وفقدان الثواب».

٦- أن يعلمَ أن هذا البلاء محطة تمحيص وتكفير للذنوب، ورفع للدرجات.

٧- البلاء يكشف حقيقة الدنيا وزيفها، وأنها متاع الغرور ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

٨- معايشة أحوال البلاء عند السلف الصالح، والقراءة في نزول البلاء بهم، وصبرهم ليرىٰ من مرآة القوم ما يُثبت به فؤاده.

كان الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكثر من حمد الله علىٰ البلاء، فلما سُئل عن ذلك، قال: ما أُصبت ببلاء إلا كان لله عليَّ فيه أربع نعم:

أ- أنه لم يكن في ديني.

ب- أنه لم يكن أكبر منه.

جـ- أني لم أُحرم الرضا والصبر.

د- أني أرجو ثواب الله تعالىٰ عليه.

أصيب عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللَّهُ في قدمه، فقرر الأطباء قطعها، فما زاد علىٰ أن قال: «اللهم لك الحمد فإن أخذت فقد أبقيت، وإن ابتليت فقد عافيت»، فلما كان من الغد ركلت بغلة ابنه محمد -وهو أحب أبنائه إليه، وكان شابًّا يافعًا - فمات من حينه، فجاءه الخبر بموته، فما زاد علىٰ أن قال مثل ما قال الأولىٰ. فلما سُئل قال: كان لي أربعة أطراف، فأخذ الله مني طرفًا، وأبقىٰ ثلاثة، وكان لي سبعة من الولد، فأخذ الله واحدًا وأبقىٰ ستة، وعافني ما مضىٰ من حياتي، ثم ابتلاني اليوم بما ترون، أفلا أحمده علىٰ ذلك؟![1].

اللهم طهرنا بكل ابتلاء، وارفع درجاتنا به يا رب.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٤٢١ رقم ١٦٨) بتصرف.

(٢٩) قوا أنفسكم وأهليكم نارًا

الحمد لله، الحمد لله مغيث المستغيثين، ومجيب دعوة المضطرين، ومسبل النعم علىٰ الخلق أجمعين، عظُم حلمه فستر، وبسط لعباده العطاء فأكثر، نعمه تترىٰ، وفضله لا يحصىٰ، الحمد لله رب البرية أمرنا برعاية الذُّرِّيَّة، والصلاة والسلام علىٰ الحبيب الشفيع ﷺ.

وبعد:

فحديثنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾.

قال الله -تعالىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا قال الله: يا أيها الذين آمنوا فارعها سمعك فإنه خير تؤمر به أو شر تُنهىٰ عنه».

إنه نداء الله لأحبائه الذين آمنوا به أن قوا أنفسكم، واحفظوها، وخلصوها من عذاب الله، وذلك بترك المعاصي، وفعل الطاعات.

﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ أي: «أطيعوا الله، وأمُرُوا أهلكم بطاعته؛ لِتَقُوا أنفسكم وأهليكم من النار بطاعته»[(١)].

وقال علي بن أبي طالب أي: «علموا أنفسكم، وأهليكم الخير، وأدبوهم».

ويقول النبي ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا**»[(٢)].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، تفسير ابن جزي (٢/ ٣٩١).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري (٥١٨٨)، ومسلم (١٨٢٩).

صور من وقاية السابقين

كان النبي ﷺ: إذا قام إلىٰ الوتر: تقول عائشة رضي الله عنها: «فإذا أراد أن يوتر أيقظني فأوترت»[(١)]. ويقول: «**أَيْقِظُوا صَوَاحِبَ الْحُجَرِ** -يعني زوجاته- **يُصَلِّينَ**»[(٢)].

أثنىٰ الله -تعالىٰ- علىٰ إسماعيل عليه السلام بصفة أمره لأهل بيته بالصلاة ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ [مريم: ٥٤ - ٥٥].

وكان ﷺ يقول لأهل بيته: «**لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**»[(٣)] ويقول: «**يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ اعْمَلِي فَإِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ اعْمَلِي فَإِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ عَمَّ رَسُولِ اللهِ اعْمَلْ فَإِنِّي لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»[(٤)].

بل لو تتبعنا سيرة النبي ﷺ في كل ملمح، وكل سلوك مع أهل بيته، ومع أبناء الصحابة لعلمنا أن كل اجتماع له ﷺ معهم كان يفيض عليهم بتصحيح مفهوم، أو غرس نوع من التربية الإيمانية، أو الاجتماعية، أو الخلقية، أو الجسمية، أو غيرها لإعداد جيل قوي قادر علىٰ النهوض بنفسه، والنهوض بمجتمعه.

والذي ينبغي للآباء والأمهات ملاحظة مجالات التربية؛ حتىٰ لا يغفلوا جانبًا منها فيكون عيبًا في شخصية الأبناء بعد ذلك.

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ٥٨٠).
(٢) رواه البخاري (١/ ١٩٠).
(٣) رواه البخاري (٣٢١٦).
(٤) رواه مسلم (١/ ١٣٣)، والنسائي (٢/ ١٢٨).

مجالات التربية للأطفال

١- **التربية الإيمانية:** وهي ربط الطفل منذ تعقله بأصول الإيمان، وأركان الإسلام، وهي تشمل التربية العقائدية، والتربية العبادية.

أ- **التربية العقائدية:** وهي كل ما ثبت عن طريق الخبر الصادق من الحقائق الإيمانية، والأمور الغيبية: كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وعذاب القبر ونعيمه والجنة والنار، وتلقين الطفل كلمة التوحيد في أول نطقه.

ب- **التربية العبادية:** وهي كل العبادات البدنية والمالية: كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج لمن استطاع إليه سبيلًا.

٢- **التربية الخلقية:** وهي مجموعة المبادئ الخلقية، والفضائل السلوكية، والوجدانية، التي يجب أن يتلقنها الطفل، ويكتسبها، كالصدق، والاستقامة، والشجاعة والكرم، واحترام الكبير، والإحسان إلىٰ اليتامىٰ والبر بالفقراء وغيرها.

٣- **التربية الجسمية:** فالمؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف.

٤- **التربية العقلية:** أي تربية النشء من خلال تنمية الملكات والقدرات العقلية، وتوجيه الميول العقلية نحو ما يناسبها، وتكوين فكر الولد بكل ما هو نافع من العلوم الشرعية، والثقافة العلمية.

٥- **التربية النفسية:** والمقصود أن يربيهم علىٰ الاتزان الشخصي، والنفسي، وعلىٰ ضبط انفعالاتهم، ورَدْ رغباتهم، وحاجاتهم النفسية إلىٰ شرع الله مثل الجرأة، والصراحة والشجاعة، والتحلي بالفضائل النفسية.

٦- **التربية الاجتماعية:** وهي تربية الولد منذ نعومة أظفاره علىٰ التزام الآداب

الاجتماعية الفاضلة؛ حتىٰ يكون عضوًا فعالًا في المجتمع، نافعًا له، والتربية الاجتماعية مثل آداب الطعام والشراب، والسلام والاستئذان وآداب المجالس، والمزاح، والتهنئة، والتعزية، والعطاس وغيرها.

٧- **التربية الجنسية:** وهي توعيته ومصارحته بالقضايا التي تتعلق بالغريزة، وتتصل بالزواج ففي سن (السادسة إلىٰ العاشرة) يتعلم آداب الاستئذان وآداب النظر.

ويعاني الكثير من أسئلة الطفل في المراحل الأولىٰ من التعليم فهو يدرس أن من نواقض الوضوء التقاء الختانين فيسأل، ويسأل الولد أو البنت الأم كيف ولدتيني يا أمي؟ وتستطيع الأم أن تجيب إجابات صحيحة فتقول مثلًا من بطني قال الله - تعالىٰ-: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ﴾ [النمل: ٧٨].

والطفل الذي بدا في مرحلة المراهقة وظهرت عليه علامات البلوغ يتعلم أحكام المراهقة، والغسل من الاحتلام، ويجب توضيح هذه الأحكام له.

والبالغون يريدون الزواج، فلا بد من تعريفهم أمور قبل الزواج كأحكام البناء، والمعاشرة الزوجية، ولقاء الزوجين خاصة أول مرة لتفادي حدوث مشاكل[(١)].

٨- **التربية الجهادية:** مثل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجهاد المفسدين، حتىٰ يكون الدين كله لله، والتربية للجهاد في سبيل الله، وتعليمهم قضية الولاء والبراء، وأن هناك جهاد للكافرين وقتال لهم، وهذا الجهاد ذروة سنام الدين.

---

(١) أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين، جمال عبد الرحمن ص(١٧٨، ١٧٩)، تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، التربية الإسلامية للطفل، دراسة موجزة محمد نور الإسلام.

صور من وقاية الزوجة والأولاد

- بعد الاختيار للزوجة الصالحة، تحصين الأبناء بالذكر الشرعي عند إتيان الزوجة، ويقول: «اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا»[(١)].

- التربية علىٰ التوحيد، وبطرق التربية السابقة.

- الاتفاق مع شيخ مربي؛ ليقوم بتحفيظ الأبناء بخُطة ثابتة، وأجندة خاصة لكل ابن ليتسنىٰ متابعته، وكتابة الحفظ، والمراجعة، والمواعيد.

- ومن وقاية الأبناء: حمايتهم من جرائم الإعلام، ورذائل الأفلام والمسلسلات، فهذه معاول هدم في بيوتنا تجعلنا في تربيتنا لأبنائنا كالذي يسبح ضد التيار، فكلما علمنا أولادنا خُلقًا إسلاميًّا جاء الإعلام -في غالبه- ليفسده، وقلما تجد إعلامًا هادفًا لسمو الأخلاق.

- ومن وقاية الزوجة والأولاد: الجلوس معهم قبل بداية الشهر، والتخطيط لاغتنام الشهر بإزالة المعوقات من طريق العبادة، فبدلًا من شراء الملابس في أفضل ليالي العمر في (ليالي العشر الأواخر من رمضان) يكون الشراء قبل دخول الشهر.

- ومن صور الوقاية للزوجة: مساعدتها من الزوج والأبناء قدر الإمكان حتىٰ لا تُستهلك طاقة الزوجة في القيام بالأعمال كلها ثم تجد نفسها لا تستطيع العبادة ليلًا، والوقوف في ركعات القيام.

- الاهتمام بالقرآن وتعليمه لأهل البيت فمن المُفزع أن يهتم ولي الأمر بدراسة ابنه، ولا يهتم بتعليمه دينه والقرآن والسنة.

---

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ٢٣٠).

- ومن وقاية الأبناء: أن ينشغل المرء بما أُمر لا بما ضُمن، فكثير منا ينشغل عن مسئولية تربية الأبناء بالسعي وراء (لقمة العيش) والرزق بشكل عام، والله -تعالىٰ- يقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ [طه: ١٣٢] أي لا تنشغل بما ضُمن وهو الرزق عما أُمرت به وهو العبادة(١).

- ومن وقاية الأبناء والزوجة أن يبحث عن بديل للمسلسلات والأفلام التي تؤصل وتقوي التمرد عند الزوجة والأولاد، وتُعين علىٰ التفرقة بين المرء وزوجه، والبدائل كثيرة كالقنوات الفضائية الهادفة التي تعلم العلوم الشرعية المختلفة، وبرامج الكمبيوتر، والألعاب الهادفة وغيرها.

والتصحيح من الأب ومن الأم ضرورة شرعية واجتماعية فالأبناء كالثوب الأبيض يتم غسله، فيجب تصحيح الأفكار، وتقويم الأخلاقيات؛ حتىٰ يتربىٰ الأبناء عليها، وتصبح وشيجة في تكوينهم وطبيعتهم.

ويقول أبو العلاء المعري:

مشىٰ الطاووس يومًا باعوجاج ... فقلد شكل مشيته بنوه

فقال علام تختالون؟ فقالوا ... بدأت به ونحن مقلدوه

فخالف سيرك المعوج واعدل ... فإنا إن عدلت معدلوه

أما تدري أبانا كل فرع ... يجاري بالخطىٰ من أدبوه

ويُنشأ ناشئ الفتيان منا ... علىٰ ما كان عوده أبوه(٢)

---

(١) يا بشرىٰ هذا رمضان، نبيل حامد المعاز (ص٢٤).

(٢) نقلاً عن «من أجلك يا بُني»، د. بدر عبد الحميد هميسه.

- ومن وقاية الأبناء: صلاح الآباء، وتقواهم قال -تعالىٰ-: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢] وكان من الأتقياء، فذكر أنهما حُفظا بصلاح أبيهما، وكان بينهما وبين الأب الذي حُفظا به سبعة آباء أو عشرة[١]!

- عن محمد بن المنكدر قال: «إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده، وولد ولده، وعشيرته التي هو فيها، والدويرات حوله، فما يزالون في حفظ الله وستره».

- وعن سعيد بن المسيب أنه كان إذا رأىٰ ابنه قال: «أي بني لأزيدن صلاتي من أجلك رجاء أن أُحفظ فيك، ويتلو: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾[٢]».

وصلاح الأب هو الذي حمىٰ الكنز للأبناء، وهو الذي جعل الخضر عليه السلام يبني الجدار مجانًا؛ لأنه كان آيلًا للسقوط، وكان تحته كنز اليتيمين، فأراد الله حفظ هذا الكنز؛ حتىٰ يبلغا أشدهما، ويستخرجا كنزهما.

فتقوىٰ الله ﷻ تنفع الذرية في الدنيا والآخرة.

قال الحطيئة جرول بن أوس بن مالك العبسي:

ولست أرىٰ السعادة جمع مال ... ولكن التقي هو السعيد

فتقوىٰ الله خير الزاد ذخرًا ... وعند الله للأتقىٰ المزيد

اللهم بارك لنا في أزواجنا، وأولادنا، واحفظهم، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٨٧).

(٢) الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد النيسابوري، (ص١٨٨).

(٣٠) التوبة الدائمة

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو، يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد ﷺ.

وبعد:

حديثنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول أمر لا يستغني عنه الأنبياء والرسل والخلق جميعًا.. حول أساس مغفرة الذنوب، قال الله -تعالىٰ-: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [التحريم: ٨].

ويقول الحبيب الشفيع ﷺ: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(١)، وفي رواية مسلم: «**فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً**»(٢).

والتوبة واجبة علىٰ الصغير والكبير، علىٰ العالم والمتعلم، واجبة من صغائر الذنوب وكبائرها.

شروط قبول التوبة:

للتوبة شروط ثلاثة: إن لم تتعلق بحق آدمي - وهي: ترك الذنب، والندم، والعزم علىٰ ألا يعود.

وإن كانت تتعلق بحق آدمي فالثلاثة السابقة بالإضافة إلىٰ رد الحقوق لأصحابها، فإن كانت مالاً ونحوه رده إليه، وإن كانت غِيبةً أو نميمةً استغفر الله منها، وتاب إليه، وأثنىٰ عليه في المجالس التي اغتابه فيها، ولا داعي لأن يقول له؛

---

(١) رواه البخاري (٢٣٢٤/ ٥)، (٥٩٤٨، ٦٣٠٧).

(٢) رواه مسلم (٢٠٧٦/ ٤ برقم ٢٧٠٢).

لأن ذلك ربما يوغر صدره.

وزاد البعض شرطين لقبول التوبة وهما: الإخلاص، وأن تكون وقت قبولها[١].

ويجمع القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ التوبة في أربع: «الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيء الإخوان»[٢].

بشارة التواب الرحيم

الله ﷻ يبشرك: فاستمع إلىٰ بعض إشارات ربك وأرح قلبك، وأزل همك ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورىٰ: ٢٥].

﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

رَوىٰ البخاري ومسلم عن ابن عباس: أن أناسًا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعوا إليه لحسن، أوتخبرنا أن لنا توبة، أو لنا لما عملنا كفارة؟ فنزلت الآيات: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ... إلىٰ قوله: غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

ونزلت: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

فالإساءة منا كثيرة، والعفو منه أكثر، والخطأ منا كبير، ومغفرته أكبر، والزلل منا عظيم، والرحمة منه أعظم.

---

(١) شرح العقيدة السفارينية، محمد صالح العثيمين، ط١، (١/ ٣٧٩)، (دار الوطن للنشر: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

(٢) تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين (٤/ ٣٣٢)، (القاهرة: مطبعة بولاق الأميرية ١٢٨٥هـ/ ١٩٦٨م).

وهذه الآية: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ عامة في جميع الناس إلىٰ يوم القيامة، وتشمل المؤمن والكافر، والمعنىٰ: قل يا أيها النبي لقومك: يا عباد الله الذين أسرفوا أو تجاوزوا الحد في المعاصي، واستكثروا منها، لا تيأسوا من مغفرة الله، فإن الله يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك الذي لم يتب منه صاحبه كما في قوله -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨][1].

وكل من يحيا علىٰ ظهر الأرض له توبة من كل الصغائر، والكبائر، وإن كانت الشرك، وتصح التوبة بشروطها السابقة، أما الشرك الذي لا يُغفر هو من مات صاحبه عليه، ولم يتب.

وقوله -تعالىٰ-: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]. وغفار صيغة مبالغة من غفر فهو ﷻ واسع المغفرة، دائم الرحمة. قال وكيع عن سفيان: «كنا نسمع في قوله ﷻ: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾، أي من الشرك، وآمن بعد الشرك وعمل صالحًا صلىٰ وصام ثم اهتدىٰ».

التوبة ضرورة يومية

- كل معصية لله تُنقص محبته في القلب بقدر المعصية، وهذا علامة ضعف محبة الله في القلب.

- كل الناس أصحاب خطأ وذنوب، وكل بني آدم خطاء، فيلزمهم التوبة، ثم دوام المحافظة، والاستمرار عليها.

- التوبة ضرورية لإرجاع حقوق العباد قبل الحبس بالقنطرة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يَتَقَاضُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ**

(١) التفسير الوسيط للزحيلي، (٣/ ٢٢٤٨).

الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَىٰ لِمَسْكَنِهِ (وفي رواية: أدل) فِي الْجَنَّةِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِمَنْزِلِهِ فِي الدُّنْيَا»[(١)].

وينبغي علىٰ المسلم أن يتعلم كيف يعد ذنوبه، فقد كان سفيان الثوري أحد كبار التابعين ويقول: «جلست يومًا أعد ذنوبي فإذا بها واحد وعشرون ألف ذنب، وسأل نفسه تقف بين يدي الله فيسألك عن واحد وعشرون ألف ذنب ذنبًا ذنبًا ماذا تقول؟ والله ليسقطن لحم وجهك خجلًا وأنت تُعرض قبائحك علىٰ الله، ثم قال لنفسه: يا سفيان، هذا ما تذكرته فكيف بما أحصاه الله ونسيته أنت؟!»[(٢)].

مبررات لا صحة لها

قد يأتي إنسان ويقول لقد أذنبت ذنبًا كبيرًا، لقد وقعت في زنا، أو سرقة، أو شرك، أو قتل، أو في كل ما سبق، وهذا نُحيله إلىٰ آيات سورة الفرقان (٦٧ - ٧٠) والتي تُخبر في آخرها أن الله ﷻ يبدل سيئات التائبين حسنات، وتلك السيئات كانت كبائر (ينفقون بإسراف، ويدعون مع الله إلهًا آخر، ويقتلون النفس التي حرم الله، ويزنون)، وكل من وقع فيها منفردة، أو مجتمعة، أو في الشرك حال حياته، وقبل الغرغرة فله توبة فليبادر بها، وليعجل، وليسارع في طلبها.

وقد يذكر آخر قوله -تعالىٰ-: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ [النساء: ١٧].

قال مجاهد وغير واحد: «كل من عصىٰ الله خطأً أو عمدًا فهو جاهل حتىٰ ينزع عن الذنب»، وقال قتادة عن أبي العالية: أنه كان يُحدِّث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة، وعن مجاهد قال: «كل عامل بمعصية

---

(١) رواه البخاري (٨٦١/ ٢ رقم ٢٣٠٨، ٢٤٤٠)، وابن حبان (٤٦٠/ ١٦ رقم ٧٤٣٤).

(٢) أهلًا رمضان، الطريق إلىٰ الله، طيبة ص(٥) ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

الله فهو جاهل حين عملها»[(١)].

وقال السدي: «ما دام يعصي الله فهو جاهل». وقال ابن تيمية: «وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل، فمتىٰ صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب، أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه، وتلك أحوال تُناقض حقيقة العلم فيصير جاهلًا بهذا الاعتبار»[(٢)].

من فوائد التوبة

- إنها طاعة لله -تبارك وتعالىٰ- الذي أمر بها، واقتفاءً لسنة النبي ﷺ الذي أمر بها، وداوم عليها.

- إنها تبدل السيئات حسنات، وهل ثَمَّة تجارة أكثر ربحًا من ذلك!.

- تحصيل محبة الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

- حصول المغفرة من الله ﷻ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

- تكفير السيئات، ودخول الجنات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

- منع العذاب في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٣٥).

(٢) زيادة الإيمان ونقصانه، وحكم الاستشفاء فيه، عبد الرازق عبد المحسن البدر، (١/ ٢٣٨) (الرياض: دار القلم والكتاب ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

- توجب للتائب آثارًا عجيبة من مقامات العبودية، التي توجب رقة، ومحبة، ولطفًا، وتوجب شكرًا لله، ويجد الإنسان بها راحة كبيرة في قلبه.

- التوبة سبب لنزول الماء من السماء، والإمداد بالأموال والبنين، وزيادة القوة: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢] ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

- حماية المجتمع فلو كان المذنب ليس له توبة لكان شره أعظم علىٰ المجتمع ومن حوله.

- التوبة تُحدث في النفس راحة نفسية، ورضًا عن النفس، وهذا يُضفي سعادة علىٰ النفس، ويجعلها تتوافق مع الصحة النفسية، وتتوافق مع المجتمع ومع الحياة، وتجعل صاحبها أكثر قدرة علىٰ العطاء، ومُواجهة مشكلات الحياة.

وصدق أبو العتاهية:

إِلَهِـــي لَا تُعَـــذِّبْنِي فَـــإِنِّي ... مُقِـــرٌّ بِالَّـــذِي قَـــدْ كَـــانَ مِنِّـــي

وَمَـــا لِي حِيلَـــةٌ إِلَّا رَجَـــائِي ... لِعَفْـــوِكَ إِنْ عَفَـــوتَ وَحُـــسْنُ ظَنِّـــي

فَكَـــمْ مِـــنْ زَلَّـــةٍ لِي فِي الْبَرَايَـــا ... وَأَنْـــتَ عَـــلَيَّ ذُو فَـــضْلٍ وَمَـــنّ

يَظُـــنُّ النَّـــاسُ بِي خَـــيْرًا وَإِنِّي ... لَـــشَرُّ النَّـــاسِ إِنْ لَمْ تَعْـــفُ عَنِّـــي [1]

اللهم اجعلنا ممن قبلت توبتهم وإنابتهم يا رب

وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم

(١) دروس الشيخ عائض القرني (٦٦/ ٦).

(٣١) حسن الخاتمة وعلاماتها

الحمد لله الذي كتب النجاة لمن أطاعه، واتبع هداه، الحمد لله الذي لا يُضِيعُ أجر العاملين، والصلاة والسلام علىٰ أفضل من جاهد حتىٰ أتاه اليقين.

وبعد:

حديثُنا بعون الله ومدده وتوفيقه حول حسن الخاتمة وعلاماتها.

يقول أبو العتاهية:

الْمَـوتُ بـابٌ كُـلُّ النَّـاسِ دَاخِلُـهُ ... فَلَيتَ شِعْرِي بَعْدَ المَوتِ مَا الدَّارُ

الـدَّارُ جَنَّـةُ عَـدنٍ إِنْ عَمِلتَ بِمَـا ... يُرْضِـي الإِلَـهُ وَإِنْ فَرَّطْـتَ فَالنَّـارُ

هُمَـا مَـصِيرانِ مَـا لِلمَـرْءِ غَيْرُهُمـا ... فَـانظُرْ لِنَفْـسِكَ مَـاذَا أَنْـتَ تَخْتَـارُ[1]

وقد نبه الخالق ﷻ علىٰ حسن الخاتمة في قوله -تعالىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال -تعالىٰ-: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

وحسن الخاتمة رجاء العابدين، والزاهدين، والصالحين، والمقربين بل وأقصىٰ طلب نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

---

(١) الديوان لأبي العتاهية (ص١٦٨)، وجاء البيتان الأول والثاني فقط، ووجدت في كتاب أدب الدنيا والدين للماوردي الشافعي البيت الثالث لصالح بن عبد القدوس (١/ ١٥٤).

وحسن الخاتمة طموح يتحقق بالعمل ولا يتحقق بالتمني والتسويف، ولها أسباب وعلامات.

أسباب حسن الخاتمة

١ - إقامة التوحيد لله ﷻ.

إن إقامة التوحيد في قلب المسلم يجني ثماره في حياته، وعند موته وفي قبره، ويوم حشره، ويكون سببًا في دخول جنات ربه ورضوانه. قال ﷺ: «**فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ النَّارَ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»(١).

٢- **الاستقامة:** الاستقامة أعظم كرامة وسبب عظيم في حُسن الخاتمة، قال -تعالىٰ-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]، والاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، قال الصِّدِيق لما سُئِل عنها قال: «ألا تشرك بالله شيئًا فأراد بها الاستقامة علىٰ محض التوحيد»، وقال عمر بن الخطاب: «الاستقامة: أن تستقيم علىٰ الأمر والنهي ولا تروغ روغان الثعالب»(٢).

٣- **التقوىٰ.** قال -تعالىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وحق التقوىٰ أن يُطاع فلا يُعصىٰ، وأن يُذكر فلا يُنسىٰ وأن يُشكر فلا يُكفر(٣). والتقوىٰ سبب الخروج من كل ضيق ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ولا شك أن العبد عند السكرات يكون في ضيق وشدة فتكون التقوىٰ سببًا لنجاته، والتقوىٰ سبب لتيسير السكرات علىٰ العبد المؤمن قال -تعالىٰ-: ﴿وَمَن يَتَّقِ

---

(١) متفق عليه، البخاري (٣٢٥)، مسلم (٢٦٣).

(٢) رحلة إلىٰ الدار الآخرة، محمود المصري ص(٤٢)، سكب العبرات، سيد العفاني (١٠/ ٥٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ١٥٧).

﴿ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤] والتقوىٰ سبب للنجاة من المهالك ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ [مريم: ٧٢].

٤- **الصدق:** قال -تعالىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

٥- **التوبة:** قال -تعالىٰ-: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

٦- **الدعاء:** من دعاء الصالحين أن يتوفاهم الله حين انقضاء آجالهم وهم متمسكون بالطاعات ملازمون لها، ومُجَانِبون للمعاصي مُفارقون لها، مصاحبون للأبرار معدودون في زمرتهم، مجافون للفجار حائدون عن صحبتهم.

٧- **قصر الأمل، والتفكير في حقارة الدنيا،** فالمؤمن يعلم يقينًا أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأنه سينسىٰ كل بؤس بنعمة واحدة في جنة الرحمن، بل يمسي ويصبح وهو مشغول بالعمل لهذا الدين[(١)].

٨- **الإكثار من ذكر الموت:** ذكر الموت ينغص اللذات، ويحقر الشهوات، ويجعل الآخرة نصب العين، ومشاهدة المحتضرين والنظر إلىٰ سكراتهم ونزعاتهم ومعالجتهم في طلوع الروح وشدة كربهم أعظم عبرة، وتغسيل الموتىٰ يرق به القلب، وتذرف العينان ورؤية القبور وسكونها تعجل بالتوبة فتكون سببًا لحسن الخاتمة[(٢)].

٩- **غلبة الرجاء، وحسن الظن بالله، والخوف والرجاء** كجناحي طائر إذا استويا استوىٰ الطائر، وتم طيرانه، وإن نقص أحدهما وقع الطائر، وإن ذهب أحدهما أو

---

(١) الإيمان باليوم الآخر، علي محمد الصلابي (١/ ٤٤).

(٢) سكب العبرات (١/ ٦٤).

كلاهما صار الطائر عرضة للهلاك[١].

١٠- **الخوف من سوء الخاتمة**، والبعد عن أسبابها وهي فساد المعتقد، والانغماس في البدع، ومخالفة الباطن الظاهر، والتسويف بالتوبة، وطول الأمل، وحب الدنيا، وتعلق القلب بغير الله، وإِلْفُ المعاصي والإصرار عليها[٢].

علامات حسن الخاتمة

١- من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لقوله ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[٣].

٢- الموت برشح الجبين لقوله ﷺ: «**مَوْتُ الْمُؤْمِنِ بِعَرَقِ الْجَبِينِ**»[٤].

٣- الموت يوم الجمعة لقوله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ**»[٥].

٤- القتل في سبيل الله، وهو من أفضل العبادات وأرفعها، وأسماها أن يقدم العبد روحه في ساحات القتال دفاعًا عن هذه العقيدة السمحاء، وعن هذا الدين العظيم، وقد كان الاستشهاد في سبيل الله هَمْ السلف الصالح من الصحابة والتابعين لقوله ﷺ: «**إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ ﷻ سِتَّ خِصَالٍ: أَنْ يُغْفَرَ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَىٰ مِقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُحَلَّىٰ حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا**

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٦).

(٢) رحلة إلىٰ الدار الآخرة ص(٥٤).

(٣) قال الألباني: صحيح (١٣٦)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٤) أخرجه أحمد والنسائي، والترمذي، وقال الألباني في صحيح النسائي: صحيح (١٨٢٧).

(٥) قال الألباني: رواه الترمذي، ورجاله موثوقون، وإسناده حسن أو صحيح بما قبله.

وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنَ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ»[(١)].

ويقوله ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فِيكُمْ؟**» قالوا: يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد. قال: «**إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا قَلِيلٌ**» قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: «**مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ**. قال ابن مقسم: أشهد علىٰ أبيك في هذا الحديث أنه قال: **وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ**»[(٢)].

٥- الموت بالطاعون: لقوله ﷺ: «**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**»[(٣)].

٦- الموت بداء البطن: لقوله ﷺ: «**الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[(٤)].

٧- الموت بالهدم: كما في الحديث السابق.

٨- الموت بالغَرَقْ: كما في الحديث السابق.

٩- موت المرأة في نفاسها: لقوله ﷺ: «**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ، وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ، وَالنُّفَسَاءُ شَهَادَةٌ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه أحمد (١٣١/ ٤) واللفظ له، قال الألباني: إسناده صحيح في صحيح سنن ماجة (٢٧٩٩).

(٢) رواه مسلم (١٥٢١/ ٣/ ١٩١٥).

(٣) رواه البخاري (٢١٦٥/ ٥/ ٥٤٠٠).

(٤) البخاري (٢٣٣/ ١/ ٦٢٤).

(٥) قال البنا في الفتح الرباني: سنده جيد (٣٨/ ١٤).

١٠- الموت مرابطًا في سبيل الله: لقوله ﷺ: «**مَنْ رَابَطَ يَوْمًا أَوْ لَيْلَةً كَانَ لَهُ كَصِيَامِ شَهْرٍ لِلْقَاعِدِ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ أَجْرَىٰ اللهُ لَهُ أَجْرَهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ أَجْرَ صَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَنَفَقَتِهِ، وَوُقِيَ مِنْ فَتَّانِ الْقَبْرِ، وَأَمِنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ**»[(١)].

١١- الموت علىٰ عمل صالح: لقوله ﷺ: «**وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**» كما في رواية الإمام أحمد التي صححها الأرناؤوط.

١٢- الموت في سبيل الله والدفاع عن الدين والنفس: لقوله ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»[(٢)].

قصص في حسن الخاتمة

١- قصة وفاة شيخنا المحدث عبد القادر الأرناؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ ومن البشارات أن تكون وفاته عقب عبادات متتالية فقد اعتمر في شعبان، ثم صام رمضان، ثم أتبعها بالستة من شوال، وكان آخر يوم منها يوم خميس، فقالت له زوجة أم محمد: ألا تريد أن تواصل الصوم غدًا؟ فقال: لا، غدًا إن شاء الله عيدنا، فتوفي قبيل الفجر، وقد خُتم له بالصيام رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (١٥٢٠/ ٢/ ١٩١٣).

(٢) رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وأحمد وسنده صحيح، وقال ابن عثيمين: ثابت. راجع علامات حسن الخاتمة في كتاب أحكام الجنائز للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، رسالة دكتوراه للشيخ محمد حيدر. (١/ ٦٣-٩٠).

(٣) عبد القادر الأرناؤوط، المحدث الحافظ والإمام القدوة، أيمن بن أحمد ذو الغنىٰ.

٢- كانت فتاة متبرجة، وكانت لها صديقة ملتزمة، وكانت دائمًا تقنعها بالالتزام والارتداء للحجاب لكن الفتاة كانت ترفض وبشدة، وتصر علىٰ التبرج، فخطرت فكرة في بال صديقتها قالت أريد أن أذهب أشتري ملابس ممكن تأتي معي فوافقت الفتاة، فوضعتها صديقتها أمام الأمر الواقع، وقالت لها عندي درس في المسجد لا بد أن أَحْضَرُه، وأَخَذتْ الفتاة، وذهبا إلىٰ المسجد، وكانت المحاضرة عن الحجاب الشرعي، فتأثرت الفتاة بكلام المحاضرة، وبكت وصممت أنها لن تخرج من المسجد إلا وهي ترتدي الحجاب الشرعي، وفعلًا أحضروا لها حجابًا فارتدته وخرجت من المسجد، فصدمتها سيارة فماتت، وهي تائبة[١].

٣- وقصة المرأة التي وجدتها المغسلة تضع يدها اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ ولا تستطيع تحريكها، وتقول أختها: «إن روحها صعدت لبارئها وهي تصلي» فقال لها الشيخ: «دعيها كما هي سَتُبعث هكذا»[٢].

٤- وهذا الشيخ عبد الحميد كشك رَحِمَهُ اللَّهُ يُقبض في أحب الأيام في يوم الجمعة، يغتسل، ويلبس ثوبه الأبيض، ويضع الطيب علىٰ بدنه وثوبه، ويصلي ركعتي الوضوء، وفي الركعة الثانية، وهو راكع يخر ساقطًا، فيسرع إليه أهله وأولاده، فوجدوه قد فاضت روحه إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ[٣].

اللهم أحسن ختامنا، وعاقبتنا في الأمور كلها، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) أهلاً رمضان، الطريق إلىٰ الجنة، (ص٢٨). وهي قصة حقيقية حدثت في مدينة الإسكندرية (مصر) رواها ثقات.

(٢) قصص حسن الخاتمة يرويها الشيخ محمد حسان، وكان هو المسؤول.

(٣) قصص قصيرة، من عاش علىٰ شيء مات عليه، وهذه رواية عن أهله.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرضاه يبلغ الإنسان أعلىٰ الدرجات، الحمد لله الذي امتن بالتيسير أولاً وآخرًا.

وفي آخر كلمات الكتاب هذا العمل سيلقيه خطيب، وسيكون مؤثرًا جدًا نافعًا، وسيلقيه آخر، ويكون أثره ضعيفًا؛ والسبب هو عند الخطيب، فرق بين القلوب، فرق بين خطيب يقوم الليل دائمًا ويتحدث عن قيام الليل، وآخر لا يقوم إلا في رمضان ويتحدث عن قيام الليل.

وقد بذلت ما في الوسع، فقد جمعت أكثر من مائة عمل في هذا الباب وقرأتها للاستفادة منها، وراجعت العمل، وراجعه كثيرون، وهم الأساتذة:

الأستاذ/ محمود خلف، والأستاذ/ خالد عاطف، والأستاذ/ منصور النابي، والأستاذ/ أحمد حسن خليل، والأستاذ/ عبد العاطي حجاج، والأستاذ/ حمدي السيد، واستفدت من انتقادات أخي الأستاذ/ عماد الهريشي (تونسي)، والأستاذ/ عبد العظيم محمد حسين، وحتىٰ المراجعة العاشرة وأنا أغير مثل كلمة «أتمنىٰ» حذفتها ووضعت بدلاً منها «طموح» لاستحالة تحقيق الأمنية.

ولا يخلو عمل من القصور، والباب مفتوح لمن رأىٰ خطأً أو تصحيحًا أو نصحًا.

ونسأل الله السداد والتوفيق لإكمال الجزء الثاني من الكتاب لتكون خطبًا جاهزة علىٰ مدار العام كله.

ونسألكم الدعاء بالتوفيق والمغفرة.

هشام محمد عاطف السعيد

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- إيجاز البيان عن معاني القرآن، محمود بن أبي الحسن النيسابوري، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

٣- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، (بيروت: دار المعرفة، بدون تاريخ).

٤- أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، (دار مكتبة الحياة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).

٥- الأذكار، أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

٦- أطفال المسلمين كيف رباهم النبي الأمين، د. جمال عبد الرحمن، (مكة المكرمة: دار طيبة للقرآن، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

٧- إعراب القرآن وبيانه، محي الدين بن أحمد مصطفىٰ درويش، (دمشق: بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).

٩- أهلاً رمضان، الطريق إلىٰ الجنة، (طيبة: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

١٠- الإيمان باليوم الآخر، د. علي محمد محمد الصلابي، (دار ابن كثير، المكتبة العصرية للطباعة والنشر).

١١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو السعيد بن عمر الشيرازي البيضاوي (بيروت: دار إحياء التراث العربية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

١٢- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد المهدي بن عجيبة، ٨ أجزاء، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

١٣- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق علي شيري، (دار إحياء التراث، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

١٤- البرزخ، رسالة دكتوراه، د. محمد حيدر مهدي حسن.

١٥- تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، (دار السلام للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

١٦- التعليق علىٰ الجلالين للشيخ عبد الكريم عبد الله عبد الرحمن الخضير.

١٧- تفسير ابن جزي الغرناطي، تحقيق د. عبد الله الخالدي (بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

١٨- تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، ثم الدمشقي، (القاهرة: دار طيبة للتوزيع والنشر، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

١٩- تفسير الخازن، علاء الدين علي بن محمد إبراهيم البغدادي (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

٢٠- تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني شمس الدين (القاهرة: مطبعة بولاق الأميرية ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م).

٢١- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (القاهرة: مطابع أخبار اليوم، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

٢٢- تفسير القشيري، لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق إبراهيم البسيوني (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون تاريخ).

٢٣- تاريخ التشريع الإسلامي، مناع بن خليل القطان، (مكتبة وهبة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٢٤- تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م).

٢٥- التفسير المنير في العقيدة والشريعة، د. وهبة مصطفىٰ الزحيلي (دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

٢٦- التفسير الوسيط، د. وهبة مصطفىٰ الزحيلي (دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

٢٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق عبد الرحمن المعلا (نشر مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٠م).

٢٨- ثلاثون مشروعًا في رمضان، ناصر الشافعي، (القاهرة: السيدة زينب دار النشر والتوزيع ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٢٩- ثلاثون درسًا للصائمين، د. عائض بن عبد الله القرني، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٣٠- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٣١- جامع الرسائل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق رشاد سالم (الرياض: دار العطاء، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٣٢- حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني (بيروت: دار الكتاب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).

٣٣- حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، (القاهرة: مطبعة المدني، بدون تاريخ).

٣٤- حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).

٣٥- الخوف من سوء الخاتمة، محمود المصري، مؤسسة قرطبة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٣٦- ديوان الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، المكتبة الشاملة.

٣٧- ديوان الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، المكتبة الشاملة.

٣٨- الديوان لأبي العتاهية، المكتبة الشاملة.

٣٩- دروس الشيخ عبد الله الجلالي، درس شروط الاستخلاف في الأرض.

٤٠- دور الأدب في مكافحة الخمر بين الجاهلية والإسلام، محمود محمد سالم، (الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م).

٤١- ذم الهوىٰ، ابن الجوزي، تحقيق مصطفىٰ عبد الواحد، مراجعة محمد الغزالي، المكتبة الشاملة.

٤٢- رحلة إلىٰ الدار الآخرة، محمود المصري، (القاهرة: مطابع دار البيان الحديثة، مكتبة الصفا، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٤٣- رد البلاء بالصدقة، شيخ مصطفىٰ إبراهيم حقي (الرياض: ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

٤٤- رسالة في التوبة، جامع الرسائل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق محمد رشاد رفيق سالم، المكتبة الشاملة.

٤٥- رمضان جهاد حتىٰ النصر، د. خالد أبو شادي (القاهرة: طيبة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

٤٦- رمضان وأمة القرآن، د. محمد عبد المعطي (القاهرة: السيدة زينب للتوزيع والنشر، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٤٧- رمضان وثبة إلىٰ الجنة، د. أكرم رضا (القاهرة: تنوير للنشر والترجمة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

٤٨- رمضان وعلو الهمة، حمدي حسن، أحمد حنفي (مصر: الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م).

٤٩- الروح، ابن قيم الجوزية (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).

٥٠- روضة العقلاء، ونزهة الفضلاء، أبو حاتم البستي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

٥١- زاد المعاد في هدي خير الأنام، ابن قيم الجوزية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

٥٢- زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، عبد الرازق عبد المحسن، (الرياض: دار القلم والكتاب، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

٥٣- سباق نحو الجنان، د. خالد أبو شادي (القاهرة: الأندلس الجديدة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

٥٤- سكب العبارات للموت والقبر والسكرات، سيد بن حسين العفاني (القاهرة: مكتبة معاذ بن جبل، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٥٥- السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني ٧ أجزاء (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٥٦- السلسلة الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني ١١ جزءًا (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٥٧- سنن ابن ماجة، محمد بن فريد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار الفكر، بدون تاريخ).

٥٨- سنن الترمذي، محمد بن عيسىٰ أبو عيسىٰ الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وآخرون (بيروت: دار إحياء التراث، بدون تاريخ).

٥٩- سيرة عمر بن عبد العزيز علىٰ ما رواه الإمام مالك وأصحابه، أبي محمد بن عبد الله عبد الحكيم، (بيروت: نشر عالم الكتب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٦٠- الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة، محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، (دار ابن خزيمة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

٦١- سهام الخير، عشر ذي الحجة، د. خالد أبو شادي (القاهرة: دار الراية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

٦٢- شرح رياض الصالحين، محمد صالح العثيمين، (الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٦٣- شرح السيوطي لسنن النسائي، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة (حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٦م).

٦٤- شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

٦٥- شرح العقيدة السفارينية، محمد صالح العثيمين (دار الوطن للنشر، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٦٦- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، محمد خليل هراس (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

٦٧- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (نشر دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٦٨- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني (الرياض: مكتبة المعارف، بدون تاريخ).

٦٩- صيد الخاطر، جمال الدين أبو فرج عبد الرحمن بن الجوزي (دمشق: دار القلم، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

٧٠- صفقات رابحة، د. خالد أبو شادي (القاهرة: الأندلس الجديدة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

٧١- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (بيروت: دار إحياء التراث، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م).

٧٢- العقائد الإسلامية، السيد سابق، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

٧٣- فتاوىٰ معاصرة، الدكتور يوسف القرضاوي (نقلاً عن المكتبة الشاملة).

٧٤- فقه السنة، السيد سابق (بيروت: دار الكتب ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

٧٥- الفوائد، ابن قيم الجوزية (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

٧٦- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسن الشاربي (القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).

٧٧- فيض الرحيم الرحمن في أحكام ومواعظ رمضان، د. عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، المكتبة الشاملة.

٧٨- فيض المنان في دروس رمضان، أحمد عبد الرحمن السعدني، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٧٩- قطيعة الرحم، المظاهر، الأسباب، سبل العلاج، محمد إبراهيم محمد، الكتاب منشور علىٰ موقع وزارة الأوقاف السعودية، بدون بيانات.

٨٠- قوت القلوب في معاملة المحبوب، ووصف طريق المريد إلىٰ التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارثي أبو طالب المكي، تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م).

٨١- قيام رمضان، محمد ناصر الدين الألباني (المكتبة الإسلامية: عَمان، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م).

٨٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٨٣- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي، تحقيق عبد الرحمن أحمد يوسف الهندي (المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٨٤- الكشكول، بهاء محمد بن حسين العاملي (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م).

٨٥- لسان العرب، محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

٨٦- لطائف المعارف، ابن رجب الحنبلي (دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م).

٨٧- معجم أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي، تحقيق د. زياد محمد منصور (المدينة المنورة: دار النشر مكتبة العلوم، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م).

٨٨- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م).

٨٩- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

٩٠- مجموع الفتاوىٰ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق عامر الجزار، أنور الباز، نشر دار الوفاء، بدون تاريخ.

٩١- مدرسة الصيام، عبد اللطيف المشتهري (مصر: دار الكتاب، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م).

٩٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٩٣- معجم اللغة العربية، د. أحمد مختار عمر، بمساعدة فريق عمل، (عالم الكتب: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

٩٤- مجلة مساء، العدد ٣٩، جمادىٰ الأولىٰ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٩٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

٩٦- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

٩٧- المستدرك علىٰ الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم بن محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

٩٨- مفتاح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، خالد عبد الكريم اللاحم (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

٩٩- مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون تاريخ).

١٠٠- المناظرات وأدب الحوار، صالح بن عبد الله حميد، إمام وخطيب الحرم المكي.

١٠١- موسوعة البحوث والمقالات العلمية، الباحث علي بن نايف الشحود.

١٠٢- نداء الريان في فقه الصيام، أبو تراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، قدم له أبو بكر الجزائري، صفوت نور الدين، محمد عبد المقصود، (جدة: دار ماجد عسيري، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

١٠٣- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، إمام وخطيب الحرم المكي (جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع).

١٠٤- نهر الحسنات الجاري، أكثر من (١٠٠) فكرة للحسنات الجارية، عبد اللطيف بن هاجس الغامدي.

١٠٥- الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، تحقيق سيد إبراهيم (القاهرة: دار الحديث، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

١٠٦- يا بشرىٰ هذا رمضان، نبيل حامد المغازي (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

١٠٧- يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، تحقيق د. أحمد حجازي السقا (القاهرة: دار الأنصار، ١٣٩٨هـ/ ١٩٨٧م).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
مقدمة الكتاب.....	٧
١- ارفع همتك، واجبات عملية، نماذج للهمم العالية، وسائل التقوية	١١
٢- صيام الجوارح، ضوابط الصيام الصحيح، أنواع الصيام.....	١٩
٣- الصيام والعمل، أحداث وانتصارات لكل يوم من رمضان	٢٤
٤- أفلا يتدبرون القرآن، علامات تدبر القرآن، كيف نتدبر القرآن الكريم؟	٣٢
٥- الرسول يزورك، إن سألني النبي فبماذا أجيب؟	٣٩
٦- لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله، منحة، فوائد الذكر	٤٤
٧- وعجلت إليك ربي لترضىٰ، العجلة المستحبة	٥٢
٨- لتأمرن بالمعروف أو ليوشكن الله ألا يستجيب،.....	٥٨
٩- الإخلاص وقبول العمل، من ضاعت أعمالهم؟ مما يعين علىٰ الإخلاص....	٦٤
١٠- ونكتب ما قدموا وآثارهم، أبواب من الثواب لا تُغلق	٧١
١١- وبالأسحار هم يستغفرون، دقائق الليل غالية، فوائد الاستغفار	٧٧
١٢- نعيم الجنة وطريقها، أحوال العاملين	٨٣
١٣- أدومها وإن قل، طاعات يداوم عليها، آثار المداومة	٨٨
١٤- يوم بلا ذنب، كيف نصل إلىٰ يوم بلا ذنب؟	٩٤
١٥- لا تأخذ شيئًا إلا بحقه، مواقف الصالحين.....	١٠٠

الموضوع	الصفحة
١٦- الزوجة في رمضان، المودة بين الزوجين، وعاشروهن بالمعروف....	١٠٦
١٧- ما كان الرفق في شيء إلا زانه، أقوال أهل الفضل في الرفق، نماذج الرفق..	١١١
١٨- التحرر من أسر العادة، خطورة أسر الشهوة، حرية الانتصار	١١٧
١٩- كلمات التائبين، ثماني قصص للتائبين	١٢٣
٢٠- أفضل ليالي العمر، فضائل ليلة القدر، المطلوب	١٣٢
٢١- الشكر من لوازم الإيمان، قواعد الشكر، فوائد الشكر	١٣٨
٢٢- صلة الأرحام، فوائدها، ما يعين علىٰ صلة الأرحام.....	١٤٥
٢٣- العفو جزاؤه الجنة، أهمية العفو، وأنواعه	١٥٢
٢٤- وقولوا للناس حسنا، ما يدعو إلىٰ القول الحسن، فوائد الكلم الطيب.....	١٥٩
٢٥- ومن يوق شح نفسه، آداب الصدقة	١٦٦
٢٦- الرضا راحة النفوس، فوائد الرضا	١٧٣
٢٧- كل الناس يغدو، البيع لمن؟ نماذج من البيع الصحيح.....	١٧٩
٢٨- المؤمن والابتلاء، أرباح الصبر، علىٰ المسلم عند المصيبة	١٨٤
٢٩- قوا أنفسكم وأهليكم نارًا، مجالات وقاية الأبناء	١٩٢
٣٠- التوبة الدائمة، شروطها، البشارة، فوائد التوبة	١٩٩
٣١- حسن الخاتمة، أسبابه، علاماته، نماذج لحسن الخاتمة	٢٠٥
خاتمة.....	٢١٢
المصادر والمراجع	٢١٣
فهرس المحتويات	٢٢٣